كتاب المقامات

للشيخ العالم

ابي محمد القسم بن علي بن محمد بن عثمن الحريري

طبع

في مطبع أردو گائيڈ في بندر

كلكته

باهتمام الفقير الحقير المقر بالتقصير

كبير الدين احمد

في شهر ذي الحجه سنه ١٢٩٩ هجريه

سنه ١٨٨٢ع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الاجل الاوحد ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري برّد الله مضجعه

اللّهم انا نحمدك على ما علّمتَ من البيان * و الهمتَ من التبيان * كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء * و اسبلت من الغطاء * و نعوذ بك من شرّة اللّسن و فضول الهذر * كما نعوذ بك من معرّة اللّكن و فضوح الحصر * و نستكفي بك الافتتان باطراء المادح * و إغضاء المسامح * كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح * و هتك الفاضح * و نستغفرك من سوق الشهوات * الى سُوق الشبهات * كما نستغفرك من نقل الخُطُوات * الى خِطَط الخَطِيئات * و نستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد * و قلبا متقلّبا مع الحق * و لسانا متحلّيا بالصدق * و نطقا مؤيّدا بالحجّة * و اصابةً ذائدة عن الزيغ * و عزيمةً قاهرة هوىَ النفس * و بصيرةً ندرك بها عرفان القدر * و ان تُسعدنا بالهداية الى الدراية * و تعضدنا بالاعانة على الابانة * و تعصمنا من(١) الغواية فى الروايه * و تصرفنا عن السفاهة فى الفكاهة * حتى نأمن حصائد الالسنة * و نكفى غوائل الزّحرفة * فلا نرد مورد مأثمه * و لا نقف موقف مندمة * و لا نُرهق بتَبِعةٍ و لا معتبه * و لا نُلجأ

(١) عن *

الى معذرة عن بادرة * اللهم فحقّق لنا هذه المُنْية * و انلنا هذه البغيه * و لا تضحنا عن ظلك السابغ * و لا تجعلنا مُضغةً للماضغ * فقد مددنا اليك يد المسئلة * و بخَعْنا بالاستكانة لك و المسكنة(١) * و استنزلنا كرمك الجمّ * و منّك الذي عمّ * بضراعة الطلب و بضاعة الامل * ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر * و الشفيع المشفّع فى المحشَر * الذي ختمت به النبيّين * و اعليت درجَته في علّيين * و وصفتَه في كتابك المبين * فقلت و انتَ اصدقُ القائلين * انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذى العرش مكين * مُطاعٍ ثم امين (٢) * اللّهم فصلّ عليه و على آله الهادين * و اصحابه الذين شادوا الدين * و اجعلنا لهديه و هديهم متّبعين * و انفعنا بمحبته و صحبتهم اجمعين * انك على كل شئ قدير * و بالاجابة جدير * و بعد فانه قدجرى ببعض اندية الادب الذي ركَدتْ في هذا العصر ريحُه * و خبت مصابيحُه * ذكر المقامات التي ابتدعها بديعُ الزمان * و علامة هَمَدان * رحمه الله * و عزى الى ابي الفتح الاسكندري نشاءتها * و الى عيسى بن هشام روايتها * و كلاهما مجهول لا يعرَف * و نكرةٌ لا تتعرف * فاشار مَنْ اشارته حُكْم * و طاعته غُنْم * الى ان انشئ مقامات أتلو فيها تلوَ البديع * و ان لم يدرك الطالع شأوَ الضليع * فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين * و نظَم بيتا او بيتين * و استقلتُ من هذا المقام الذي فيه بحارُ الفهم * و يفرطُ الوهم * و يُسْبَرُ به غورُ العقل * و تتبيّن فيه قيمة المرء * (٣) و يُضطرُّ صاحبه الى ان يكون

---

(١) بالاستكانه و المسكنة - (٢) - فقلت و انت اصدق القائلين - و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين - (٣) - المرء فى الفضل و يضطره

كخاطب ليل * او جالب رَجْل و خيل * و قلّما سلم مكثار * او أُقيل له عثار * فلما لم يُسعف بالاقالة * و لا أعفى عن المقالة * لبّيتُ دعوته تلبيَة المطيع * و بذلت في مطارَعته جُهْد المستطيع * و أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة * و فطنة خامده * و رويّة ناضبة * و هموم ناصبة * خمسين مقامة تحتوي على جد القول و هزله * و رقيق اللفظ و جزله * و غُرَر البيان و دُرَره * و مُلَح الادب و نوادره * الى ما وشّحتُها به من الآيات * و محاسن الكنايات * و رصّعته فيها من الامثال العربيّة * و اللطائف الادبيه * و الاحاجيّ النحويه * و الفتاوي اللغوية * و الرسائل المبتكرة * و الخُطَب المحبّرة * و المواعظ المُبْكيَة * و الاضاحيك المُلهيَة * مما امليتُ جميعه على لسان ابي زيد السّروجي * و اسندتُ روايته الى الحارث بن هَمّام البصري * و ما قصدتُ بالاحماض فيه الا تنشيطَ قارئيه * و تكثير سواد طالبيه * و لم أُردِعه من الاشعار الاجنبية * الا بيتَيْن فذّين أسّسْت عليهما بِنْيَةَ المقامة الحُلوانيّة * و آخرَيْن توأمين ضمّنتهما خواتم المقامة الكَرَجيّة * و ما عدا ذلك فخاطري ابو عُذره * و مُقتضبُ حُلوه و مُرّه * هذا مع اعترافي بان البديع رحمه الله سبّاقُ غايات * و صاحب آيات * و ان المتصدّي بعده لانشاء مقامة * و لو أُوتي بلاغةَ قُدامَةَ * لا يغترف الا من فُضالته * و لا يسري ذلك المسرى الا بدلالته * و لله در القائل * نظم

فلو قبلَ مَبكاها بكيتُ صبابة * بُسعدى شفيتُ النفس قبل التذمّم
و لكنْ بكت قبلي فهيّج لي البكا * بكاها فقلت الفضلُ للمتقدّم

و ارجوا ان لا اكون في الهذر اوردتُّه * و المورد الذي توَرّدتُّه * كالباحث عن حتفه بظلفه * والجادع مارنَ انفه بكفّه * فالحقّ بالاخسرين

اعمالا * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صُنعا * على أني و ان اغمض لي الفطن المتغابي * و نصح عني المحب المحابي * لا اكاد اخلص عن غُمْرٍ جاهل * اردي غِمْر متجاهل * يضع مني لهذا الوضع * و يندّدُ بانه من مناهي الشرع * و مَن نقّد الاشياء بعين المعقول * و انعم النظر في مباني الاصول * نظَمَ هذه المقامات في سلك الافادات * و سلكها مَسلك الموضوعات عن العَجماوات و الجمادات * ولم يسمع بمن نبأ سمعهُ عن تلك الحكايات * و انّم رواتها في وقت من الاوقات * ثم اذا كانت الاعمال بالنيات * و بها انعقادُ العقود الدينيات * فايّ حَرَجٍ على من انشأ مُلَحا للتنبيه * لا للتمويه * و نحا بها منحَى التهذيب * لا الاكاذيب * و هل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم * او هدى الى صراط مستقيم * شعر

على انّني راضٍ بان أَحْمِلَ الهوى * و اخلُصَ منه لا عليّ و لا ليا

و بالله أعتضد * فيما اعتمد * و أعتصم * مما يصم * و استرشد * الى ما يُرشد * فما المفزع الا اليه * و لا الاستعانة الا به * و لا التوفيق الا منه * و لا المؤمل الا هو * عليه توكلت * و اليه أنيب *

المقامة الاولى الصنعانية

حدّث الحارث بن هَمّام قال لمّا اقتعدتُ غارب الاغتراب * و اناختني المتربة عن الاتراب * طرّحت بي طوائح الزمن * الى صنعاء اليمن * فدخلتها خاوي الوفاض * بادي الانفاض * لا املك بُلغة * و لا اجد في جرابي مُضغة * فطفقت اجوب طُرُقاتها مثل الهائم * و اجولُ في حوماتها جَوَلانَ الحائم * و أرودُ في مسارح لمحاتي *

و مسائح غدواتي و روحاتي * كريما أخلق له ديباجتي * و ابوح اليه بحاجتي * او اديبا تفرج رؤيته غمتي * و تروي روايته غلتي * حتى ادتني خاتمة المطاف * و هدتني فاتحة الالطاف * الى زاد رحيب * محتو على زحام و نحيب * فولجت غابة الجمع * لاسبر مجلبة الدمع * فرايت في بهرة الحلقة * شخصا شخت الخلقة * عليه أهبة السياحة * و له رنة النياحة * وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه * و يقرع الاسماع بزواجر وعظه * و قد احاطت به اخلاط الزمر * احاطة الهالة بالقمر * و الاكمام بالثمر * فدلفت اليه لاقتبس من فوائده * و التقط بعض فرائده * فسمعته يقول حين خب في مجاله * و هدرت شقاشق ارتجاله * ايها السادر في غلوائه * السادل ثوب خيلائه * الجامح في جهالاته * الجانح الى خزعبلاته * إلام تستمر على غيك * و تستمرى مرعى بغيك * و حتام تتناهى في زهوك * و لا تنتهي عن لهوك * تبارز بمعصيتك * مالك ناصيتك * و تجترى بقبح سيرتك * على عالم سريرتك * و تتوارى عن قريبك * و انت بمرأى رقيبك * و تستخفي من مملوك * و ما تخفى خافية على مليك * اتظن ان ستنفعك حالك * اذا آن ارتحالك * او ينقذك مالك * حين تورطك اعمالك * او يغني عنك ندمك * اذا زلت قدمك * او يعطف عليك معشرك * يوم يضمك محشرك * هلا انتهجت محجة اهتدائك * و عجلت معالجة دائك * و فللت شباة اعتدائك * وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك * اما الحمام ميعادك * فما إعدادك * و بالمشيب انذارك * فما اعذارك * و في الهدم قيلك * فما قيلك * و الى الله مصيرك * فمن نصيرك * طالما ايقظك الدهر فتناعست * و جذبك الوعظ فتقاعست * و تجلت لك العبر فتعاميت *

و حصص لک الحق فما ريت * واذكرک الموت فتناسيت *
و امكنك ان تواسي فما آسيت * تؤثر فلسا توعيه * على ذكر تعيه *
و تختار قصرا تعليه * على بر توليه * و ترغب عن هاد تستهديه *
الى زاد تستهديه * و تغلب حب ثوب تشتهيه * على ثواب
تشتريه * بواقيت الصلات * اعلق بقلبک من مواقيت الصلاة *
و مغالاة الصدقات * آثر عندک من موالاة الصدقات * و صحاف
الالوان * اشهى اليک من صحائف الاديان * و دعابة الاقران * آنس
لک من تلاوة القرآن * تأمر بالعرف و تنتهک حماه * و تحمي
عن النكر و لا تتحاماه * و تزحزح عن الظلم ثم تغشاه * و تخشى
الناس و الله احق ان تخشاه * ثم انشد نظم

تبًا لطالب دنيا * تنى اليها انصبابه
ما يستفيق غراما * بها و فرط صبابه
و لو درى لكفاه * مما يروم صبابه

ثم انه لبد عجاجته * و غيض سجاجته * و اعتضد شكوته * و تأبط
هراوته * فلما رنت الجماعة الى تحفزه * و رأت تأهبه لمزايلة
مركزه * ادخل كل منهم يده في جيبه * فانعم له سجلا من سيبه *
و قال اصرف هذا في نفقتک * او فرقه على رفقتک * فقبله منهم
مغضيا * و انثنى عنهم متنيا * و جعل يودع من يشيعه * ليخفى
عليهم مهيعه * و يسرب من يتبعه * لكي يجهل مربعه * قال
الحارث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني * و قفوت اثره من
حيث لايراني * حتى انتهى الى مغارة * فانساب فيها على
غرارة * فامهلته ريثما خلع نعليه * و غسل رجليه * ثم هجمت
عليه * فوجدته محانيا لتلميذ * على خبز سميذ * و جدي

حنيذ * و قُبالتهما خابية نبيذ * فقلت (١) يا هذا ايكون ذاك خبزك * و هذا مَخْبَزك * فزفَرزفرةَ القيظ * و كاد يتميَّز من الغيظ * و لم يزل يُحَمْلِق اليّ * حتى خفت ان يسطُو عليّ * فلما ان خبت ناره * و تَوارى أوارُه * انشد نظم

لبستُ الخميصةَ ابغي الخبيصه * و انشبت شِصّي في كل شِيصه
و ميّرت وعظي أحبـولةً * أريغُ القنيصَ بها و القنيصه
و الجاني الدهرُ حتى ولجتُ * بلطف احتيالي على الليث عيصه
على انني لم اهَبْ صرفه * و لا نبضت ليَ منه فريصه
و لا شرعت بي على مَوْرِد * يُدنّسُ عِرضيَ نفسٌ حريصه
و لو انصف الدهر في حكمه * لما ملّك الحكمَ اهل النقيصه

ثم قال لي ادنُ فكُلْ * و ان شئتَ نقُم و قُلْ * فالتفتُّ الى تلميذه و قلت عزمتُ عليك بمن يُستدفع به الاذى * لتُخبرني مَن ذا * فقال (٢) هذا ابو زيد السروجي سراج الغرباء * و تاج الادباء * فانصرفتُ من حيث اتيت * و قضيتُ العجب مما رأيت *

المقامة الثانية بالحلوانية

حكى الحارث بن هَمّام قال كلفتُ مذ ميّطتْ عني التمائم * و نِيطتْ بي العمائم * بان اغشى مَعانَ الادب * و انضيَ اليه ركابَ الطلب * لاَعلق منه بما يكون لي زينةً بين الانام * و مُزنةً عند الأُوام * و كنت لفرط اللهج باقتباسه * و الطمع في تقمّص لباسه * أباحث كل من جلّ و قلّ * و استسقي الوبْلَ و الطلّ * و اتعلّل بعسى و لعلّ * فلمّا حلّلْت حُلوان * و قد بلوتُ الاخوان * و سبرت

(١) فقلت له (٢) فقال لي *

الاوزان * و خبرت ما شان و زان * الفيتُ بها ابا زيدٍ السروجيّ يتقلب في قواليب الانتساب * و يخبط في اساليب الاكتساب * فيدّعي تارةً انه من آل ساسان * و يعتزي مرةً الى آقيال غسّان * و يدور طورا في شعار الشعراء * و يلبس حينا كبْرَ الكبراء * بيدَ انه مع تلون حاله * و تبيُّن مُحاله * يتحلّى بروُاءٍ و رواية * و مداراةٍ و دراية * و بلاغةٍ رائعة * و بديهة مطاوعة * و آداب بارعة * و قدم لاعلام العلوم فارعة * فكان لمحاسن آلاته * يُلبَسُ على علّاته * و لسعة روايته * يُصبى الى رؤيته * و لخلابة عارضته * يرغَب عن معارضته * و لعذوبة ايراده * يُسعَف بمُراده * فتعلّقت باهْدابه * لخصائص آدابه * و نافستُ في مصافاته * لنفائس صفاته * شعر فكنت به اجلُوهُمومي و اَجتَلي * زمانيَ طلْقَ الوجه مُلتمع الضيا اَرى قريَهُ قربيَ و مَغناه غُنيةً * و رؤيَته ريًّا و مَحياه لي حَيا و لبثنا على ذلك بُرهة * يُنشئ لي كلَّ يوم نزُهة * و يدرأ عن قلبي شُبهة * الى ان جَدحَت له يدُ الاملاق * كأس الفراق * و اغراه عدمُ العُراق * بتطليق العراق * و لفظته معاوز الارفاق * الى مفاوز الآفاق * و نظَمه في سلك الرفاق * خُفوق رأية الاخفاق * فشحذ للرّحلة غِرارَ عزمته * و ظَعن يقتاد القلبَ بازمّته * نظم فما راقني مَنْ لاقني بعد بُعده * و لا شاقني مَنْ ساقني لوصاله و لا لاح لي مذ ندَّ ندٌّ لفضله * و لا ذر خِلالٍ حاز مثلَ خِلاله و استسَرّ عني حينا * اعرف له عرينا * و لا اجد عنه مبينا * فلما اُبت من غُربتي * الى منبت شعبتي * حضرت دارَ كُتبها التي هي مُنتدى المتادّبين * و ملتقى القاطنين منهم و المتغرّبين * فدخل دولحية كثّةٍ * و هيأة رثّةٍ * فسلّم على الجُلّاس * و جلس

في أُخريات الناس * ثم اخذ يُبدي ما في وِطابه * و يُعجب الحاضرين بفصل خطابه * فقال لمن يليه * ما الكتاب الذي تنظم فيه * فقال ديوان ابي عُبادة * المشهود له بالاجادة * فقال هل عثرتَ فيما لمحتَه * على بديع استملحتَه * فقال نعم قوله شعر

كانما يبسمُ عن لؤلؤ * منضَّد او بَرَد او أقاح

فانه ابدع في التشبيه * المودعِ فيه * فقال له يالمعجب * و لضيعة الادب * لقد استسمنْت يا هذا ذا وَرَم * و نفخت في غير ضَرَم * اين انت عن البيت الذرْ * الجامع مشبَّهات الثغر * و انشد نظم

نفسي الفداء لثَغْر راقَ مَبسمُهُ * و زانه شنَبٌ ناهيك من شَنَب
يفتَرُّ عن لؤلؤ رَطْب و عن بَرَد * و عن أقاح و عن طلْع و عن حَبَب

فاستجاده مَنْ حضَر و استحلاه * و استعاده منه و استملاه * و سُئل لمن هذا البيت * و هل حي قائله ام مَيت * فقال أيْمُ الله للحقُّ احق ان يُتَّبع * و للصدق حقيق بان يُستَمع * انه ياقوم * لتجيُّكم مُذُ اليوم * قال فكأنَّ الجماعة ارتابت بعَزْوته * و ابتْ تصديقَ دعْوته * فتوجَّس ما هجَس في افكارهم * و فطَن لما بطنَ من استنكارهم * و حاذر ان يفرُط اليه ذمٌّ * او يلحقَه وصمٌ * فقرأ انَّ بعض الظن إثْمٌ * ثم قال يا رُواةَ القريض * و أُساةَ القول المريض * ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبْك * و يدُ الحق تصدَع رداء الشك * و قد قيل فيما غبَر من الزمان * عند الامتحان * يُكرَم الرجل أو يُهان * و ها انا قد عرَّضت خبيئتي للاختبار * و عرَضْت حقيبتي على الاعتبار * فابتدر * احد مَنْ حضر * و قال أعْرِف بيتا لم يُنسج على منواله * ولا سمُحت قريحة

بمثاله * فان آثرت اجتلاب القلوب * فانظم على هذا الاسلوب * و انشد شعر

فامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا و عضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب * حتي انشد و اغرب * نظم

سألتها حين زارت نضو برقعها * القاني وايداع سمعي اطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * و ساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته * و اعترفوا بذاهته * فلما آنس استئناسهم بكلامه * و انصبابهم الى شعب اكرامه * اطرق كطرفة العين * ثم قال و دونكم بيتين آخرين * و انشد * نظم

و اقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح اقلهما * غصن و ضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته * و استغروا ديمته * و اجملوا عشرته * و جملوا قشرته * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رايت تلهب جذوته * و تالق جلوته * امعنت النظر في توسمه * و سرحت الطرف في ميسمه * فاذا هو شيخنا السروجي * و قد اقمر ليله الدجوجي * فهنأت نفسي بموردة * و ابتدرت استلام يده * و قلت له ما الذي احال صفتك * حتى جهلت معرفتك * و اي شيء شيب لحيتك * حتى انكرت حليتك * فانشاء يقول * نظم

وقع الشرائب شيب * و الدهر بالناس قلب

ان دان يوما لشخص * ففي غد يتغلب

فلا تثق بوميض * من برقه فهو خلب

و اصبر اذا هو اضرى * بك الخطوب و الب

فما على القبر عار * في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه * و مستصحبا القلوبَ معه *

المقامة الثالثة القيلية

روى الحارث بن همام * قال نظمني و اخدانا لي ناد * لم يخب فيه مناد * و لا كبا قدح زناد * و لا ذكت نارُ عناد * فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد * ونتوارد طَرَفَ الاسانيد * إذ وقف بنا شخص عليه سَمَل * و في مشيه قَنَزل * فقال يا اخائر الذخائر * و بشائر العشائر * عمُوا صباحا * و انعموا اصطباحا * و انظروا الى من كان ذا نديّ و ندًى * و جِدَةٍ وجدًى * وعَقار و قُرى * و مَقار و قِرى * فما زال به قطوب الخطوب * و حروب الكروب * و شرر شرّ الحسود * و انتياب الذُّوَب السود * حتى صفرت الراحة * و قرعت الساحة * و غار المنبع * و نبأ المربع * و اقوى المجمع * و اقضَّ المضجع * و استحالت الحال * و اعول العيال * وخلّت المرابط * و رحم الغابط * و اردى الناطق و الصامت * و رثى لنا الحاسد و الشامت * و ألنا للدهر المُوقع * والفقر المُدْقع * الى أن احتذينا الوجى * و اغتذينا الشجى * و استبطنا الجوى * و طوينا الاحشاء على الطوى * و اكتحلنا السهاد * و استوطّنا الوهاد * و استوطأنا القتاد * و تناسينا الاقتاد * و استطبنا الحين المجتاح * و استبطانا اليوم المتاح * فهل من حرآس * او سمج مُواس * فوالذي استخرجني من قَيْلة * لقد امسيت اخا عَيلة * لا املك بيت ليلة * قال الحارث بن همام فاريتُ لمفاقرة * و لويتُ الى استنباط فقرة * فابرزت له دينارا * و قلت له اختبارا * ان مدحته نظما * فهو لك حتما * فانبرى ينشد في الحال * من غير انتحال *

نظم

أكرِمْ به اصفرَ رافتْ صُفرتُه * جوّابَ آفاقٍ ترامت سَفْرتُهُ
مأثورةً سعدتُه و شُهرتُه * قد أودعتْ سرَّ الغنى اسرَّتُه
وقارنت نجمَ المساعي خطرتُه * و حُبِّبَتْ الى الانام غرتُه
كأنما من القلوب نُقرتُه * به يصول من حوتْه صُرَّتُه
وان تفانت او توانت عترتُه * يا حبَّذا نُضارُه و نضرتُه
و حبذا مغناتُه و نصرتُه * كم آمر به استتبَّتْ إمرتُه
و مُترَف لولاه دامت حسرتُه * و جيش همٍّ هزمتُه كرتُه
و بدرِ تمٍّ انزلتُه بدرتُه * و مستشيطٍ تتلظى جمرتُه
اسرَّ نجواه فلانت شرتُه * و كم اسيرٍ اسلمتُه اسرتُه
انقذه حتى صفت مسرتُه * و حق مولى ابدعته فطرتُه
لولا التقى لقلت جلَّتْ قدرتُه

ثم بسط يده * بعد ما انشده * و قال أنجزْ حرَّما وعد * و سحَّ خال
ان رعد * فنبذت الدينار اليه * و قلت خذه غير ماسوف عليه *
فوضعه في فيه * و قال بارك اللهم فيه * ثم شمر للانثناء * بعد
توفية الثناء * فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام * سهَّلتْ عليَّ
ائتناف اغترام * فجردت (١) دينارا آخر و قلت هل لك في ان
تذمَّه * ثم تضمَّه * فانشد مرتجلا * و شدا عجلا * نظم

تَبًّا له من خادع مماذق * أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق و لون عاشق
و حُبُّه عند ذوي الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تُقطع يمينُ سارق * و لا بدت مظلمةٌ من فاسق

(١) - فجردت له *

و لا اشمأز باخل من طارق * و لا شكا الممطول مطل العائق
و لا استعيذ من حسود راشق * و شر ما فيه من الخـلائق
آن ليس يغني عنك في المضائق * الا اذا فر فرار الأبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول الصحق الصادق * لا رأى في وصلك لي ففارق
فقلت له ما اغر وبلك * فقال و الشرط املك * فنفحته بالدينار
الثاني * وقلت له عوّدهما بالمثاني * فالقاه في فمه * وقرنه
بتوأمه * وانكفأ يحمد مغداه * ويمدح النادي و نداه * قال
الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد * وان تعارُجه لكيد *
فاستعدته وقلت له قد عرفتَ بوشيك * فاستقم في مشيك *
فقال ان كنت ابن همام * فحُيّيتَ باكرام * وحييت بين كرام *
فقلت انا الحارث * فكيف حالك و الحوادث * فقال انقلّب في
الحالين بؤس و رَخاء * و انقلب مع الريحين زعزع و رُخاء * فقلت
فكيف ادّعيت القَزَل * وما مثلك من هزَل * فاستسرّ بشرُه
الذي كان تجلى * ثم انشد حين ولى * نظم

تعارجتُ لا رغبةً في العرج * ولكن لاقرع باب الفـرَج
وألقيَ حبلي على غاربي * واسلُك مسلَك من قد مَرَج
فان لامني القوم قلت اعذروا * فليس على اعرَج من هَرَج

المقامة الرابعة الدمياطية

اخبر الحارث بن همام * قال ظعنت الى دمياط * عام هياط
و مياط * و انا يومئذ مرمرق الرخآء * مَرمرق الاخآء * اسحب
مطارف الثرآء * و اجتلي معارف السرّآء * فرافقت صحبا

قد شقوا عصا الشقاق * و ارتضعوا افاريق الوفاق * حتى لاحوا كاسنان المشط في الاستواء * و كالنفس الواحدة في التيام الاهواء * و كنا مع ذلك نسير النجاء * و لا نرحل الا كلّ هوجاء * و اذا نزلنا منزلا * او وردنا منهلا * اختلسنا اللبث * و لم نُطل المكث * فعنّ لنا اِعمالُ الركاب * في ليلة فتية الشباب * غُدافيّة الاهاب * فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه * وسَلتَ الصبح خضابه * فحين مللنا السُّرى * و ملنا الى الكَرى * صادفنا ارضا مخضّلة الرُّبا * معتلّة الصبا * فتخيرناها مناخاللعيس * و محطّا للتعريس * فلما حلها الخليط * و هدأ بها الاطيط و الغطيط * سمعت صَيتاً من الرجال * يقول لسميره في الرحال * كيف حكم سيرتك * مع جيلك و جيرتك * فقال ارعي الجار * ولو جار * و ابذُلُ الوصال * لمن صال * و احتمل الخليط * ولو ابدى التخليط * و اود الحميم * ولو جرعني الحميم * و افضل الشفيق * على الشقيق * و اني للعشير * و ان لم يكافي بالعشير * و استقل الجزيل * للنزيل و اغمر الزميل * بالجميل * و أنزل سميري * منزلة اميري * و احلّ انيسي * محل رئيسي * و اودع معارفي * عوارفي * و اولي مُرافقي * مَرافقي * و ألين مقالي * للقالي * و أديم تسألي * عن السالي * و ارضى من الوفاء * باللفاء * و اقنع من الجزاء * باقل الاجزاء * و لا اتظلّم * حين أظلَم * و لا انقم * و لو لدَغني الارقم * فقال له صاحبه ويك يا بُنيّ انما يُضَنّ بالضنين * و يُنافس في الثمين * لكن انا لا آتي * غير المواتي * و لا اَسِم العاتي * بمُراعاتي * و لا أصافي * من يأبى انصافي * و لا أواخي * من يلغي الاواخي * و لا أُمالي * من يخيّبُ آمالي * و لا أُبالي *

بمن صرّم حبالي * و لا أداري * من جبل مقداري * و لا أعطى
زمامي * من يخفر ذمامي * و لا ابذل ودادي * لاضدادي *
و لا ادّعُ ايعادي * لمعادي * و لا أغرس الايادي * في ارض
الاعادي * و لا أسمح بمواساتي * لمن يفرح بمساآتي * و لا ارى
التفاتي * الى من يشمت بوفاتي * ولا اخُصّ بحبائي * الا
احبائي * و لا استطب لدائي * غير أودّائي * و لا أملّكُ
خُلّتي * من لا يسُدّ خلّتي * و لا أصفى نيّتي * لمن يتمنى
منيتي * و لا أخلص دعائي * لمن لايفعم وعائي * و لا أفرغ
ثنائي * على من يُفرّغ إنائي * و من حكم بان ابذُلَ وتخزُن *
و آلين و تخشُن * و اذوب و تجمُد * و اذكُرَ و تخمُدَ * لا والله بل
نتوازن في المقال * وزن المثقال * و نتحاذى في الفعال * حذو
النعال * حتى نأمن الثعالبَ * و نكفى التضاغن * و الا فلِمَ أعُلّك
و تُعلّمني * و أفُكّ و تستقلني * و أجترح لك و تجرحني *
و اسرح اليك و تسرّحني * و كيف يُجتلَب انصافُ بضَيم *
و انى تشرُق شمسٌ مع غيم * و متى اصحب وُدّ بعَسْف *
و اي حرّ رضيَ بخطة خسْف * و لله ابوك حيث يقول * نظم

جزيتُ من اعلق بي وُدّه * جزاءَ من يبني على أسّه
و كِلْتُ للخل كما كال لي * على وفاء الكيل او بخسه
و لم أخسره و شرّ الورى * من يومه أخسر من امسه
و كل من يطلب عندي جنى * فماله الا جنى غرسه
لا أبتغى الغبن و لا انثني * بصفقة المغبون في حسه
و لست بالموجب حقا لمن * لا يوجب الحق على نفسه
و ربّ مذاق الهوى خالني * اصدقه الود على لبسه

و ما درى من جهله انني * أقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى * و هبه كالملحود في رمسه
و البَسْ لمن في وصله لبسةً * لباس من يرغب عن أنسه
و لا ترجِّ الودَّ ممن يرى * أنك محتاج الى فاسه

قال الحارث بن همام فلما وعيتُ ما دار بينهما * تُقْتُ الى ان اعرفَ عينهما * فلما لاح ابن ذكاء * و الحف الجرَّ الضياء * غدوت قبل استقلال الركاب * و لا اغتداء الغراب * و جعلت أستقري صوبَ الصوت الليلي * و أترسَّمُ الوجوه بالنظر الجلي * الى ان لمحت ابا زيد و ابنه يتحادثان * و عليهما بردان رثَّان * فعلمت انهما نجيَّا ليلتي * و صاحبا روايتي * فقصدتهما قصدَ كلف بدمائهما راث * لرثاثتهما * و ابحتهما التحوُّل الى رحلي * و التحكم في كُثْري و قِلّي * و طفقت أسيِّر بين السيَّارة فضلهما * و أهزُّ الاعواد المثمرة لهما * حتى ثُمِرا بالنُّحلان * و اتخذا من النخلان * و كنا بمُعَرَّس نتبين منه بنيان القُرى * تتنوَّر نيرانَ القرى * فلما رأى ابو زيد امتلاءَ كيسه * و انجلاءَ بؤسه * قال لي ان بدني قد اتسخ * و دَرني قد رسخ * افتأذن لي في قصد قرية لاستحمَّ * و أقضي هذا المهمَّ * فقلت اذا شئت فالسُّرعةَ السُّرعة * و الرجعةَ الرجعة - فقال ستجد مطلعي عليك * اسرع من ارتداد طرفك اليك * ثم استنَّ استنان الجواد في الضمار * و قال لابنه بَدارِ بَدار * و لم نخل انه غرَّ * و طلب المفرَّ * فلبثنا نرقُبُه رقبةَ اهلَّة الاعياد * و نستطلعه بالطلائع و الرُّواد * الى ان هزمَ النهار * و كاد جُرُفُ اليوم ينهار * فلما طال امدُ الانتظار * و لاحت الشمس في الاطمار * قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة *

و تمادينا في الرحلة * الى ان اضعنا الزمان * و بان ان الرجل مان * فتأهبوا للظعن * و لا تلووا على خضراء الدمن * و نهضت لاحدج راحلتي * و اتحمل لرحلتي * فوجدت ابا زيد قد كتب * على القتب * نظم

يا من غدا لي ساعدا * و مساعدا دون البشر
لا تحسبن اني نأيت * تك عن ملال او اشر
لكنني مذ لم ازل * ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرأت الجماعة القتب * ليعذره من كان عتب * فاعجبوا بخرافته * و تعوذوا من آفاته * ثم انا ظعنا * و لم ندر من اعتاض عنا *

المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذرلونين * و قمرها كقعرين من لجين * مع رفقة غذوا بلبان البيان * و سحبوا على سحبان ذيل النسيان * ما فيهم الا من يحفظ عنه * و لا يتحفظ منه * و يميل الرفيق اليه و لا يميل عنه * فاستهوانا السمر * الى ان غرب القمر * و غلب السهر * فلما رق الليل البهيم * و لم يبق الا التهويم * سمعنا من الباب نبأة مستنبح * ثم تلتها صكة مستفتح * فقلنا من الملم * في الليل المدلهم * فقال * نظم

يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا * و لا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا * الى ذريكم شعثا مغبرا
اخا سفار طال و اسبطر * حتى انثنى محقوقفا مصفرا

مثلَ هلال الافق حين افترّا * و قد عرا فناءكم معتـــرّاً
و أمّكـــم دون الانـام طُرّا * يبغي قِرىً منكم و مُستقرّاً
فدونكم ضيفـــا قَنوعا حُرّاً * يرضى بما احلَوْلى و ما امرّاً
و ينثني عنكم يُنَثُّ البِرّا *

قال الحارث بن همام فلما خُلبنا بعُذوبة نطقه * و علمنا ما وراء بَرْقه * ابتدرنا فتح الباب * و تلقيناه بالتّرحاب * و قلنا للغلام هَيّا هيّا * و هلُمّ ما تهيّا * فقال الضيف والذي احلني ذَرَيكم * لا تلّمظت بقريكم * او تضمّنوا لي ان لا تتخذوني كلا * و لا تجشّموا لاجلي أكْلا * فرب أكلةٍ هاضَت الاكِل * و حرمَتْه مآكِل * و شر الاضياف من سام التكليف * و آذى المضيف * و خصوصا اذىً يعتلِقُ بالاجسام * و يفضي الى الاسقام * وما قيل في المثل الذي سار سايرُه * خيرُ العَشاء سوافره * الا ليعجل التعشّي * و يُجتنب اكلُ الليل الذى يعشي * اللهم الا ان تقد نار الجوع * و تحُول دون الهجوع * قال فكأنه أطلع على إرادتنا * فرمى عن قوس عقيدتنا * لاجرم انا آنسناه بالتزام الشرط * و اثنيناه على خُلقه السبط * فلما احضر الغلام ما راج * و اذكى بيننا السراج * تأملته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي لِيَهْنِكم الضيفُ الوارد * بل المغنم البارد * فان يكن أفَل قمر الشّعرى فقد طلع قمر الشّعر * او استسرّ بدر النثرة فقد تبلّج بدر النثر * فسرت حُمَيّا المسرة فيهم * و طارت السِّنَة عن مآقيهم * و رفضوا الدَعَة التي كانوا نَوّوها * و ثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طَوّوها * و ابو زيد مُكبٌّ على اعمال يديه * حتى اذا استرفع ما لديه * قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب

اسمارك * او عجيبة من عجائب اسفارك * فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون * و لا رواه الراوون * و ان من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم * و مصيري الى بابكم * فاستخبرناه عن طُرفة مرآه * في مسرح مسراه * فقال ان مرامي الغربة * لفظّتني الى هذه التربة * و انا ذو مجاعة و بوسى * و جِراب كفؤاد أمّ موسى * فنهضت حين سجا الدجى * على ما بي من الوجى * لارتاد مُضيفا * او اقتاد رغيفا * فساقني حادي السغب * و القضاء المكنى ابالعجب * الى ان وقفت على باب دار * فقلت على بدار *

نظم

حَيّيتُمُ يا اهل هذا المنزل * وعشتُمُ في خفض عيش خضل
ما عذركم لابن سبيل مُرمِل * نضوٍ سُرًى خابط ليلٍ ألْيل
جوى الحشى على الطوى مشتمل * ما ذاق مذ يومان طعمَ مأكل
و لا له في ارضكم من موئل * و قد دجى جنح الظلام المُسبَل
و هو من الحيرة في تململ * فهل بهذا الربع عذبُ المنهل
يقول لي الق عصاك و ادخل * ابشر بيُسْر و قِرًى معجل

قال فبرز اليّ جَوْذَر * و عليه شَوذَر * و قال * نظم

و حرمة الشيخ الذي سنّ القِرى * و اسّس المحجوجَ في أمّ القُرى
ما عندنا لطارق اذا عرى * سوى الحديث والمُناخ في الذرى
و كيف يقري من نفى عنه الكرى * طوي برى اعظُمَه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرتُ ما ترى

فقلت ما اصنع بمنزل قَفْر * و مُنزل حِلفِ فَقْر * و لكن يا فتى ما اسمك * فقد فتنني فهمُك * فقال اسمي زيد * و منشائي فيد * و وردت الى هذه المَدَرة امس * مع اخوالي من بني

عَبْس * فقلت له زدني ايضاحا عِشْتَ * و نُعشتَ * فقال اخبرتني أُمي برَّة * و هي كاسمها برَّة * انها نكحت عام الغارة بماوان * رجلا من سَراة سَروج و غَسَّان * فلما آنس منها الاثقال * و كان باقعةً على ما يقال * ظَعَن عنها سرا * و هلم جرًّا فما يعرف احَيٌّ هو لِيتوقَّع * ام أُودِعَ اللحدَ البلقع * قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات أنه ولدي * و صَدفني عن التعرف اليه صَفُريدي * فصلت عنه بكبدٍ مرضوضة * و دموع مفضوضة * فهل سمعتم يا اولى الالباب * باعجب من هذا العجاب * قلنا لا و من عنده علم الكتاب * فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق * و خلِّدوها بطون الاوراق * فما سُيِّر مثلها في الافاق * فاحضرنا الدواة و آسادِها * و رقشنا الحكاية على ما سردها * ثم استنبطناه عن مرتاه في استضمام فتاه * فقال اذا ثقُل رُدني * خفَّ عليَّ ان اكفُل ابني * فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال * ألفناه لك في الحال * فقال و كيف لا يُقنعُني نصاب * وهل يحتقر قدره إلَّا مصاب * قال الراوي فالتزم منه كل منا قسطا * و كتب له به قِطًا فشكر عند ذلك الصنع * و استنفذ في الثناء الوسع * حتى اننا استطلنا القول * واستقللنا الطول * ثم انه نشر من وشي السمر * ما ازرى بالحِبَر * الى ان اظل التنوير * و جشر الصبح المنير * فقضيناها ليلة غابت شوائبها * الى ان شابت ذوائبها * و كمل سُعودها * الى ان انفطر عودها * و لما ذرَّ قرن الغزالة * طمَرطُمور الغزالة * و قال انهَض بنا لنقبض الصلات * و نستنفضَّ الاحالات * فقد اسطارت صدوعُ كبدي * من الحنين الى ولدي * فوصلت جناحه * حتى سَنَّيتُ نجاحه * فحين احرز العين في صرَّته *

برقت اساريرمسرته * و قال لي جزيتَ خيرا عن خُطا قدميك * و الله خليفتي عليك * فقلت أريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب * و أنافثه لديها يجيب * فنظر اليَّ نظرة الخادع الى المخدوع * و ضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع * ثم انشد * نظم

يا من تظنَّى السراب ماء * لمَّا رَوَيتُ الذي رويتُ
ما خلت ان يستمرَّ مكري * وان يُخيلَ الذي عنيتُ
و الله ما بـرَّة بعـرسي * ولا لي ابنٌ به اكتنيتُ
و انما لـي فنـونُ سحـر * ابدعتُ فيها و ما اقتديتُ
لم يحكها الاصمعيُّ فيما * حكى و لا حاكها الكُميتُ
تخذتُها رُضْلةً و الى ما * تجنيه كفّي متى اشتهيتُ
و لو تعافيتُهـا لحـالت * حالي و لم احوِ ما حويتُ
فمهِّدِ العُـذرَ او فسـامح * ان كنتُ اجرمتُ او جنيتُ

ثم انه ودعني و مضى * و اودع قلبي جمْرَ الغَضا *

المقامة السادسة المراغية

و تعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمرَّاغة * و قد جرى به ذكرُ البلاغة * فاجمع من حضَر من فرسان اليَراعة * و ارباب البراعة * على انه لم يبق من يُنقِّح الانشاء * و يتصرَّف فيه كيف شاء * و لا خلَف * بعد السَّلف * من يبتدع طريقةً غرَّاء * او يفترعُ رسالةً عذراء * و انَّ المفلقَ من كُتَّاب هذا الاوان * المتمكّن من ازمة البيان * كالعيال على الاوائل * و لو ملك فصاحة سحبان

وائل * وكان بالمجلس * كهْل جالس فى الحاشية * و عند مواقف الحاشية * فكان كلما شطّ القوم في شوطهم * ونثروا العَجْوة والنجوة من نَوْطهم * ينبرى تخازرُ طرفه * و تشامُخ انفه * انه مُخْرَنْبِق لينباع * و مُجَرْمِز سيمُدّ الباع * و نابض يبرى النبال * و رابض يبغى النضال * فلما نُثلت الكنائن * و فاءت السكائن * و ركدت الدعازع * و كفّ المُنازع * اقبل على الجماعة و قال لقد جئتم شيئاً إدّاً * وجرتم عن القصد جدّاً * و عظمتم العظام الرُّوات * و افنتم فى الميل الى من فات * و غمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللّدات * و معهم انعقدت المودات * انسيتم يا جهابذة النقد * و موابذة الحل و العقد * ما ابرزته طوارف القرائح * و برّز فيه الجذع على القارح * من العبارات المهذبة * والاستعارات المستعذبة * و الرسائل الموشحة * و الاساجيع المستملحة * و هل للقدماء اذا انعم النظر * من حضر * غير المعانى المطروقة الموارد * المعقولة الشوارد * المأثورة عنهم لتقادم الموالد * لا لتقدم الصادر على الوارد * و اني لاعرف الان من إذا انشأ * وشّى * و إذا عبّر * حبّر * و اذا اسهب اذهب * و اذا اوجز * اعجز * و ان بدّه * شدّه * و متى اخترع * خرّع * فقال له ناظورة الديوان * و عين اولئك الاعيان * من قارع هذي الصّفاة * و قريع هذه الصفات * قال انه قرن مجالك * و قرين جدالك * و اذا شئت فرُضْ نجيبا * و ادع مُجيبا * لترى عجيبا * فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا لاتستنسر * و التمييز عندنا بين الفضة و القضّة متيسّر * و قلّ من استهدف للنضال * فخلص من الداء العُضال * او استثار نقع الامتحان * فلم يقذ بالامتهان * فلا تعرض عرضك للمفاضح * و لا تعرض عن نصاحة الناصح * فقال كل

امرء اعرف بوسم قدحه * و سيتقفّى الليل عن صبحه * فتناجت الجماعة فيما يُسبّر به قليبه * و يعمد فيه تقليبُه * فقال احدهم ذروه في حصّتي * لارميه بحجر قصتي * فانها عُضْلة العُقَد * محكّ المنتقد * فقلّدوه في هذا الامر الزعامة * تقليد الخوارج ابا نعامة * فاقبل على الكهل و قال اعلم انّي أُرالي * هذا الوالي * و أُوقّح حالي * بالبيان المحالي * و كنت استعينُ على تقويم أَوَدي * في بلدي * بسَعَة ذات يدي * مع قلة عددي * فلما ثقل حاذي * و نفد رذاذي * امتُه من ارجائي * برجائي * و دعوته لاعادة رُوائي * و ارواءي * فهش للوفادة و ارتاح * و غدا بالافادة و راح * فلما استأذنته في المَراح * الى المُراح * على كاهل المراح * قال قد ازمعتُ ان لا ازودك بتاتا * و لا اجمع لك شتاتا * او تُنشئ امامَ ارتحالك * رسالةً تودعها شرح حالك * حروف احدى كلمتيها يعمُّها النَّقْطُ * و حروف الاخرى لم يُعجمْ قطّ * و قد استدنيتُ بياني حولا * فما آثار قولا * و نبّهت فكري سَنَةً * فما ازداد الا سِنَة * و استعنتُ بقاطبة الكُتّاب * فكل منهم قطّبَ و تاب * فان كنتَ صدعت عن وصفك باليقين * فأت بآية ان كنت من الصادقين * فقال له لقد استسعيت يعبوبا * و استسقيت أسكوبا * و اعطيت القوس باريها * و انزلت الدار بانيها * ثم فكّر رَيْثَما استجمّ قريحتَه * و استدرّ لقحتَه * و قال له الْقِ دَوانك * و خذ ادانك * و اكتب * (١)

الكرمُ ثبّت اللّهُ جيش سعودك يزين * و اللؤم غضّ الدهرُ جفنَ حسودك يَشين * و الاروعُ يُثيب * و المعورُ يخيب *

---

(١) - و اكتب * و من سوء الظن فتب *

و الحلاحل يضيف * و الماحل يخيف * و السمح يغذي *
و المحك يقذي * و العطاء ينجي * و المطال يشجي * و الدعاء
يقي * و المدح يشقي * و الحر يجزي * و الاباط يخزي * و اطراح
ذي الحرمة غي * و محرمة بني الامال بغي * و ما ضن الا
غبين * و لا غبن الا ضنين * و لا خزن الا شقي * و لا قبض راحه
تقي * و ما فتئ وعدك يفي * و آراؤك تشفي * و حملك
يغضي * و هلالك يضيء * و آلاؤك تغني * و اعداؤك تثني *
و حسامك يفني * و سوددك يبني * و مواصلك يجتني *
و مادحك يقتني * و سماحك يغيث * و سماؤك تغيث * و درك
يفيض * و ردك يغيض * و مؤملك شيخ حكاه فيء * و لم يبق
له شيء * امك بظن حرمه يثب * و مدحك بنخب مهورها
تجب * و مرامه يخف * و اوامره تشف * و اطراؤه تجتذب *
و ملامه يجتنب * و وراءه ضفف * مسهم شظف * و حظهم جنف *
و عمهم قشف * و هو في دمع يجيب * و وله يذيب * و هم
تضيف * و كمد نيف * لمامول خيب * و اهمال شيب *
و عدو تيب * و هدو تغيب * و لم يزغ ودك فيغضب * و لا خبث
عودك فيقضب * و لا نفث صدره فينفض * و لا نشز وصله
فيبغض * و ما يقتضي كرمك نبذ حرمه * فبيض املك بتخفيف
المه * يثث حمدك بين عالمه * بقيت لاماطة شجب * و اعطاء
نشب * و مداوة شجن * و مراعاة يفن * موصولا بخفض *
و سرور غض * ما غشي معهد غني * و خشي وهم غبي *
و السلام * فلما فرغ من املاء رسالته * و جلى في هيجاء
البلاغة عن بسالته * ارضته الجماعة فعلا و قولا * و اوسعته حفاوة

وطولا * ثم سئل من اي الشعوب نجاره * و في اي الشعاب وجاره فقال * نظم

غسان اسرتي الصميمه * و سروج تربتي القديمه
والبيت مثل الشمس اشـ*ـراقا و منـزلة جسيمه
و الربع كالفردوس مطـ*ـيبة و منزهة و قيمه
واها لعيش كان لي * فيهـا و لذات عميمه
ايام اسحب مطـرفي * في روضها ماضي العزيمه
اختال في بـرد الشبا*ب واجتلي النعم الوسيمه
لا اتقـي نوب الزما*ن و لا حوادثه الملمه
فلو ان كربا متلفي * لتلفت من كربي المقيمه
او يفتدى عيش مضى * لفدته مهجتي الكريمه
فالموت خير للفـتى * من عيشه عيش البهيمه
تقتـاده برة الصغا * ر الى العظيمة و الوضيمه
و يرى السباع تنوشها * ايدي الضباع المستضيمه
و الذئب للايام لو * لا شومها لم تنب شيمه
و لو استقامت كانت الاحوال فيهـا مستقيمه

ثم ان خبرة نما الى الوالي * فملأ فاه باللالي * و سامه ان ينضوي الى آحشائه * و يلي ديوان انشائه * فاحسبه الحياء * و ظلفه عن الولاية الاباء * قال الراوي و كنت عرفت عود شجرته * قبل ايناع ثمرته * و كدت انبه على علو قدره * قبل استنارة بدره * فاوحى الي بايماض جفنه * ان لا اجرد عضبه من جفنه * فلما خرج بطين الخرج * و فصل فائزا بالفلج * شيعته قاضيا حق الرعاية * و لاحيا لي

على رَفْض الولاية * فاعرض متبسّما * و انشد متر نّما * نظم

لجَوْب البلاد مع المتربة * احب الي من المرتبه
لان الولاة لهم نَبْـوة * و مَعْتَبَة يا لهـا مَعتبه
و ما فيهم من يرُبّ الصنيع * ولا من يُشَيّد ما رتّبه
فلا يخدعَنْك لُموعُ السَّرا * ب ولاتأت امر اذا ماالشتبه
وكم حالمٍ سره حُلْمُـه * و ادركه الروعُ لما انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من بَرْقَعيد * و قد شمتُ برقَ عيد * فكرهت الرحلة عن تلك المدينة * او اشهد بها يومَ الزينة * فلما اظلّ بفرضه و نفله * و اجلب بخيله و رَجله * اتبعتُ السنة في لُبس الجديد * و برزت مع من برز للتعييد * و حين التأم جمعُ المصلّى و انتظم * و اَخذ الزّحام بالكَظم * طلع شيخ في شَمْلتين * معجوبُ المُقلتين * و قد اعتضد شبهَ المخلاة * و استقاد لعجوز كالسّعلاة * فوقف وقفةَ مُتهافت * و حيي تحيّة خائف * و لما فرغ من دعائه * اجال خَمْسَه في وعائه * فابرز منه رقاعا قد كتبْنَ بالوان الاصباغ * في آوان الفَراغ * فناولهنّ عجوزه الحيزبون و امرها ان تقوسّم الزبون * فمن آنست ندى يديه * القت ورقة منهن لديه * قال فاتاح لي القدر المعتوب * رقعة فيها مكتوب * نظم

لقد اصبحتُ موقوذا * باوجـاع و اوجال
و ممنُـوًّا بمختـال * و محتال و مغتـال
و خَوّان من الاخـوا * ن قالٍ لي لا قلا لي

و اعمال من العُمـــا * ل في تضليع اعمـــالي
فكم أصلى باذحال * و أمحـــال و ترحال
و كم اخطرُ في بال * ولا اخطُـــرُ في بال
فليتَ الدهرَ لمـّـا جا * راطفى لِيَ اطفـــالي
فلـو لا انَّ اشبالـــ * ـي اغلالي و اعلالـي
لما جهّزتُ آمالي * الـى آل ولا وال
ولا جررت اذيالي * على مَسحَب اِذلالي
فمحرابيَ احرابي * و اَسمـالِيَ اسمى لي
فهل حرٌّ يرى تخفيـ * ـفَ اثقـــالي بمثقالي
و يُطفي حر بلبالي * بسربال و سِـــروال

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلة الابيات نقت الى معرفة مُلحمها * و راقم عَلَمها * نناجاني الفكر بان الوُصْلة اليه العجوز * و افتاني بان حُلوانَ المعرف يجوز * فرصدتها و هي تستقرى الصفوف صفًّا صفا * و تستَوْكفُ الاكفَّ كفًّا كفا * و ما ان ينجح لها عناء * و لا يرشح على يدها اناء * فلما اكدى استعطافها * و كدَّها مطافُها * عاذت بالاسترجاع * و مالت الى ارتجاع الرقاع * و انساها الشيطانُ ذكرَ رُقْعتي * فلم تعُجْ الى بُقعتي * وآبت الى الشيخ باكية للحرمان * شاكية تحامُل الزمان * فقال إنَّا لله * و أفوّض امري الى الله *

ولا حول و لا قوة الا بالله * و انشد * نظم

لم يبق صافٍ ولا مصافٍ * و لا مَعينٌ و لا مُعينُ
و في المساوي بدا التساوي * فـلا اميـنٌ ولا ثمـيـنُ

ثم قال لها مَنّى النفس و عِديها * و اجمعى الرِقاع و عُدّيها

فقالت لقد عددتها لما استعدتها * فوجدت يد الضياع * قد غالت احدى الرقاع * فقال تعسًا لك يا لكاع * انحرم وتحك القناص و الحبالة * و القبس و الذبالة * انها لضغث على إبالة * فانصاعت تقص مدرجها * و تنشد مدرجها - فلما دانتني قرنت بالرقعة * درهما و قطعة * و قلت ان رغبت في المشوف المعلم * و اشرت الى الدرهم * فبوحي بالسر المبهم * و ان ابيت ان تشرحي * فخذي القطعة و اسرحي * فمالت الى استخلاص البدر التم * و الابلج الهم * و قالت دع جدالك * و سل عما بدا لك * فاستطلعتها طلع الشيخ و بُلْدته * و الشعر و ناسج بُردته * فقالت ان الشيخ من اهل سروج * و هو الذي وشّى الشعر المنسوج * ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق * و مرقت مُروق السهم الراشق * فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه * و تاجّج كربي لمُصابه بلظَيْه * و آثرتُ ان افاجيه و أفاحيه * لاعجم عُود فراستي فيه * و ما كنت لاصلَ اليه الا بتخطي رقاب الجمع * المنهيّ عنه في الشرع * و عفت ان يتأذى بي قوم * او يسري الي لوم * فسدكت بمكاني - و جعلت شخصه قيد عياني - الى ان انقضت الخطبة * و حقّت الوثبة * فخففت اليه * و توسمته على التحام جفنيه * فاذا المعيّتي المعيّة ابن عباس * و فراستي فراسة اياس * فعرفته حينئذ شخصي * و آثرته باحد قُمْصي * و اهبت الى قُرْصي * لمعارفتي فهشّ وعرفاني * و لبّى دعوة رُغْفاني * فانطلق و يدي زمامهُ * و ظلي إمامهُ * و العجوز ثالثة الاثافي * و الرقيب الذي لا يخفى عليه خافي * و لما استحلس وُكْنتي * و احضرته عجالة مكنتي * قال يا حارث * امعنا ثالث * فقلت

ليس الا العجوز * فقال ما دونها سر محجوز * ثم فتح كريمتيه * و رأرأ بتوأمتيه * فاذا سراجا وجهه يقدان * كانهما الفرقدان * فابتهجت بسلامة بصره * و عجبت من غرائب سيره * و لم يلقني قرار * ولا طاوعني اصطبار * حتى سألته ما دعاك الى التعامي * مع سيرك في المعامي * و جوبك الموامي * و ايغالك في المرامي * فتظاهر باللكنة * و تشاغل باللهنة * حتى اذا قضى وطره * أثار اليّ نظره * و انشد * نظم

و لما تعامى الدهر و هو ابو الورى * عن الرشد في انحائه و مقاصده
تعاميت حتى قيل اني اخو عمى * و لا غروان يحذر الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف * و ينقى الكف * و ينعم البشرة * و يعطر النكهة * و يشد اللثة * و يقوي المعدة * و ليكن نظيف الظرف * اريج العرف * فتيّ الدق * ناعم السحق * يحسبه اللامس ذرورا * و يخاله الناشق كافورا * و اقرن به خلالة نقية الاصل * محبوبة الوصل * انيقة الشكل * مدعاة الى الاكل لها نحافة الصب * و صقال العضب * و آلة الحرب * و لدونة الغصن الرطب * قال فنهضت فيما امر * لادرأ عنه الغمر * و لم اهم انه قصد ان يخدع * بادخالي المخدع * و لا تظنيت انه سخر من الرسول * في استدعاء الخلالة و الغسول * فلما عدت بالملتمس * في رب من رجع النفس * وجدت الجو قد خلا * و الشيخ و الشيخة قد اجفلا * فاستشطت من مكره غضبا * و اوأغلت في اثره طلبا * فكان كمن قبس في الماء * او عرج به الى عنان السماء *

المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحارث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان * ان تقدّم خصمان * الى قاضي مَعَرَّة النعمان * احدهما قد ذهب منه الاطيبان * و الاخر كانه قضيب البان * فقال الشيخ ايّد الله القاضي * كما ايد به المتقاضي * انه كانت لي مملوكة رشيقة القد * اسيلة الخد * صبور على الكد * تخب احيانا كالذهد * و ترقد اطوارا في المهد * و تجد في تموز مَسّ البرد * ذاتُ عقل و عِذان * و حد وسنان * و كف بنان * و فم بلا اسنان * تلدغ بلسان نضناض * و ترفل في ذيل فضفاض * و تجلى في سواد و بياض * و تسقى و لكن من غير حياض * ناصحة خُدَعة * خُبَأة طُلَعة * مطبوعة على المنفعة * و مطواعة في الضيق و السَّعة * اذا قطعتْ وصلتْ * و متى فصَلْتها عنك انفصلتْ * و طالما خدمتْك فجمّلت * و ربما جنت عليك فآلمت و مَلملت * و ان هذا الفتى استخدمنيها لغرض * فاخدمته اياها بلا عوض * على ان يجتني نفعها * و لا يكلفها الا وُسْعها * فاولج فيها متاعه * و اطال بها استمتاعه * ثم اعادها و قد افضاها * و بذل عنها قيمةً لا ارضاها * فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من القَطا * و اما الافضاءُ ففرط عن خطاء * و قد رهنتهُ * عن أَرْش ما اوهنته * مملوكا لي متناسبَ الطرفين * منتسبا الى القَين * نقيًّا من الدَرَن و الشين * يقارن محلّه سَوادَ العين * يغشى الاحسان * و ينشئ الاستحسان * و يُغذي الانسان * و يتحامى اللسان * ان سُوِّد جاد * و ان وُسِم اجاد * و اذا زُوِّد وهَب الزاد * و متى استُزيدَ زاد * لا يستقرُّ بمغنى * و قلّما ينكح الا مَثْنى * يسخو بموجوده * و يسمو عند جوده *

وينقاد مع قرينته * وان لم تكن من طينته * و يستمتع بزينته * وان لم يطمع في لينته * فقال لهما القاضي اما ان تبينا * والا فبينا * فابتدر الغلام وقال * نظم

اعارني ابرةً لارفوَ اطـ*ـمارا عفاها البلى و سودّها
فاخرمت في يدي على خطاء * مني لما جذبتُ مقودها
فلم ير الشيخ ان يسامحني * بارشهـا اذ رأى تأودها
بل قال هات ابرة تماثلها * او قيمة بعد ان تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه ونا * شيك بهـا سبـة تزودها
فالعين مرهى لرهنه و يدي * تقصُر عن ان تفُكّ مرودها
فاسبُر بذا الشرح غورَ مسكنتي * وارْثَ لمن لم يكن تعودّها

فاقبل القاضي على الشيـخ وقال ايه * بغـير تمـويه * فقال * نظم

أُقسم بالمشعر الحرام ومن * ضم من الناسكين خَيفُ منى
لو ساعقتني الايـام لم ترني * مُـرتهنا ميله الـذي رَهَنـا
ولا تصدَّيتُ ابـتـغي بدلا * من إبـرة غـالها ولا ثمنـا
لكنَّ قوسَ الخطوب ترشُقُني * بمصميات من ها هنا وهنا
و خُبْـر حالي كخُبر حالته * ضُـرًّا و بؤسا وغـــربة وضنى
قد عـل الـدهر بيننـا فانا * نظيـره في الشقـاء وهوانا
لا هو يستطيـع فكّ مرودهِ * لسـا غـدا في يـدي مـرتهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي * فيه اتساع للعفو حين جنى
فهـذه قصتـي و قصتُـه * فانظر الينـا و بينـنـا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما * وتبين خصاصتهما و تخصصهما * ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه * وقال اقطعا به الخصام وانصلاه * فتلقفه الشيخ دون الحدَث * واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث *

و قال للحدث نصفه لي بسهام مبرّتي * و سهمك لي عن آرش إبرتي
و لست عن الحق اميل - فقم و خذ الميل * فعرى الحدث * لما
حدث * اكتياب وجم له قلب القاضي * و هيّج اسفه على الدينار
الماضي * الا انه جبر بال الفتى و بلباله * بدريهمات رضخ بها له *
و قال لهما اجتنبا المعاملات * و ادرءا المخاصمات * و لا تحضراني
في المحاكمات * فما عندي كيس الغرامات * فنهضا من عنده *
فرحين بوفده * مغتبطين بحمده * و القاضي ما يخبو ضجره *
مذ بضّ حجره * و لا ينفصل كمده * مذ رشح جلمده * حتى اذا
افاق من غشيته * اقبل على غاشيته * و قال قد اشرب حسّي *
و نبّأني حدسي * انهما صاحبا دهاء * لا خصما ادعاء *
فكيف السبيل الى سبرهما * و استنباط سرّهما * فقال له تحرير
زمرته * و شرارة جمرته * انه لن يتمّ استخراج خبئهما * الا بهما *
فقفاهما عونا يرجعهما اليه * فلما مثلا بين يديه * فقال لهما اصدقاني
سنّ بكركما * و لكما الامان من تبعة مكركما * فاحجم الحدث
و استقال * و اقدم الشيخ و قال * نظم

انا السروجي و هذا ولدي * و الشبل في المخبر مثل الاسد
و ما تعدّت يده و لا يدي * في إبرة يوما و لا في مرود
وانما الدهر المسيئ المعتدي * مال بنا حتى غدونا نجتدي
كلّ ندى الراحة عذب المورد * و كلّ جعد الكف مغلول اليد
بكل فن و بكل مقصد * بالجد ان اجدى و الا بالدد
لنجلب الرشح الى الحظ الصدي * و ننفد العمر بعيش انكد
و الموت من بعد لنا بالمرصد * ان لم يفاجئ اليوم فاجئ في غد

فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثاتك فيك * و واها لك

لولا خداعُ فيك * وإني لك لمن المنذرين * و عليك من الحذرين * فلا تماكر بعدها الحاكمين * و انق سطوةَ المتحكّمين * فما كل مُسَيْطِر يُقيل * و لا كلَّ آوان يُسمع القيل * فعاهده الشيخ على اتباع مشورته * و الارتداع عن تلبيس صورته * و فصّل عن جِهَته * و الخَتْرِ يلمع من جَبْهته * قال الحارث بن همام فلم ار اعجب منها في تصاريف الاسفار * و لا قرأت مثلها في تصانيف الاسفار *

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مَرَحُ الشباب * و هوى الاكتساب * الى ان حَبَتْ مابين فَرْغانة * و غانة * اخوض الغمار * لاجني الثمار * و اقتحم الاخطار * لكي ادرك الاوطار * و كنت لقفت من افواه العلماء * و ثقفت من رضايا الحكماء * انه يلزم الاديب الاريبَ * اذا دخل البلد الغريب * ان يستميل قاضيه * و يستخلص مراضيه * ليشتدَّ ظهرُه عند الخصام * و يأمن في الغربة جور الحكام * فاتخذت هذا الادب إماما * و جعلته لمصالحي زماما * فما دخلت مدينة * و لا ولَجت عَرِينة * إلّا و امتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح * و تقوّيت بعنايته تقوّيَ الاجساد بالارواح * فبينما انا عند حاكم الاسكندرية * في عشيةٍ عريةٍ * و قد احضر مال الصدقات * ليُفضَّة على ذوي الفاقات * اذ دخل شيخ عِفْرِيَة * تعتله امرأة مُصيبَة * فقالت ايّد الله القاضي * و ادام به التراضي * اني امرأة من اكرم جُرثومة * و اطهر ارومة * و اشرف خُوُولَة و عمومة * ميسمي الصَّون * و شيمتي الهَون * و خُلقي نِعَم

العون * و بيني و بين جاراتي بون * و كان ابي اذا خطبني بناة المجد * و ارباب الجد * سكتهم و بكتهم * و عاف وصلتهم و صلتهم * و احتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة * ان يصاهر غير ذي حرفة * فقيض القدر لنصبي و وصبي * ان حضر هذا الخدعة نادى ابي * فاقسم بين رهطه * انه وفق شرطه * و ادعى انه طالما نظم درة * فباعهما ببدرة * فاغتر ابي بزخرفة مقاله * و زوجنيه قبل اختبار حاله * فلما استخرجني من كناسي * و رحلني عن اناسي * و نقلني الى كسره * و حصلني تحت اسره * وجدته قعدة جثمة * و القيته ضجعة نومة * وكنت صحبته برياش و زي * و اثاث و ري * فما برح يبيعه في سوق الهضم * و يتلف ثمنه في الخضم و القضم * الى ان مزق ما لي باسره * و انفق مالي في عسره * فلما انساني طعم الراحة * و غادر بيتي انقى من الراحة * قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بؤس * و لا عطر بعد عروس * فانهض للاكتساب بصناعتك و اجنني ثمرة براعتك * فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد * لما ظهر في الارض من الفساد * و لي منه سلالة * كانه خلالة * و كلانا ما ينال معه شبعة * و لا ترقأ له من الطوى دمعة * و قد قدته اليك * و احضرته لديك * لتعجم عود دعواه * و تحكم بيننا بما آراك الله * فاقبل القاضي عليه و قال له لقد وعيت قصص عرسك * فبرهن عن نفسك * و الا كشفت عن لبسك * و امرت بحبسك * فاطرق اطراق الافعوان * ثم شمر للحرب العوان * و قال * نظم

اسمع حديثي فانه عجب * يضحك من شرحه و يلتحب
انا امرؤ ليس في خصائصه * عيب و لا في فخاره ريب

سروج قاري التي وُلدتُ بها * والاصل غسّان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في الـ ـعلم طلابي وحبّذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي * منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فاخـ ـتار اللالي منها وانتخب
واجتني اليانع جانبيّ من الـ ـقول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا * ما صُغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل معتري نشبا * بالادب المقتنى واحتلب
ويمتطي اخمصي لحرمته * مراتبا ليس فوقها رُتب
وطالما زُفّت الصلات الى * رَبعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به * اكسد شيء في سوقه الادب
لا عرضُ ابنائه يصان ولا * يُرقّب فيهم إلٌّ ولا سبب
كانهم في عراصهم جيفٌ * يبعد من نتنها ويجتنب
فجار لُبّي لما منيت به * من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي * وصاورتني الهموم والكرب
وقادني دهري المايم الى * سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبقَ لي لَبَد * ولا بتات اليه أنقلب
وآدنت حتى اثقلت سالفتي * بحمل دَين من دونه العَطَب
ثم طويت الحشا على سغَب * خمسا فلما امضّني السغَب
لم ار الا جهازها عرضا * اجول في بيعه واضطرب
فجُلْت فيه والنفس كارهة * والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به * حدّ التراضي فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها * ان بناني بالنظم تكتسب
او انني اذ عزمت خطبتها * زخرفت قولي لينجح الاَرَب

فوالذي سارت الرفاق الى * كعبته تستحثها النُّجب
ما المكر بالمحصنات من خُلقي * ولا شعاري التمويه و الكذب
ولا يدي مذ نشأتُ نيطُ بها * الا مواضي اليراع و الكتُب
بل فكرتي تَنظِم القلائد لا * كفّي وشعري المنظوم لا السُّخب
فهذه الحرفة المشار الى * ما كنت احوي بها و اجتلب
فاذَنْ لشرحي كما اذنت لها * وُ لاتراقب و احكم بما يجب

قال فلما احكم ما شاده * واكمل انشاده * عطف القاضي الى الفتاة * بعد ان شُغف بالابيات * و قال امّا انه قد ثبت عند جميع الحكام * و وُلاة الاحكام * انقراض جيل الكرام * و ميلُ الايام الى اللئام * و اني لاَخالُ بعلّك صدوقا فى الكلام * دريا من العلم * و ها هو قد اعترف لك بالقرض * و صرّح عن المحض * و بيّن مصداق النظم * و تبيّن انه معروق العظم * و اعنات المعذر ملامة * و حبس المعسر مأثمة * و كتمان الفقر زهادة * و انتظار الفَرَج بالصبر عبادة * فارجعي الى خِدرك * و أعذِري ابا عُذرك * نهنهي من غربك * و سلّمي لقضاء ربك * ثم انه فرض لهما فى الصدقات حصة * و ناولهما من دراهمها قبصة * و قال لهما تعللا بهذه العُلالة * و تذرّيا بهذه البلالة * و اصبرا على كيد الزمان و كدّه * فعسى الله ان يأتي بالفتح او امرٍ من عنده * فنهضا و للشيخ فرحة الطّلق من الاسار * و هزّة الموسر بعد الاعسار * قال الراوي و كنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه * و نزغت عِرسه * و كدت أفصح عن افتنانه * و اثمار افنانه * ثم اشفقت من غُتور القاضي على بهتانه * و تزويق لسانه * فلا يرى عند عرفانه * ان يُرشّحه لاحسانه * فاحجمت عن القول

احجام المُرتاب * و طويت ذكره كطيّ السّجِل للكتاب * الا اني قُلت بعد ما نصّل * و وصل الى ما وصل * لو ان لنا من ينطلق في اثره * لاتانا بفصّ خبره * ما ينشُر من حبَره * فاتبعه القاضي احد آمنائه * و امره بالتجسّس على انبائه * فما لَبث ان رجع متدهدها * و قهقر مقهقها * فقال له القاضي مَهْيَم * يا ابا مريم * فقال لقد عاينت عجبا * و سمعت ما انشأ لي طربا * فقال له ما دا رأيت * و ما الذي رميت * قال لم يزل الشيخ مذ خرج يُصفّق بيديه * و يُخالف بين رِجليه * و يُغرّد بملء شِدْقَيه * و يقول * نظم

كدت اصلى ببليه * من وقاح شمّريه
و ازور السّجن لولا * حاكم الاسكندريه

فضحك القاضي حتى هوت دنيتّه * و ذوت سكينته * قال فلما فآء الى الوقار * و عقّب الاستغراب بالاستغفار * قال اللهم بحرمة عبادك المقربين * حرّم حبسي على المتأدبين * ثم قال لذلك الامين عليّ به * فانطلق مجدا في طلبه * ثم عاد بعد لأْيه * مخبرا بنَأْيه * فقال القاضي اما انه لو حضر * لكُفي الحذر * ثم لاوليته ما هو به أولى * و لاريته ان الاخرة خير له من الأُولى * قال الحارث بن همام فلما رأيت صَغَوَ القاضي اليه * و فوت ثمرة التنبيه عليه * غشيتني ندامة الفرزدق حين ابان الدّوار * والكُسعيّ لما استبان النهار *

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق * الى رَحْبَة مالك بن طَوْق * فلبّيته ممتطيا شِمِلّة * ومنتضيا عزمة

مُشمعلّة * فلما القيت بها المراسي * و شددت امراسي * و بَرزْت من الحمام بعد سَبْت رأسي * رأيت غلاما أفرغَ في قالب الجمال * و ألبس من الحسن حلة الكمال * و قد اعتلق شيخ بردنه * يدّعي انه فتك بابنه * و الغلام يُنكر عِرفتَه * و يكبر قِرفته * و الخصام بينهما متطائر الشَّرار * و الزّحام عليهما يجمع بين الاخيار و الاشرار * الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللّدد * بالتنافر الى والى البلد * و كان ممن يُزَنّ بالبَنات * و يُغالب حبّ البنين على البنات * فاسرعا الى نَدْوته * كالسُّلَيْك في عدوته * فلما حضراه * جدّد الشيخ دعواه * و استدعى عدواه * فاستنطق الغلام و قد فتنه بمَحاسن غُرّته * و طَرّ عقله بتصفيف طُرّته * فقال انها افيكة أفّاك * على غير سفاك * و عضيهة محتال * على من ليس بمغتال * فقال الوالى للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين * و الا فاستوف منه اليمين * فقال الشيخ انه جَدّله خاسيا * و افاح دمه خاليا * فانى لي شاهد * و لَم يكن ثم مشاهد * و لكن ولّني تَلْقيَة اليمين * ليبين لك أيَصدَق ام يمين * فقال له انت المالك لذلك * مع وجدك المتهالك * على ابنك الهالك * فقال الشيخ للغلام قل و الذي زيّن الجباه بالطُّرَر * والعُيون بالحَوَر * و الحواجب بالبَلَج * والمباسم بالفلج * و الجُفون بالسَّقَم * و الأنوف بالشمم * و الخدود باللهب * و الثغور بالشنب * و البنان بالقرف * و الخصور بالهيف * إنني ما قتلت ابنك سهوا و لا عمدا * و لا جعلت هامَته لسيفي غِمْدا * و الا فرمى الله جفني بالعَمَش * و خَدّي بالقَمَش * و طُرّتي بالجَلَح * و طلعي بالبلج * و وردي بالبَهار * و مسكتي بالبُخار * و بدري بالمُحاق * و فضتي

بالاحتراق * و شعاعي بالاظلام * و دواتي بالاقلام * فقال الغلام الاصطلاء بالبلية * و لا الايلاء بهذه الالية * و الانقياد للقود * ولا الحلف بما لم يحلف به احد * و ابى الشيخ الا تجريعه اليمين التي اخترعها * و امقراله جرعها * و لم يزل اللاحي بينهما يستعر * و محجة التراضي تعر * و الغلام في ضمن تأبيه * يخلب الوالي بقلبه * و يطمعه في ان يلبيه * الى آن ران هواه على قلبه * و الب بلبه * و سول له الوجد الذي تيممه * والطمع الذي توهمه * ان يخلص الغلام و يستخلصه * و ان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه * فقال للشيخ هل لك فيما هو ألبق بالاقوى * و اقرب للتقوى * فقال إلام تشير لاقتفيه * و لا آنف فيه * قال ارى ان تقصر عن القيل و القال * و تقتصر على مائة مثقال * لاتحملَ منها بعضا * و اجتبي لك الباقي عرضا * فقال الشيخ ما مذهبي خلاف * فلا يكن لوعدك إخلاف * فنقده الوالي عشرين * و وزع على وزعته تكملة خمسين * و رق ثوب الاصيل * و انقطع لأجله صوب التحصيل * فقال له خذ مارجا * و دع اللجاج * و طي في غدٍ ان اتوصل * الى ان يفض لك الباقي و يتحصل * فقال الشيخ افعل ذاك على ان الزمه ليلتي * و يرعاه انسان مقلتي * حتى إذا اعفى بعد اسفار الصبح * بما بقي من مال الصلح * تخاصت قائبة من قوب * و برئ برآءة الذئب من دم ابن يعقوب * فقال له الوالي ما اراك سمت شططا * و لا رمت فرطا * قال الحارث بن همام فلما رايت حجج الشيخ كالحجج السريجية * علمت انه عالم السروجية * فلبثت الى ان زهرت نجوم الظلام * و انتثرت عقود الزحام * ثم قصدت فناء الوالي * فاذا الشيخ للفتى كالي * فنشدته

الله اهو ابو زيد * فقال اي ومُحِلّ الصيد * فقلت من هذا الغلام * الذي هفت له الاحلام * فقال هو فى النسب فَرْخي * و فى المَكْسب فَخّي * قلت فهلاّ اكتفيت بمحاسن فطرته * و كفيت الوالى الافتتان بطُرّته * فقال لو لم تُبْرِز جبهته السين * لما قنفشت الخمسين * ثم قال بيت الليلة عندي لنُطْفئ نار الجوى * و نُديل الهوى * من النوى * فقد اجمعت على ان انسلّ بسُحْرة * و اُصْلي قلب الوالي نار حسرة * قال فقضيت الليلة معه في سمر * آنق من حديقة زهر * و خميلة شجر * حتى اذا لالا الأُفق ذَنَبُ السِّرْحان * و آن انبلاج الفجر وحان * ركب متن الطريق * و اذاق الوالي عذاب الحريق * و سلم اليّ ساعة الفراق * رقعة محكمة الالصاق * و قال ادفعها الى الوالي اذا سُلب القرار * و تحقق منا الفرار * ففَضَضْتُها فعل المُتَمَلِّس * من مثل صحيفة المتلمّس * فاذا فيها مكتوب * نظم

قل لوالٍ غادرته بعد بيني * نادما سادما يعَضُّ اليَدَيْن
سَلَب الشيخُ ما له و فتاه * لُبّه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعيى هواه * عينَه فانثنى بلا عينين
خفّض الحزن يا مُعنّى فما يُجـ ـدي طلاب الاثار من بعد عين
و لئن جل ما عراك كما جَـ ـلّ لدى المسلمين رُزْء الحُسين
فقد اعتضتَ منه فهْما و حَزْما * و اللبيب الاريب يبغي ذين
فاعص من بعدها المطامع و اعلم * انّ صيد الظباء ليس بهين
لا و لا كل طائر يابج الفـ ـخ و لو كان مُحدّقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيـ ـد و لم يلقَ غير خُفّي حُنين
فتبصّر و لا تَشِـ ـم كل برق * ربّ برق فيه صواعق حين

واغضُض الطرف تستروح من غَرام * تكتسي فيه ثوبَ ذُلٍّ و شين
فبلاء الفتي اتباع هوى النفس و بذرُ الهوى طُموحُ العين
قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر * و لم أبلْ أعدل ام عذر *

المقامة الحادية عشرة الساوية

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة * حين حللت ساوة * فاخذت بالخبر المأثور * في مداواتها بزيارة القبور * فلما صرت الى محلّة الاموات * و كفات الرُّفات * رأيت جمعا على قبر يُحفَر * و عجوز يُقبَر * فانحزت اليهم مفكرا في المآل * و متذكرا مَن درج من الآل * فلما الحدوا الميّت * و فات قولُ ليت * اشرف شيخ من رباوة * متخصّرة بهراو * و قد لفّع وجهه برادنه * و نكّر شخصه ادهانه * فقال لمثل هذا فليعمل العاملون * فالذّكروا ايها الغافلون * و شمّروا ايها المقصرون * و احسنوا النظر ايها المتبصرون * ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب * و لا يهولكم هيل التراب * و لا تعبأون بنوازل الاحداث * و لا تستعدون لنزول الاجداث * و لا تستعبرون لعين تدمع * و لا تعتبرون بنعي يُسمَع * و لا ترتاعون لالف يُفقد * و لا تلتاعون لمُناحة تُعقد * يُشيّع احدُكم نعش الميّت * و قلبه تلقاء البيت * و يشهد موارة نسيبه * و فكره في استخلاص نصيبه * و يخلّي بين ودوده و دوده * ثم يخلو بمزماره و عوده * طالما آسيتم على إنثلام الحُبّة * و تماسيتم اختزام الاحبة * و استكنتم لاعتراض العسرة * و استهنتم بانقراض الاسرة * و ضحكتم عند الدفن * و لا ضحكم ساعة الزّفن * و تبخترتم خلف الجنائز * و لا تبخترُكم يوم قبض الجوائز * و اعرضتم عن

تقديد الذوائب * الى اعداد المآدب * و عن تحرق الثواكل * الى التأنق في المآكل * لا تبالون بمن هو بال * و لا تخطرون ذكر الموت ببال * حتى كأنكم قد علقتم من الحمام * بذمام * او حصلتم من الزمان * على امان * او وثقتم بسلامة الذات * و تحققتم مسالمة هادم اللذات * كلا ساء ما تتوهمون * ثم كلا سوف تعلمون * ثم انشد * نظم

ايا من يدعي الفهم - الى كم يا اخا الوهم - تعبّي الذنب و الذمّ
و تخطي الخطأ الجمّ

اما بان لك الغيبُ - اما ادرك الشيب - و ما في نصحه ريب
و لا سمعك قد صم

اما نادى بك الموت - اما اسمعك الصوت - اما تخشى من الفوت
فتحتاط و تهتم

فكم تسدر في السهو - و تختال من الزهو - و تنصبُّ الى اللهو
كان الموت ما عم

و حتّام تجافيك - و ابطاءُ تلافيك - طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم

اذا اسخطت مولاك - فما تَقْلقُ من ذاك - و ان اخفق مسعاك
تلظيت من الهم

و ان لاح لك النقش - من الاصفر تهش - و ان مر بك النعش
تغاممت و لا غم

تحاصي الخاصح البرّ - و تعتاص و تزورُّ - و تنفاد لمن غرّ
و من مان و من نم

و تسعى في هوى النفس - و تحتال على الفلس - و تنسى ظلمة الرمس

ولا تـــذكـــر ما ثم

ولو لاحظك الحَظُّ - لما طاح بك الحظ - ولا كنت اذا الوعـظ
جلا الاحزان تغتـــم

ستُذرى الدم لا الدمع - اذا عاينت لا جمع - بقى في عرصة الجمع
ولا خـــال ولا عـــم

كأنى بك تنحط - الى اللحـــد وتنغطّ - وقد اسلمك الرهط
الى اضيـــق من سمّ

هناك الجسم ممدود - ليستاكلـــه الدود - الى ان ينخر العود
ويمسى العظم قد رم

ومن بعد فـــلا بد - من العرض اذا اعتد - صراط جسـره مد
على النـــار لمـــن ام

فكم من مرشد ضلّ - ومن ذي عزة ذلّ - وكم من عالم زلّ
وقال الخطب قد طم

فبادر ايهـــا الغمر - لما يحلـــو به المُر - فقد كاد يهى العمر
وما اقلعت عـــن ذم

ولا تركن الى الدهر - وان لان وان سر - فخلفى كمن اغتـــر
بافعىً تنفث السـم

وخفض من تراقيك - فان الموت لاقيك - وسارٍ في تراقيـك
وما ينكُـل ان همّ

وجانب صَعَرَ الخد - اذا ساعدك الجـدُّ - وزم اللفظ ان ندّ
فما اسعـد من زم

ونفّس عن اخي البثّ - وضدّقه اذا نثّ - ورُمّ العمّل الرثّ
فقـد افلـح من رمّ

وريش من ريشه انحصّ - بما عمّ و ما خصّ - و لا تأس على النقص
و لا تحرص على اللّمم
و عاد الخُلق الرّذل - و عوّد كفّك البذل - و لا تستمع العذل
و نزهها عن الضّم
و زرّد نفسك الخير - ودع ما يعقب الضير - و هيئ مركبَ السير
و خف من لجة اليم
بذا اوصيت يا صاح - و قد نُحتُ كمن باح - فطوبى لفتى راح
بآدابي يأتمّ

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الاسر * قد شد عليه جبائر الكسر لا الكسر * متعرضا للاستماحة * في معرض الوقاحة * فاختلب به اولئك الملأ * حتى اترع كمه و ملأ * ثم انحدر من الربوة * جدلا بالحبوة * قال الراوي فجاذبته من ورائه * حاشية ردائه * فالتفت اليّ مستسلما * و واجهني مسلّما * فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه * و عينه * فقلت له * شعر

الى كم يا ابا زيد - افانيك في الكيد - ليناحاش لك الصيد
و لا تعبأ بمن ذم

فاجاب من غير استحياء * و لا ارتياء * و قال * شعر

تبصر ودع اللوم - و قل لي هل ترى اليوم - فتى لا يقمر القوم
متيما دسته تم

فقلت له بعدا لك يا شيخ الذار * و زاملة العار * فما مثلك في طارة دلانيتك * و خبثة نيتك * الا مثل رث مفضض * او كنيف مبيّض * ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين * و انطلق ذات الشمال * و فارحت منهج الجنوب * و نازح منهج الشمال *

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق الى العُوطَة * وانا ذو جُرْدٍ مربوطة * و جِدَة مغبوطة * يلهيني خلو الذرع * ويَزدهيني حُفول الضرع * فلما بلغتُها بعد شق النفس * و انضاء العَنْس * الفيتها كما تصفها الالسن * و فيها ما تشتهي الانفس و تلذُّ الاعين * فشكرت يدَ النوى * و جريت طلقا مع الهوى * وطفقت افُضّ بها خُتوم الشهوات * و اجتني قُطوفَ اللذات * الى ان شرع مُقْرٍ في الاعراق * و قد استفقت من الاغراق * فعادني عيد من تذكار الوطن * و الحنين الى العطن * فقوّضت خيام الغيبة * و اسرجت جواد الاوبة * و لما تأهّبت الرفاق * و استتبّ الاتفاق * الحَنا من المسير * دون استصحاب الخفير * فرُدْناه من كل قبيلة * و اعملنا في تحصيله الف حيلة * فاعوز وجدانه في الاحياء * حتى خلنا انه ليس من الاحياء * فحارت لعَوزه عُزومُ السيارة * و انتدوا بباب جَيْرُونَ للاستشارة * فما زالوا بين عقد و حَلّ * و شَزْر و سَحْل * الى ان نفد التناجي * و قنط الراجي * وكان حِذْتَهم شخص ميسمه ميسمُ الشُّبّان * و لبُوسه لبُوس الرُهبان * و بيده سُبحة النسوان * و في عينيه ترجمة النُّشوان و قد قيدَّ لحظه بالجمع * و ارهف أُذنه لاستراق السمع * فلما آنَ انكفاءهم * و قد برح له خَفاؤهم * قال لهم يا قوم ليُفرخ كربُكم * و ليأمن سِربُكم * فساُخفركم بما يسرُو روعَكم * و يبدو طوعكم * قال الراوي فاستطلعنا منه طالع الخُفارة * و آسنينا له الجعالة عن السفارة * فزعم انها كلمات لقّنها في المنام * ليحترس

بها من كيد الانام * فجعل بعضنا يومض الى بعض * ويقلّب طرفيه بين لحظ وغض * وتبيّن له أنّا استضعفنا الخبر * واستشعرنا الخَوَر * فقال ما لكم أخذتم جِدّي عبثًا * وجعلتم تبري خَبَثًا * ولطالما والله جُبْت مخاوفَ الاقطار * ولجت مقاحم الاخطار * فغنيت بها عن مصاحبة خفير * واستصحاب جفير * ثم اني سانفي ما رابكم * واستلّ الحذر الذي نابكم * بان أوافقكم في البداوة * وارافقكم في السماوة * فان صدقكم وعدي * فاجِدّوا سعدي * واسعدوا جدّي * وان كذبكم فمي * فمزّقوا ادمي * واريقوا دمي * قال الحارث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه * وتحقيق ما رواه * فنزعنا عن مجادلته * واستهمنا على معادلته * وفصمنا بقوله عرى الريائث * والغينا اتقاء العابث والعائث * ولما عُمّمت الرحال * وآزف الترحال * استنزلنا كاماته الراقية * لنجعلها الواقية الباقية * فقال ليقرأ كلّ منكم امّ القرآن * كلما اظل الماوان * ثم ليقل باسان خاضع * وصوت خاشع * اللهم يا محيي الرفات * ويا دافع الافات * ويا واقي المخافات * ويا كريم المكافاة * ويا مَوْئِلَ العُفاة * ويا وليّ العفو والمعافاة * صلّ على محمد خاتم انبيائك * ومُبلّغ انبائك * وعلى مصابيح أسرته * ومفاتيح حضرته * واعذني اللهم من نزغات الشياطين * ونزوات السلاطين * وانفاس الداغين * ومعاداة الباغين * ومعاداة العادين * وعدوان المعتدين * ومكايد المكايدين * وكيد السالبين * وحيل المحتالين * وظلم الظالمين * واجرني انام من جور المجاورين * وسجاة المحترين * واكفني اذيّة الضائمين * واخرجني من ظلمات الظالمين * وانجني برحمتك في عبادك الصالحين *

اللهم حُطْني في تربتي * وغربتي * وغيبتي * واوبتي * ونُجعتي * ورجعتي * وتصرفي * ومُنصَرَفي * وتقلُّبي * ومنقلبي * واحفظني في نفسي * ونفائسي * وعِرْضي * وعَرَضي * وعَدَدي * وعُدَدي * وسَكَني * ومسكَني * وحولي * وحالي * ومالي * ومآلي * ولا تُلحِقْ بي تغييرا * ولا تُسلِّطْ عليَّ مغيرا * واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا * اللهم احرُسْني بعينك * وعونك * واخصصني بامنك * ومنك * وتولَّني باختيارك وخيرك * ولا تكلْني الى كلاءة غيرك * وهب لي عافية غيرعافية * وارزقني رفاهية غير واهية * واكفني مخاشيَ اللأواء * واكنفني بغواشي الالاء * ولا تظفربي اظفار الاعداء * انك سميعُ الدعاء * ثم اطرق لايديرلحظا * ولابحيرلفظا حتى قلنا قد ابلسَتْه خشية * او اخرسَتْه غشية * ثم اقنع رأسه * وصعَّد انفاسه * وقال أُقسم بالسماء ذات الابراج * والارض ذات الفجاج * والماء الثجاج * والسراج الوهَّاج * والبحر العَجَّاج * والهواء والعَجاج * انها امن آيمن العُوَذ * واغنى عنكم من لابسى الخُوَذ * من درسها عند ابتسام الفلق * لم يُشفِق من خَطْب الى الشفق * ومن ناجى بها طليعة الغَسَق * امن ليلته من السرق * قال الراوي فتلقفناها * حتى انقذناها * وتدارسناها * لكي لانفساها * ثم سرنا نُزجي الحُمولات بالدعوات لا بالحُداة * ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكُماة * وصاحبنا يتعهدنا بالعشيّ والغداة * ولا يستنجزُ مدّ العدات * حتى اذا عايَنَّا اطلال عانة * قال لنا الاعانة الاعانة * فاحضرناه المعلوم * والمكتوم * واريناه المعكوم و * والمختوم * وقلنا له اقض ما انت قاض * فما تجِدُ فينا غير راض * فما استخفه سوى الخِفّ

و الزين * و لاحلي بعينه غيرالعين * فاحتمل منهما وِقْره * و فاء بما يسُدّ به فَقْره * ثم خالسنا مخالسة الطرّار * و انصلت منا انصلات الفرّار * فاوحشنا فراقُه * و ادهشنا احتراقه * و لم نزل ننشده بكلّ ناد * و نستخبر عنه كلّ مغو و هادٍ * الى ان قيل إنّه منذ دخل عانة * ما زايل الحانة * فاغراني خبثُ هذا القول بسبكه * و الانسلاك فيما لستُ من سلكه * فادّلجتُ الى الدسكرة * في هيئة منكرة * فاذا الشيخ في حُلّة مُمصّرة * بين دنانٍ و معصرة * و حوله سُقاةٌ تبهرُ * و شموع تزهرُ * وآسٌ و عبهر * و مزمار و مزهر * و هو تارة يستبزل الدنان * و طورا يستنطق العيدان * و دفعة يستنشق الريحان * و اخرى يغازل الغزلان * فلما عثرتُ على لبسه * و تفاوت يومه من امسه * قلت له اولى لك يا ملعون * أ آنسيت يوم حَيرون * فضحك مستغربا * ثم انشد مطربا * نظم

لزمتُ السفار – و جُبت القفار – وعفت النّفار – لاجنى الفرح
وخُضت السيول – و رُضت الخيول – لجرّ ذيول – الصبا و المَرح
و مطت الوقار – و بعت العقار – لحسو العُقار – و رشف القدح
و لولا الطماحُ – الى شرب راحٍ – لما كان باحَ – فمي بالمُلح
و لا كان ساقَ – دهاني الرفاقَ – لارض العراق – بحملي السُّبح
فلا تغضبنّ – و لا تصخبنّ – و تعتبنّ – فعذري وضح
و لا تعجبن – بشيخ ابنّ – بمغني اغنّ – و دنٍّ طفح
فان المدام – تقوى العظام – وتشفي السقام – و تنفى الترح
و اصفى السرور – اذا ما الوقور – اماط ستور – الحيا و انطرح
و احلى الغرام – اذا المستهام – ازال اكتتام – الهوى وافتضح
فبُح بهواك – و بُثّ حشاك – فزندُ اساك – به قد قدح

دار الكلوم - وسلّ الهموم - ببذت الكروم - التي تفترح
وخصّ الغبوق - بساقٍ يسوق - بلاء المشوق - اذا ما طمح
وشاد يشيد - بصوتٍ يميد - جبال الحديد - له ان صدح
وعاص النصيح - الذي لا يبيح - وصال المليح - اذا ما سمح
وجُلْ في المحال - ولو بالمحال - ودع ما يقال - وخذ ما صلح
وفارق اباك - اذا ما اباك - ومُدّ الشباك - وعِفْ من سنح
وعاف الخليل - وناف البخيل - وأوْلِ الجميل - ووالِ المنح
ولُذْ بالمتاب - امامَ الذهاب - فمن دقّ بابَ - كريمٍ فتح

فقلت له بخٍ بخٍ لروايتك * واُفٍّ وتُفٍّ * لغوايتك * فبالله من ايّ الاعياص عيصك * فقد اعضلني عويصُك * فقال ما أُحبُّ

ان أفصح عني * ولكني ساكْنِي * نظم
انا أطروفة الزما * ن وأعجوبة الامم
وانا الحُوَل الذي اح * تال في العرب والعجم
غير اني ابن حاجة * هاضه الدهر واهتضم
وابو صبية بدوا * متل لحم على وضم
واخو العيلة المعيل * إذا احتال لم يُلَم

قال الراوي فعرفت حينئذ انه ابو زيد ذوالريب والعيب * ومسوّد وجه الشيب * وساءني عُظم تمرّده * وقبح تورده * فقلت له بلسان الانفة * وادلال المعرفة * الم يأن لك يا شيخنا * ان تُقْلِعَ عن الخَنا * فتضجّر * وزمجر * وتبكّر * وفكّر * ثم قال انها ليلةُ مِراح * لا تَلاح * ونُزهة شُرب راح * لاكفاح * فعدِّ عما بدا * الى ان نتلاقى غدا * ففارقته فرقا من عربدته * لا تعلقا بعدته * وبتُّ ليلتي لابسا حداد الندم * على نقلي خُطَى القدم * الى

ابنة الكرم لا الكَرم * و عاهدت الله سبحانه ان لا احضُر بعدَها حانة بَبّاذ * و لو اعطيتُ ملكَ بغداذ * و لا اشهد مَعصرةَ الشراب* و لوُرّد عليَّ عصرُ الشباب * ثم اذنا رحلنا العيس * وقت التغليس* و خلّينا بين الشيخين ابي زيد و ابليس *

المقامة الثالثة عشرة البغدادية

روى الحارث بن همام قال ندَوت بضواحي الزوراء * مع مشيخة من الشعراء * لا يعلق لهم مُبارٍ بغبار * و لا يجري معهم مُمارٍ في مضمار * فافضنا في حديث يفضح الازهار * الى ان نصّفنا النهار * فلما غاض دُرّ الافكار * و صبت النفوسُ الى الاوكار * لمحنا عجوزا تقبل من البعد * و تحضر احضار الجُرد * و قد استتلّتْ صبية انحفُ من المَغازل * و اضعفَ من الجوازل * فما كذّبتْ اذ رأتنا * آن عرتنا * حتى اذا ما حَضَرتْنا * قالت حيّا الله المعارف * و ان لم يكن(١) معارف * اعلموا يا مؤّل الامل * و ثمالَ الارامل * انّي من سروات القبائل * و سرِيّات العقائل * لم يزل اهلي و بعلي يحُلّون الصدْر * و يسيرون القلب و يُعطون الظهر * و يُولون اليد * فلما اردى الدهر الاعضاد * و فجع بالجوارح الاكباد * و انقلب ظهر لبطن * نَبا الناظرُ * و جفا الحاجبُ * و ذهبت العين * و فُقدت الراحة * و صاد الزند * و وهت اليمين * و بانت المرافق * و لم يبق لنا ثنية و لا ناب * فمذ اغبرَّ العيش الاخضر * و ازورَّ المحبوب الا صفر * اسودَّ يومي الابيضُ * و ابيضَّ فودي الاسود * حتى رثى لي العدوّ الالدّ * فعجبذا الموتُ الاحمر * و تلوي من تَرون

(١) يكونوا *

عينه قراره * و ترجمانه اصفراره * قصوى بغية احدهم ثردة * و قصارى منيته بردة * و كنت آليت ان لا ابذل الحر الا للحر * ولو اني مت من الضر * و قد ناجتني القرونة * بان توجد عندكم المعونة * و آذنتني فراسة الحوباء * بانكم ينابيع الحباء * فنضر الله امرءاً ابر قسمي * و صدق توسمي * و نظر الي بعين يقذيها الجمود * و يقذيها الجود * قال الحارث بن همام فهمنا لبراعة عبارتها * و مآلح استعارتها * و قلنا لها قد فتن كلامك * فكيف احكامك * فقالت يفجر الصخر * و لا فخر * فقلنا ان جعلتنا من رواتك * لم نبخل بمواساتك * فقالت لأريبنكم اولا شعاري * ثم لارويتكم اشعاري * فابرزت ردن درع دريس * و برزت برزة عجوز دردبيس * و انشأت تقول * نظم

اشكو الى الله اشتكاء المريض * ريب (١) الزمان المتعدي البغيض
يا قوم اني من اناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع * و صيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما فجعة اعوزت * في السنة الشهباء روضا اريض
تشب للسارين نيرانهم * و يطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا * و لا اروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم اخلها تغيض
و اودعت منهم بطون الثرى * اسد التحامي و اساة المريض
فحملي بعد العطايا المطا * و موطني بعد اليفاع الحضيض
و افرخي ما تألي تشتكي * بؤسا له في كل يوم وميض
اذا دعا القانت في ليلة * مولاه ناداه بدمع يفيض

(١) جور *

يا رازق الغُراب في عُشّه * و يا جابر العظم الكسير المهيض
أتِحْ لنا اللهم من عرضه * من دنس الذم نقيّ رحيض
يطفئ نار الجوع عنا و لو * بمذقة من حازر او مخيض
فهل فتىً يكشف ما نابهم * و يغنم الشكر الطويل العريض
فوالذي تعنو الذواصي له * يوم رجوه الجمع سود و بيض
لو لاهُمُ لم تبدُ لي صفحة * و لا تصدّيتُ لنظم القريض
قال الراوي فوالله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب * و استخرجت خبايا الجيوب * حتى ماحها من دينه الامتياح * و ارتاح لرفدها من لم نخله يرتاح * فلما افعوعم جيبُها تبرا * و اوْلاها كل منا برًّا * تولت يتلوها الاصاغر * و فوها بالشكر فاغر * فاشرأبّت الجماعة بعد ممرّها * الى سبْرها * لتبلو مواقع برّها * فكفلت لهم باستنباط السر المرموز * و نهضت اقفو إثر العجوز * حتى انتهت الى سوقٍ مغتصّة بالانام * مختصّة بالزحام * فانغمست في الغمار * و امّلستْ من الصبية الاغمار * ثم عاجت بخُلوّ بال * الى مسجد خالٍ * فاماطت الجلباب * و نضت النقاب * و انا اعُدّها من خَصاص الباب * و ارقب ما ستُبدي من العُجاب * فلما انسرت اهبةُ الخفر * رأيت مُحيًّا ابي زيد قد سفَر * فهممتُ بان اهجُم عليه * لاُعنّفه على ما اجرى اليه * فاسلنقى اسلنقاء المتمردين * ثم رفع عقيرة المغرّدين * و اندفع ينشد * نظم

يا ليت شِعري ادهري * احاط علمًا بقدري
و هل دري كنهَ غوري * في الخدع ام ليس يدري
و كم قد قمرتُ بنيه * بحيلتي و بمكري

و كم بزتُ بعـرفٍ * عليهـمُ و بنُكـرِ
اصطـاد قومًا بوعظ * و آخـرين بشـعـر
و استفـزَّ بخـلٍ * عقلا و عقلا بخـمـر
و تارة انا صخـر * و تارة اخت صخـر
و لو سلكـت سبيـلا * مالوفة طول عمـري
لخاب قدحي و قِدحي * و دام عُسري و خُسري
فقـل لمـن لام هذا * عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت عَليَّ جلّيةُ أمره * و بديعة إمره * و ما زخرف في شعره من عذره * علمتُ انَّ شيطانه المريد * لا يسمع التفنيد * و لا يفعل الا ما يريد * فثنيت الى اصحابي عناني * و ابثثتُهم ما اثبته عياني * فوجموا لضيعة الجوايز * و تعاهدوا على محرمة العجائز *

المقامة الرابعة عشرة المكية

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام * لحجة الاسلام * فلما قضيت بعون الله التفثَ * و استبحت الطيب و الرفثَ * صادف موسم الخيف * مَعمعانُ الصيف * فاستظهرت للضرورة * بما يقي حرَّ الظهيرة * فبينما انا تحت طِراف * مع رُفقة ظِراف * و قد حَميَ وَطيس الحَصباء * و اعشَى الهجيرُ عينَ الحِرباء * اذ هجم علينا شيخ مُتسعسع * يتلوه فتى مُترعرع * فسلم الشيخ تسليمَ اديب اريب * و حاور محاورة قريب لا غريب * فاعجبنا بما نثر من سمطه * و عجبنا من انبساطه قبل بسطه * و قلنا له من انت * وكيف ولجت و ما استأذنت * فقال انما انا ضعاف *

وطالب اسعاف * وسرُّ ضُرّي غيرُ خاف * والنظر الّي شفيع كاف * واما الانسياب * الذي عَلِق به الارتيات * فما هو بعجاب * اذ ما على الكرماء من حجاب * فسألناه انّى اهتدى الينا * وبم استدل علينا * فقال ان للكرم نشرًا تنمّ نفحاته * وتُرشد الى روضه نوحاته * فاستدللت بتأرُّج عَرفكم * على تبلُّج غُرفكم * وبشرني تضوُّع رَندكم * بحسن المنقلب من عندكم * فاستخبرناه حينئذ عن لبانته * لنكمّل باعانته * فقال ان لي مأربا * ولفتاي مطلبا * فقلنا كلا المرامين سيقضى * وكلاكما سوف يُرضى * ولكنّ الكُبر الكُبر * فقال اجل ومن دحا السبع الغبر * ثم وثب للمقال * كالمنشط من العقال * وانشد * نظم

اني امرؤ أُبدِع بي * بعد الوجى والتعب
وشُقّتي شاسعة * يقصُر عنها خببي
وما معي خردلة * مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدة * وحيرتي تلعَبُ بي
ان ارتحلتُ راجلا * خفت دواعي العَطَب
وان تخلّفت عن الـ * ـرُّفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صُعُد * وعبرتي في صبب
وانتم منتجع الـ * ـراجي ومرمى الطلب
لُهانا كُمُ منهلّة * ولا انهلال السُّحُب
وجاركم في حرم * وفرُكم في حرب
ما لاذ مرتاع بكم * فخاف ناب الذوب
ولا استدرّ آمل * حباءكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي * واحسنوا منقلبي

فلو بلوتم عيشتي * في مطعمي و مشربي
لساءكم ضرى الذي * اسلمني للكرب
و لو خبرتم حسبي * و نسبي و مذهبي
و ما حوت معرفتي * من العلوم النُّخب
لما اعترتكم شبهة * في ان دائي ادبي
فليت اني لم اكن * أرضعت ثدي الادب
فقد دهاني شؤمه * و عقّني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرّحتْ ابياتُك بفاقتك * و عطَبِ ناقتك * و سنُمطيك ما يوصلك الى بلدك * فما مأربة ولدك * فقال له قم يا بنيَّ كما قام ابوك * و فُهْ بما في نفسك لا نُضَّ فوك * فنهض نهوض البطل للبرار * و أصلتَ لسانا كالعضب الجُراز * وانشد يقول * نظم

يا سادةً في المعالي * لهم مبان مشيده
و من اذا ناب خطب * قاموا بدفع المكيده
و من يهون عليهم * بذلُ الكنوز العتيده
اريد منكم شواء * و جردقا و عصيده
فان غلا فرُقاق * به توارَى الشهيده
او لم يكن ذا و لا ذا * فشَبْعة من ثريده
فان تعذّرن طُرًّا * فعجوة و نهيده
فاحضروا ما تسنّى * و لو شظا من قديده
و زوّجوه فنفسي * لما يروج مُريده
و الزاد لابد منه * لرحلة لي بعيده
و انتُم خيرُ رهط * يُدعَون عند الشديده

ايـديكـــم كـلّ يوم * لهـــا اياد جـديـده
و راحكـــم واصـــلات * شُمْلَ الصّلات المفيـده
و بغيتي في مطـاوي * ما ترفـدون زهيـــده
و فيّ اجـر و عُقبـــى * تنفيس كربي حميـده
و لي تنـــائج فكـــر * يعضحن كلّ قصيـده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الاسد * ارحلنا الوالد و زوّدنا الولد * فقابلا الصنع بشكر نشرا اريديته * و ادّيا به ديته * و لما عزما على الانطلاق * و عقدا للرحلة حبُك النطاق * قلت للشيخ هل ضاعت عِدَتنا عدَةَ عُرْقُوب * او بقيت حاجة في نفس يعقوب * فقال حاش لله و لا * بل جل معروفكم و جلّى * فقلت له فدًا كما دنّاك * و افدنا كما افدناك * اين الدويرة * فقد ملكتنا فيك الحيرة * فتنفس تنفس من اذكر اوطانه * و انشد و الشهيقُ يُلَعْثِمُ لسانَه * نظم

سروج داري و لكـنْ * كيف السبيل اليها
و قد اناخ الاعادي * بها و اخذوا عليهـا
فوالتي سرتُ ابغي * حَطَّ الذنوبِ لديهـا
ما راق طرفي شيء * مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع * و آذنت مدامعه بالهموع * فكره ان يستوكفها * و لم يملك ان يكفكفها * فقطع انشاده المتحلي * و اوجز في الوداع و ولّى *

المقامة الخامسة عشرة الغرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب *

هامية الرباب * ولا ارق صبٍّ طُرِدَ عن الباب * ومُنِيَ بصدّ الاحباب *
فلم تَزَل الافكار يهجِسْنَ همّي * ويجلِسْن في الوساوس وهمي(†) * حتى
تمنيت * لمَضَض ما عانيت * ان أُرزق سميرا من الفضلاء *
ليقصرَ طول ليلتي الليلاء * فما انقضت مُنيتي * ولا اغمضتُ
مُقلتي * حتى قرع الباب قارع * له صوت خاشع * فقلت في نفسي
لعلَّ غرسَ التمني قد اثمر * وليلَ الحظ قد اقمر * فنهضتُ اليه
عجلان * وقلت من الطارق الآن * فقال غريب اجنَّه الليل * و
غشيه السيل * ويبتغي الايواء لا غير * واذا اسحر قدَّم السير * قال
فلما دلَّ شعاعه على شَمسه * ونمَّ عنوانُه بسرّ طرسه * علمت انَّ
مهامرته غُنْم * ومساهرته نُعم * ففتحتُ الباب بابتسام * وقلتُ
ادخلوها بسلام * فدخل شخص قد حَنَى الدهرُ صعدَته * وبلَّل
القَطر بُرْدته * فحيّى بلسان عَضْب * وبيان عَذْب * ثم شكر على تلبية
صوته * واعتذر من الطرق في غير وقته * فدانيته بالمصباح
المُتَّقد * وتأمَّلته تأمُّلَ المنتقد * فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب * و
لا رجم غيب * فاحللته محلَّ مَن اظفرني بقصوى الطلب * ونقلني
من وقْد الكُرَب * الى روح الطرب * ثم اخذ يشكو الاين * واخذت
في كيف واين * فقال ابلعني ريقي * فقد آتعبني طريقي *
فظننته مُستبطئا للشَّغَب * متكاسلا لهذا السبب * فاحضرته ما
يُحضَر للضيف المفاجئ * في الليل الداجي * فانقبض انقباض
المحتشم * واعرض اعراض البَشِم * فسُؤتُ ظنًّا بامتناعه * واحفظني
حَوَلُ طباعه * حتى كدتُ أغلطُ له في الكلام * وآلسعُه بحُمَة
الملام * فتبين من لمحات ناظري * ما خامر خاطري *

(†) فهمي *

فقال يا ضعيف الثقة * باهل الثقة * عدّ عما اخطرته بالك * واستمع الىّ لا ابا لك * فقلت هات * يا اخا النّزهات * فقال اعلم اني بتّ البارحة حليفَ افلاس * ونجيَّ وسواس * فلما قضى الليلُ نحبَه * وغوّر الصبح شُهُبَه * غدوت وقت الاشراق * الى بعض الاسواق * متصديا لصيد يسنح * او حرٍّ يسمح * فلحظت بها تمرا قد حُسّنَ تصفيفُه * واُحسن اليه مُصيفُه * فجمع على التحقيق * صفاء الرحيق * وقُنُوءَ العقيق * وقُبالته لُبأ قد برز كالابريز الاصفر * واجلى فى اللون الزعفر * فهو يثني على طاهيه * بلسان تناهيه * ويصوّب رأيَ مشتريه * ولو نقد حَبّة القلب فيه * فاسرَتْني الشهوة باشطانها * واسلمتني العَيْمة الى سلطانها * فبقيت احيَر من ضبّ * واذهل من صبّ * لا وُجْدٌ يوصلني الى نيل المراد * ولذة الازدراد * ولا قدم تطاوعني على الذهاب * مع حرقة الالتهاب * لكن حداني القرم وسورته * والسغب (‡) وفورته * على ان انتجع كلّ ارض * وانتزع من الورد ببَرْض * فلم ازل سحابة ذلك النهار * أدلي دلوي الى الانهار * وهى لا ترجع ببلّة * ولا تجلُب نقع غُلّة * الى ان صفّت الشمس للغروب * وضعُفت النفس من اللغوب * فرحت بكبد حرّى * وانثنيتُ أقدم رجلا وارخر اخرى * وبينما انا اسعى واقعُد * واهبّ واركُد * اذ قابلني شيخ يتأرّه آهَةَ الثكلان * وعيناه تهمُلان * فما شغلني ما انا فيه من داء الذئب * والخوى المذيب * عن تعاطي مداخلته * والطمع في مخاتلته * فقلت له يا هذا ان لبكائك لسرّاً * ولوراءَ تحرّقك لشرّاً * فاطلعني على

(‡) الغضب *

برحائك * و اتخذني من نصحائك * فانك ستجد مني طبًا آسيا * او عونا مواسيا * فقال والله ما تأوهي لعيش فات * ولا من دهر افتات * بل لانقراض العلم و دروسه * و أفول اقماره و شموسه * فقلت و اي حادثة نجمت * و قضية استعجمت * حتى هاجت لك الاسف * على فقد من سلف * فابرز رقعة من كمه * واقسم بابيه و أمه * لقد انزلها باعلام المدارس * فما امتازوا عن الاعلام الدوارس * و استنطق لها احبار المحابر * فخرسوا و لا خرس سكان المقابر * فقلت ارنيها * فلعلي أغني فيها * فقال ما ابعدت في المرام * فرب رمية من غير رام * ثم ناولنيها * فاذا المكتوب فيها * نظم

ايها العالم الفقيه الذي فا * ق ذكاء فما له من شبيه
افتنا في قضية حاد عنها * كل قاض و حار كل فقيه
رجل مات عن اخ مسلم حر * تقي من أمه و ابيه
وله زوجة لها ايها الحبر * اخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها و حاز اخوها * ما تبقى بالارث دون اخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا * فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها * و لمحت سرها * قلت له على الخبير بها سقطت * و عند ابن بجدتها حططت * الا اني مضطرم الاحشاء * مضطر الى العشاء * فاكرم مثواي * ثم استمع فتواي * فقال لقد انصفت في الاشتراط * و تجافيت عن الاشتطاط * فصر معي * الى مربعي * لتظفر بما تبتغي * و تنقلب كما ينبغي * قال فصاحبته الى ذراه * كما حكم الله * فادخلني بيتا حرج من التابوت * و اوهن من بيت العنكبوت * الا انه

جبر ضيق ربقه * بتوسعة ذرعه * فحكّمني في القرى * و اطائب ما يُشترى * فقلت أريد ازهى رائب على اشهى مركوب * و انفع صاحب مع اضرّ مصحوب * فافكر ساعة طويلة * ثم قال لعلك تعني بنت نُخَيلة * مع ابا سُخَيلة * فقلت اياهما عنيتُ * و لاجلهما تعنّيت * فنهض نشيطا * ثم رَبَض مُستشيطا * و قال اعلم اعلمك الله ان الصدق نَباعة * و الكذب عاهة * فلا يحملنّك الجوعُ الذي هو شعار الانبياء * و حلية الاولياء * على ان تلحق بدن مان * و تتخلّق بالخُلق الذي يُجانبُ الايمان * فقد تجوعُ الحرة * و لا تأكل بثديها * و تابى الدنية * و لو اضطُرّت اليها * ثم اني لست لك بزيون * و لا اغضي على صفقة مغبون * و ها انا قد انذرتك قبل ان ينهتك الستر * و ينعقد بيننا الوتر * فلا تُلغ تدبُّر الانذار * و حذار من المكاذبة حَذار * فقلتُ له و الذي حرّم اكل الربا * و احلّ اكلَ اللّبا * ما نهتُ بزور * و لا دلّيتك بغرور * و ستخبرُ حقيقةَ الامر * و تحمد بدلَ اللّبأ و التمر * فهشّ هشاشةَ المصدوق * و انطاق مُغذّاً الى السوق * فما كان باسرع من ان اقبل بهما يدلَح * و وجهه يُكلح * فوضعهما لديّ * وضع الممتنّ عليّ * و قال اضرب الجيش بالجيش * تحظَ بلذة العيش * قال فحسرت عن ساعد النِّعم * و حملت حملة الفيل الملتهم * و هو يلحظني كما يلحظ الحنق * و يود من الغيظ لو اختنق * حتى اذا هلقمت النوعين * و غادرتهما اثرا بعد عين * اقردت حيرة في اظلال البَيات * و فكرة في جواب الابيات * فما لبث ان قام * و احضر الدواة و الاقلام * و قال قد ملأت الجراب * فاملِ الجواب * و الا فتهيّأ إن نكلت * لاغترام ما اكلت * فقلت

له عندي الا التحقيق * فاكتب و بالله التوفيق * نظم
قل لمن يُلغز المسائل اني * كاشف سرَّها الذي يخفيه
إن ذا الميتَ الذي قدَّم الشر * عُ اخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوَّج ابنه عن رضاه * بحماة له و لا غرو فيه
ثم مات ابنه و قد علقت منه * فجاءت بابن له يحكيه
فهو ابن ابنه بغير مِراء * و اخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى الجد و اولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات أوجب للزو * جة ثمنُ التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاص * ل اخوها من امها باقيه
و تخلَّى الاخ الشقيق من الار * ث و قلنا يكفيك ان تبكيه
هاك منى الفُتيا التي يحتذبها * كلُّ قاض يقضي و كل فقيه

قال فلما اثبت الجواب * و استثبت منه الصواب * قال لي اهلك و الليل * فشمِّر الذيل * و بادر السَّيل * فقلت اني بدار غربة * و في ايوائي افضل قربه * لا سيَّما و قد اغدف جِنحُ الظلام * و سبَّح الرعد في الغمام * فقال اذهب عافاك الله الى حيث شئت * و لا تطمع في ان تبيت * فقلت و لم ذاك * مع خلُوّ ذراك * قال لاني انعمتُ النظر * في التقاعك ما حضر * حتى لم تُبق و لم تذر * فرأيتك لا تنظر في مصلحتك * و لا تراعي حفظ صحتك * و من امعن فيما امعنت * و تبطَّن كما تبطنت * لم يخلُص من كظَّة مدنفة * او هيضة متلفة * فدعني بالله كفافا * و اخرج عني ما دُمت معافا * فوالذي يحيي و يُميت * مالك عندي مبيت * فلما سمعت اليته * و بلوت بليته * خرجت من بيته بالرغم * و تزوُّد الغم * تجودني السماء * و تخبط بي

الظلماء * و تنبحني الكلاب * و تتقاذف بي الابواب * حتى ساقني اليك لطف القضاء * فشكرا ليده البيضاء * فقلت له احببْ بلقائك المتاح * الى قلبي المرتاح * ثم اخذ يفتنّ في حكاياته * و يُشمط مُضحكاته بمُبكياته * الى ان عطّس انفُ الصباح * و هتف داعي الفلاح * فتأهّب لاجابة الداعي * ثم عطف الى وَداعي * فعُقتُه عن الانبعاث * وقلت الضيافة ثلث * [و ماحفزك الاحتثاث * و ان ترحلت رحلة خرقاء * نغصت اللقاء * و سؤت الاصدقاء *] (†) فناشد و حرّج * ثم امّ المخرج * و انشد اذ عرّج * نظم

لا تزرْ مَن تُحبُّ في كل شهر * غير يوم و لا تزده عليه
فاجتلاءُ الهلال في الشهر يوم * ثم لا تنظر العيــون اليه

قال الحارث بن همام فودّعته بقلب دامي القُرح * و وددت لو ان ليلتي بطيّة الصبح *

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب * في بعض مساجد المغرب * فلما ادّيتها بفضلها * و شفعتها بنفلها * اخذ طرفي رفقة قد انقبذوا ناحية * و امتازوا صفوة صافية * و هم يتعاطون كأس المنافثة * و يقتدحون زناد المباحثة * فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد * و ادب يستزاد * فسعيت اليهم * سعي المتطفل عليهم * و قلت لهم اتقبلون نزيلا يطلُب جنى الاسمار * لاجنيّ الثمار * و يبغي مُلَح الحِوار * لا ملحاء الحُوار * فحلّوا لي

(†) هذه العبارة في نسخة واحدة *

الحُبا * و قالوا مرحبا مرحبا * فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف *
او نغبة طائر خائف * حتى غشيَنا جوّاب * على عاتقه جراب *
فحيّانا بالكلمتين * و حيّى المسجد بالتسليمتين * ثم قال يا
اولى الالباب * و الفضل اللباب * اما تعلمون ان انفس القربات *
تنفيس الكُربات * و امتن اسباب النجاة * مواساةُ ذوى الحاجات *
و اني و من احلّني ساحتكم * و اتاح لي استماحتكم * لَشريدُ محلٍ
قاص * و بريد صبية خماص * فهل فى الجماعة * من يفتأ عنا
حُميّا المجاعة * فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء * و لم يبق
الا فضلات العشاء * فان كنت بها تقنوعا * فما تجدُ فينا منوعا *
فقال ان اخا الشدائد * ليقنع بلُفاظات الموائد * و نُفاضات المزاود *
فامر كل منهم عبده * ان يزوّده ما عنده * فاعجبه الصنعُ و شكر
عليه * و جلس يرقُب ما يُحمَل اليه * و نُبذنا نحن الى استثارة
ملح الادب و عيونه * و استنباط معينه من عيونه * الى ان جُلنا
فيما لا يستحيل بالانعكاس * كقولك ساكب كاس * فتداعينا
الى ان نستنتج له الافكار * و نقترع منه الابكار * على ان ينظمَ
البادي ثلث جُمانات في عقده * ثم تتدرّج الزيادات من
بعده * فيُربّع ذو ميمنته في نظمه * و يُسبّعَ صاحبُ ميسرته على
رغمه * قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدّة اصابع الكف * و تألفنا
ألفة اصحاب الكهف * فابتدر لعُظم محنتي * صاحب ميمنتي *
وقال (لُمْ اخاً مَلّ) و قال ميامنه (كبّر رجاءَ اجرِ ربك) و قال
الذي يليه (من يُرَبُّ اذا برَّ يتُم) وقال الاخر (سكّتْ كلَّ مَن
نمّ لك تكسْ) و انفضتِ الخويّة اليّ * و قد تعين نظمُ السّمط
السُّباعي عليّ * فلم يزل فكري يصوغ و يكسر * و يُثري و يُعسر *

و في ضمن ذلك استطعمُ * فلا اجد من يُطعم * الى ان ركد النسيم * و حصحص التسليم * فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام * لشفى العُقام * فقالوا لو نزلتْ هذه بإياس * لامسك على ياس * و جعلنا نُفيضُ في استصعابها * و استغلاق بابها * و ذلك الزور المعقري * يلحظنا لحظ المزدري * و يؤلّف الدرر و نحن لا ندري * فلما عثَر على افتضاحنا * و نُضوب ضحاحنا * قال يا قوم ان من العناء العظيم * استيلاد العقيم * و الاستشفاء بالسقيم * و فرق كل ذي علم عليم * ثم اقبل عليّ و قال سأنوب منابك * و اكفيك ما نابك * فان شئت ان تذثُر * و لا تعثر * فقل مخاطبا لمن ذمّ البخل * و اكثر العذل * لُذ بكلّ مؤمّل اذا لمّ و ملّك بذَل * و ان احببتَ ان تنظم .. فقل للذي تعظم * نظم

أُس ارمَـلاً اذا عرا * وارْعَ اذا المـرء اسـا
اسنـدْ اخا نباهة * ابْنِ إخـاء دنسَـا
اسلُ جنـاب غاشـم * مشاغبٍ ان جلسـا
اسـر اذا هبّ مـرا * و ارْم به اذا رسـا
اسكـن تَقَـوَّ فعسى * يضْعف وقتٌ نُكسا

قال فلما سحرنا بابياته * و حسرنا ببعد غاياته * مدحناه حتى استعفى * و منحناه الى ان استكفى * ثم شمّر ثيابه * و ازدفر جرابه * و نهض ينشد * نظم

لـلـه درُّ عصـابة * صُدُق المقـال مَقالا
فاقوا الانام فضائلا * ما ثـورة و فواضـلا
حاورتُهم فوجدت سحبا نالديهـم باقـلا
و حللت فيهـم سائلا * فلقيـت جَودا سائـلا

اقسمت لو كان الكـــرا * مُ حيًّـــا لـكانـوا رابلا

ثم خطا قيدَ رمحين * و عاد مستعيذا من الحَين * و قال يا عِزّ من عدمَ الآل * و كنزٌ من سُلب المال * إن الغاسق قد وقَب * و وجهَ المحجَّة قد انتقب * و بيني و بين كِنّي ليل دامس * و طريق طامس * فهل من مصباح يؤمنني العثار * و يبيّن لي الآثار * قال فلما جيءُ بالملتمس * و جلّى الوجوهَ ضوءُ القبَس * رأيت صاحبَ صيدنا * هو ابو زيدنا * فقلت لاصحابي هذا الذي اشرت الى انه اذا نطق اصاب * و ان استُمطِر صاب * فاتلعوا نحوه الاعناق * و احدقوا به الاحداق * و سألوه ان يسامرهم ليلته * على ان يجبروا عَيْلتَه * فقال حُبًّا لما احببتم * و رُحبا بكم اذا رحّبتم * غيرَ اني قصدتكم و اطفالي يتضوّرون من الجوع * و يدعون لي بوشك الرجوع * و ان استراثوني خامرهم الطيش * و لم يصف لي العيش * فدعوني لاذهب فاسُدَّ مخمصتَهم * و أسيغَ غُصّتهم * ثم انقلبُ اليكم على الاثر * متأهّبا للسّمَر * الى السحر * فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فئَته * ليكون اسرع لفَيْئَته * فانطلق معه مُضطبِنا جرابه * و محتضنا ايابه * فابطأ بُطْأً جاوز حدّه * ثم عاد الغلام وحده * فقلنا ما عذرك من الحديث * عن الخبيث * قال اخذني في طُرق مُتعبَة * و سُبُلٍ متشعّبة * حتى افضينا الى دُويرة خربة * فقال هٰهنا مُناخي * و وَكْرُ افراخي * ثم استفتح بابه * و اختلج مني جرابه * و قال لعمري لقد خفّفت عني * و استوجبت الحُسنى مني * و هاك نصيحة هي من نفائس النصائح * و مغارس المصالح * و انشد * نظم

اذا ماحويت جنى نخلـة * فلا تقـــربَنّهـا الى قابل

و إما سقطتَ على بَيْدر * فحَوْصلْ من السُّنْبُل الحاصل
و لا تلبثنَّ اذا ما لقطتَ * فتنشَبَ في كِفَّة الحابل
و لا تُوغلنَّ اذا ما سبَحتَ * فان السلامَةَ في الساحل
وخاطب بهات وجارب بسوف * و بع آجلا منك بالعاجل
و لا تُكثِرنَّ على صاحب * فما مُلَّ قطُّ سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك * و اقتديها في أمورك * و بادر الى صحبك * في كلاءة ربك * فاذا بلغتَهم فابلغهم تحيتي * و اتلُ عليهم وصيَّتي * و قل لهم عني ان السَّهر في الخرافات * لمن اعظم الآفات * و لست الغي احتراسي * و لا اجلُبُ الهَوَس الى رأسي * قال الراوي فلما وقَفَنا فحوى شعره * على نُكره و مكره * تلاومنا على تركه * و الاغترار بإفكه * ثم تفرقنا بوُجوه باسرة * و صَفْقة خاسرة *

المقامة السابعة عشرة القهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين * و مطامح العين * فتية عليهم سيماء الحجى * و طلاوة نجوم الدجى * و هم في مُماراة مُشتدَّة اللُبوب * و مُباراة مشتطَّة الأُلْوب * فيمَّمتُ لقصدهم هوى المحاضرة * و استحلاءُ جَنَى المناظرة * فلما التحقتُ برهطهم * و انتظمتُ في سمْطهم * قالوا انت ممن يُبلى في الهيجاء * و يلتقي دلوه في الدِّلاء * فقلت بل انا من نظَّارة الحرب * لا من ابناء الطعن و الضرب * فاضربوا عن حجاجي * و افاضوا في التحاجي * و كان في بحبوحة حلقتهم * و اكليل رفقتهم * شيخ قد برته الهموم * و لوَّحته السَّموم * حتى عاد انحَل

من قلم * و اقحلَ من جَلَم * الا انه كان يُبدي العُجاب * اذا اجاب * و يُنسي سحبانَ * كلما ابانَ * فاُعجبتُ بما اوتيَ من الاصابة * والتبريز على تلك العصابة * و ما زال يفصح عن كل معمّى * و يصمي في كل مرمى * الى ان خلت الجعاب * و نفد السؤالُ و الجواب * فلما رأى انفضاض القوم * و اضطرارهم الى الصوم * عرَّض بالمطارحة * و استأذن في المفاتحة * فقالوا حبَّذا * و من لنا بذا * فقال اتعرفون رسالةً ارضُها سماؤها * وصبحُها مساؤها * نُسجتْ على منوالين * و تجلَّت في لونين * و صلَّت الى جهتين * و بدتْ ذاتَ وجهين * ان بزغت من مشرقها * فذاهيك برونقها * و ان طلعت من مغربها * فيالعجبها * قال فكأنَّ القوم رُمُوا بالصُمات * او حقَّت عليهم كلمة الانصات * فما نبسَ منهم انسان * و لافاه لاحدهم لسان * فحين رآهم بُكما كالانعام * و صموتًا كالاصنام * قال لهم قد اجَّلْتكم اجَلَ العدَّة * و ارخيتُ لكم طَوَلَ المدة * ثم ههُنا مجمعُ الشمل * و مَوقِفُ الفصل * فان سمحتْ خواطركم مدحنا * و ان صلُدتْ زنادُكم قدحْنا * فقالوا له والله ما لنا في لجَّة هذا البحر مَسبَح * و لا في ساحله مسرَح * فَارِح افكارنا من الكدّ * و مَتِّعِ العطَّية بالنقد * و اتخذْنا اخوانًا يثبون اذا وثبتَ * و يُتيبون متى استتبتُ * فاطرق ساعة * ثم قال سمعًا لكم و طاعةً * فاستملوا مني * و انقلوا عني * الانسانُ * صنيعةُ الاحسان * وربُّ الجميل فعلُ الندْب * و شيمة الحُرّ ذخيرة الحمد * و كسب الشكر استثمار السعادة * و عنوان الكرم تباشير البشْر * و استعمال المداراة * يوجب المصاداة * و عقد المحبة يقتضي النصح * و صدق الحديث حلية اللسان * و فصاحة

المنطق سحر الالباب * و شرك الهوى آفة النفوس * و مُلَل الخلائق * شين الخلائق * و سوء الطمع * يباين الورع * و التزام الحزامة * زمام السلامة * و تطلُّب المتالب * شر المعائب * و تتبُّع العثرات * يُدحض المودّات * و خلوص النية * خلاصة العطية * و تهنية الذوال * ثمن السُّؤال * و تكلف الكُلَف * يسّهل الخلف * و تيقُّن المعونة * يُسنّى المؤونة * و فصلُ الصدر * سعة الصدر * و زينة الرعاة * مقت السُّعاة * و جزاء المدائح * بثّ المنائح * و مهر الوسائل * تشفيع المسائل * و محاجبة الغواية * استغراق الغاية * و تجاوز الحد * يُكلّ الحد * و تعدّي الادب * يحبط القُرَب * و تناسي الحقوق * يُنشئ العقوق * و تحاشي الريْب * يرفعُ الرُّتَب * و ارتفاع الاخطار * باقتحام الاخطار * و تفوّه الاقدار * بمُواتاة الاقدار * و شرف الاعمال * في تقصير الآمال * و اطالة الفكرة * تنقيح الحكمة * و رأس الرياسة * تبدُّب السياسة * و مع اللجاجة * تلغى الحاجة * و عند الاوجال * تتفاضل الرجال * بتفاضل الهمم * تتفاوت القيم * و تنزيُّد السفير * يهنُ التدبير * و بخلل الاحوال * تتبيّن الاهوال * و بموجب الصبر * ثمرة النصر * و استحقاق الاحماد * بحسب الاجتهاد * و وجوب الملاحظة * كفاء المحافظة * و صفاء الموالي * بتعهد الموالي * و تحلّى المروّت * بحفظ الامانات * و اختبار الاخوان * بتخفيف الاحزان * و دفعُ الاعداء * بكف الاذاء * و امتحان العقلاء * بمقارنة الجهلاء * و تبصُّر العواقب * يومنُ المعاطب * و اتقاءُ الشُّنعة * ينشرُ السمعة * وقبح الجفاء * ينافي الوفاء * و جوهر الاحرار * عند الاسرار * ثم قال هذه مائة لفظة * تحتوي على ادبٍ و عظة * فمن

ساقها هذا المساق * فلا مراء ولا شقاق * ومن رام عكس قالبها * وان يردّها على عقبها * فليقل الاسرار * عند الاحرار * وجوهر الوفاء * يذاق الجفاء * وقبح السمعة * ينشر الشنعة * ثم على هذا المسحب فليسحبها * ولا يرهبها * حتى تكون خاتمة فقرها * وآخرة دررها * ورب الاحسان * ضنيعة الانسان * قال الراوي فلما صدع برسالته الفريدة * واملوحته المفيدة * علمنا كيف يتفاضل الانشاء * وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء * ثم اعتلق كلٌّ منّا بذيله * وفلذ له فلذةً من نيله * فابى قبول فلدتي * وقال لستُ ازرأ تلامذتي * فقلت له كن ابا زيد على شحوب سحنتك * ونضوب ماء وجنتك * فقال انا هو طي تحولي وتحولي * وقشف محولي * فاخذت في تثريبه * على تشريقه وتغريبه * فحولق واسترجع * ثم انشد من قلب موجع * نظم

سلّ الزمان عليّ عضبه * ليروعني واحدّ غربه
واستلّ من جفني كرا * ه مراغما واسال غربه
واجالني في الافق اط * ـوي شرقه واجوب غربه
فبكلّ جوّ طلعة * في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرّب شخصه * متغرّبٌ ونواه غربه

ثم ولّى يجرّ عطفيه * ويخطر بيديه * ونحن بين متلفّت اليه * ومتهافت عليه * ثم لم نلبث ان حللنا الحبا * وتفرّقنا ايادي سبا *

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام * انحو

مدينة السلام * في رَكْب من بني نُمير * و رُفقة اولي خير و مَير *
و معنا ابو زيد السروجي عُقْلة العَجْلان * و سَلْوةُ الثكلان * و اُعجوبة
الزمان * و المشار اليه بالبنان في البيان * فصادف نُزولُنا
سِنْجار * ان أولم بها احدُ التجار * فدعا الى مأدُبَته الجفلى *
من اهل الحضارة و الفلا * حتى سَرَتْ دعوتُه الى القافلة *
و جمع فيها بين الفريضة و النافلة * فلما اجبنا مناديَه * و حللنا
ناديه * احضر من اطعمة اليد و اليدين * ما حلى في الفم و حلي
بالعين * ثم قدّم جاما كأنما جُمّدَ من الهواء * او جُمِع من الهباء *
او صيغ من نور الفضاء * او قُشِرَ من الدُّرّة البيضاء * و قد أُودع
لطائف النعيم * و ضُمّخ بالطيب العميم * و سيق اليه شَرْبٌ من
تسنيم * و سفر عن مرأى وسيم * و أَرَج نسيم * فلما اضطرمت
بمحضره الشَّهَوات * و قرمت الى مخبره اللهوات * و شارف ان
تُشَنّ على سربه الغارات * و نُادِيَ عند نهبه يا للثارات * نشز
ابو زيد كالمجنون * و تباعد عنه تباعُدَ الضبّ من النُّون *
فراودناه على ان يعود * و لا يكون كُقدارٍ في ثمودَ * فقال و الذي
يُنشِرُ الاموات من الرِّجام * لا عُدتُ دون رفع الجام * فلم نجد
بدا من تألُّفه * و ابرار حلفه * فاثلناه و العقول معه شائلة *
و الدموع عليه سائلة * فلما فاء الى مجثمه * و خلص من مأثمه *
سألناه لَم قام * و لاي معنىً استرفع الجام * فقال ان الزُّجاج نمَّام *
و اني آليتُ مُذ أعوام * ان لا يُضَمّني و نَوماً مقام * فقلنا
ما سبب يمينك الصَّرى * و اليَنك الحَرّى * فقال كان لي جار
لسانه يتقرَّب * و قلبه عقرب * و لفظه شهد يَنفَع * و خباه سم مُنقَع *
وملتُ لمجاورته - الى مجاورته * و اغتررتُ بمكاشرته - في معاشرته *

واستهوتني خضرة دمنته - لمنادمته * راغرتني خدعة سمته - بمفاسمته *
فمازجته و عندي انه جار مكاسر * فبانَ انه عُقاب كاسر * و آنسته
على انه حبٌّ موانس * فوضح انه حُباب مُوالس * و مالحته
و لا اعلم انه عند نقده * ممن يفرح بفقده * و عاقرته ولم ادر انه
بعد فره * ممن يُطرب لمقرّه * و كانت عندي جارية * لا يوجد لها
في الكمال مجارية * ان سفرتْ خجل النيران * و صليت القلوب
بالنيران * و ان بسمت ازرت بالجُمان * و بيعَ المرجانُ بالمجّان *
و ان رنتْ هيّجت البلابل * و حقّقتْ سحرَ بابل * و ان نطقت
عقلت لبَّ العاقل * و استنزلت العُصَمَ من المعاقل * و ان قرأت
شفت المفؤود * و احيت الموءود * و خِلْتَها ارتيتْ من مزامير آل
داؤد * و ان غنّت ظلّ معبدُ لها عبدا * و قيل سُحقًا لاسحاقَ
و بُعدا * و ان زمرت اضحى زُنامٌ عندها زنيما * بعد ان كان لجيله
زعيما * و بالاطراب زعيما * و ان رقصت امالت العمائمَ عن
الرؤس * و انستْكَ رقص الحبَب في الكؤس * فكنت ازدري
معها حُمَرَ النعم * و اُحلّي بتملّيها جيدَ النّعم * و احجُب مرآها
عن الشمس و القمر * و اذود ذكراها عن شرائع السمر * و انا مع
ذلك أليفُ * من ان تسري بريّاها ريح * او يكمُنَ بها سَطيح *
او ينم عليها برق مُليح * فاتّفق لوشك الحظ المبخوس * و نكد
الطالع المنحوس * ان انطقتني بوصفها حُمّيا المدام * عندالجار
النمام * ثم ثاب الفَهْم * بعد ان صرد السهم * فاحسستُ الخبال
و الوبال * و ضيعةَ ما أُودعَ ذلك الغربال * بَيْدَ اني عاهدته *
على عكم ما لفظته * و ان يحفظ السرَّ و لو احفظتُه * فزعم انه
يخزن الاسرار * كما يخزن اللئيم الدينار * و انه لا يهتك الاستار *

و لو عُرِضَ لان يلجَ النار * فما غبّر على ذلك الزمان * الا يوم او يومان * حتى بدا لامير تلك القدرة * و اليها ذى المقدرة * ان يقصد باب قبله * مجدّدا عرض خيله * و مستمطرا عارض نيله * و ارتاد ان يصحبه تحفة تلائم هواه * ليقدّمها بين يدي نجواه * و جعل يبذلُ الجعائل لمرّاده * يستّنى المراغبَ لمن يظفره بمراده * فاسفَّ ذلك الجبار الختّار الى بذوله * و عصى في ادّراع العار عذلَ عُذوله * فاتى الوالي ناشرا اُذنيه * و ابتّه ما كنتُ اسررتهُ اليه * فما راعني الا انسياب صاغيته اليّ * و انثيال حفدته عليّ * يسومني ايثاره بالدرة اليتيمة * على ان اتحكّم عليه فى القيمة * فغشيني من الغم * ما غشي فرعون و جنوده من اليم * و لم ازل اُدافع عنها و لا يغنى الدّفاع * و استشفع اليه ولا يُجدى الاستشفاع * و كلما رأى منى ازدياد الاعتياص * و ارتياد المناص * تجرّم و تضرّم * و حرّق عليّ الأرمّ * و نفسي مع ذلك لاتسمح بمفارقة بدري * و لا بان انزع قلبي من صدري * حتى آل الوعيد ايقاعا * و التقريع قراعا * فقادنى الاشفاق من الحين * الى ان قضته سواد العين * بصفرة العين * و لم يحظ الواشي بغير الاثم و الشين * فعاهدتُ الله تعالى منذ ذلك العهد * ان لا احاضر نمّاما من بعد * و الزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة * و به يضرب المثل فى الذميمة * فقد جرى عليه سيلُ يميني * و لذلكم السبب لم تمتدّ اليه يميني * نظم

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته * على ان حُرِمتم بي اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وانني * سارتق فتقي من تليدي و طارف
على ان ما زوّدتكم من فُكاهة * الذ من الحلوا لدى كل عارف

قال الحارث بن همّام فقبلنا اعتذاره * و قبّلنا عذاره * و قلنا له قدما و قذت الذميمةُ خيرَ البشر * حتى انتشر عن حمّالة الحَطَب ما انتشر * ثم سألناه عما احدث جاره القتّات * و دُخْلُله المقتات * بعد ان راش له نبلُ السّعاية * و جذم حبْلَ الرعاية * فقال اَخَذ في الاستخذاء و الاستكانة * و الاستشفاع الَيَّ بذوى المكانة * و كنت جرّجت على نفسي * ان لا يسترجعَه أنسي * او يرجعَ اليَّ امسي * فلم يكن له مني سوى الرد * و الاصرار على الصدّ * و هو لا يكتئب من النجه * و لا يتّئب من وقاحة الوجه * بل يُلِظُّ بالوسائل * و يُلِحُّ في المسائل * فما انقذني من ابرامه * و لا ابعد عليه نيل مرامه * الا أبيّات نفث بها الصدر المَوْتور * و الخاطر المبتور * فانها كانت مَدَرةً لشيطانه * و مسجنةً له في اوطانه * و عند انتشارها بتّ طلاقَ الحبور * و دعا بالويل و الثّبور * و يئس من نشرِ وصلي المقبور * كما يئس الكفارُ من اصحاب القبور * فناشدناه انْ ينشدَنا اياها * و يُنشقنا ريّاها * فقال اجَلْ * خُلق الانسان من عَجَل * ثم انشد لا يَزْوِيه خجَل * و لا يُثنيه و جَل * نظم

و نديم محضتُه صدقَ وُدّي * اذ توهّمْتُـــه صَديقًا حميما
ثم اوليتـه قطيعـــةَ قالٍ * حين ألْفيتُه صديدا حَميما
خلتُـــه قبلَ ان يجرّبَ إلفًا * ذا ذمام فبان جِلْفًا ذميما
و تخيّـــرْتُه كليما فامسى * منه قلبي بما جناه كليما
و تظنّيْتـه معينـا رحيما * فتبيّنتُه لعينـــا رجيمـا
و تراأيتـــه مُريدا فجلّى * عنه سَبْكي له مَريدا لئيما
و توسّمْت ان يهبَّ نسيمـــا * فابى ان يهبَّ الّا سَمـومـا
بتُّ من لسعه الذي اعجز الرا * قي سليما و بات مني سليما

وغدا امرُه غداةَ افترقنـــا * مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خصيبا و لكن * كان بالشرّ رائعا لي خصيما
قلت لما بأوتُه ليتـه كا * ن عديما و لم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نمّ الى قلـ * ـبي لان الصباح يُلفى نَموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كا * ن سواد الدجى رقيبا كَتُوما
وكفى مَن يشي ولو فاه بالصد * ق أثاما فيما اتاه و لُوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه و سجعه * و استملح تقريضه و سبعه * بوّاه مهاد كرامته * و صدّره على تكرمته * ثم استحضر عشر صحاف من العرب * فيها حلواء القند و الضَّرَب * و قال له لا يستوي اصحابُ النار و اصحابُ الجنة * و لا يسَعُ ان يُجعَل البَريُّ كذى الظِّنَّة * و هذه الآنية تتنزّل منزلة الابرار * في صون الاسرار * فلا تُولِها الابعاد * و لا تُلحِق هُوَدًا بعادٍ * ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه * ليحكم فيها بما يهواه * فاقبل علينا ابوزيد و قال اقرؤوا سورة الفتح * و ابشروا باندمال القَرْح * فقد جَبَر اللهُ ثُكلكم و سنى اُكلكم * و جمَع في ظلّ الحلواء شملكم * و عسى ان تكرَهوا شيأ و هو خيرٌ لكم * و لما هَمّ بالانصراف * مال الى استهداء الصحاف * فقال للآدب ان من دلائل الظرف * سماحة المُهدي بالظرف * فقال كلاهما و الغلام * فاحذف الكلام * وانهض بسلام * فوثب في الجواب * و شكره شكر الروض للسحاب * ثم اقتادنا ابو زيد الى حوائله * و حكّمنا في حلوائه * و جعل يقلّبُ الاواني بيده * و يُقفّ عددها على عدده * ثم قال لستُ ادري اشكوذلك الذمام ام اشكر(†) * و أتناسى فعلَتَه ام اذكُر * فانه و ان كان اسلف

(†) لست ادري اشكر ذلك الذمام ام اكفر

الجريمة * و نمنم الذميمة * فمن غيمه انهلّت هذه الدّيمة * و بسيفه انحازت لي هذه الغنيمة * و قد خطر ببالي * ان ارجع الى اشبالي * و اقنع بما تسنّى لي * و لا أتعب نفسي و لا أجمالي * و انا أودّعكم وَداع محافظ * و استودعكم خيرَ حافظ * ثم استوى على راحلته * راجعا في حافرته * و لاويا الى زافرته * فغادرنا بعد ان رحلت عنّه * و زايلنا أنسه * كدَسْتٍ غاب صدره * او ليل افل بدره *

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

روى الحارث بن همام قال اممل العراق ذات العُوَيْم * لاخلاف انواء الغيم * و تحدّث الرُّكبانُ بريف نَصيبيْنَ * و بُلَهْنِيَة اهلها المُخصبيْن * فاقتعدتُ مهريًّا * و اعتقلتُ سَمْهَرِيًّا * و سرت تلفظُني ارضٌ الى ارض * و يجذبُني رفع من خفض * حتى بلغتُها نقضًا على نقْض * فلما انخْتُ بمغناها الخصيب * و ضربتُ في مرعاها بنصيبٍ * نويت ان ألقيَ بها جراني * و اتّخذَ اهلَها جيراني * الى ان تحيى السنةُ الجماد * و يتعهّد ارضَ قومي العهاد * فوالله ما تمضمضتْ مُقلتي بنومها * و لا تمخّضتْ ليلتي عن يومها * او الفيتُ ابا زيد السروجي يجول في أرجاء نصيبيْن * و يخبطُ بها خبط المُصابين والمُصيبين * و هو يفتّر من فيه الدُّرَر * و يحتلبُ بكيفه الدّرر * فوجدت جهادي قد حاز مغنما * و قدْحي الفَدَّ قد صار توأمًا * و لم ازل اتبَعُ ظلّه اينما انبعث * و التقطُ لفظَه كُلّما نفث * الى ان عراه مرض امتدّ مداه * و عرقَتْه مُداه * حتى كاد يسلُبه ثوبَ المَحيا * و يسلّمه الى ابي يحيى * فوجدت لفوت لُقياه *

و انقطاع سُقياه * ما يجده المُبعدُ عن مرامه * و المُرضَعُ عند فطامه * ثم أرجف بأن رَهَنَه قد غلق * و مخلّب الحمام به قد علق * فقلق صحبُه لارجاف المُرجفين * و انثالوا الى عَقوته مُوجفين * نظم

حيارى يميـــد بهم شجـوهم * كأنّهم ارتضعـوا الخنـــدريسا
اسالوا الغروبَ و عطّوا الجيوب * و صكّو الخدودَ و شجّوا الرؤوسا
يودّون لو سالتْـــه المنـــون * و غالت نفائسهم و النفوسا

قال الراوي و كنت فيمن التفّ باصحابه * و اغذّ الى بابه * فلما انتهَيْنا الى فنائه * و تصدّينا لاستنشاء انبايه * برز الينا فتاهُ * مُفْقرّةً شفتاه * فاستطلعناه طلْعَ الشيخ في شكاته * و كُنه قوى حركاته * فقال قد كان في قبضة المرضة * و عَركة الوعكة * الى ان شفّه الدنف * و استشفه التلف * ثم منّ الله بتقوية ذَمائه * فافاق من اغمائه * فارجعوا ادراجكم * و انضُوا انزعاجكم * فكان قد غدا و راح * و ساقاكُم الراح * فاعظمنا بُشراه * و اقترحنا ان نراه * فدخل موذنا بنا * ثم خرج آذنا لنا * فاقبْنا منه لقى * و لسانا طَلْقا * و جلسنا مُحْدقين بسريره * مُحَدّقين الى اساريره * فقلّب طرفه في الجماعة *

ثم قال اجتلوها بنتَ الساعة * و انشد * نظم

عافاني الله و شكـرا له * من علّة كادت تُعفّيني
و منّ بالبُـــرء على انه * لابدّ من حتف سيَبْريني
ما يتناساني و لكنّـه * الى تقضّى الاكل ينُسيني
ان حُمّ لم يغنِ حميمٌ ولا * حمى كُلَيْب منه يحميني
و ما أبالي ادنا يومه * ام أخّر الحينُ الى حين
فاي فخر في حياة ارى * فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الاجل * و ارتداد الوَجَل * ثم تداعينا الى

القيام * لاتّقاء الابرام * فقال كلاَّ بل البَثوا بياضَ يومكم عذري * لتَشفوا بالمفاكهة وجدي * فان مناجاتكم قُوتُ نفسي * و مَغْناطيسُ أُنسي * فتحرَّينا مرضاتَه * و تحامَينا معاصاته * ثم اقبلنا على الحديث نمخَض زُبدَه * و نُلْغي زَبَدَه * الى ان حان وقتُ المقيل * و كلَّت الالسُنُ من القال و القيل * و كان يومئذ حامي الوديقة * يانعَ الحديقة * فقال ان النُّعاسَ قد امال الاعناق * و راود الآماق * و هو خصمٌ آلدُّ * و خطْبٌ لا يُرَدُّ * فصلوا حبْلَه بالقيلوله * و اقتدوا فيه بالاثار المنقولة * قال الراوي فاتَّبعْنا ما قال * و قلنا و قال * فضرب الله على آلاذان * و افرغ السِّنة في الاجفان * حتى خرجنا من حكم الوجود * و صُرفنا بالهُجود عن السُّجود * فما استيقظنا إلا و الحرُّ قد باخ * و اليومُ قد شاخ * فتكرَّعنا لصلوة العجماوين * و ادَّينا ما حل من الدين * ثم تحثثنا للارتحال * الى مُلقَى الرِّحال * فالتفتَ ابو زيد الى شِبْله * و كان على شاكلته و شكْله * و قال اني لاخالُ ابو عمرة * قد اضرم في احشائهم الجمرة * فاستدع ابا جامع * فانه بُشرى كلّ جائع * و ادفه بابي نُعَيم * الصابر على كل ضَيْم * ثم عزِّز بابي حَبيب * المُحبَّب الى كلّ لبيب * المقلَّب بين احراقٍ و تعذيب * و اَهِبْ بابي ثَقيف * فحبَّذا هو من الیف * و هَلُمْ بابي عَون * فما مثله من عَون * و لو استحضرتَ ابا جَمَل * لجَمَّلَ(†) اي تجميل * وحَيَّ هل بام القرى * المُذكّرة بكسرى * و لا تتناسَ أُمَّ جابر * فكم لها من ذاكر * و نادٍ ام الفَرَج * ثم افتكْ بها و لا حرَج * و اختِمْ بابي رزين * فهو مسلاة كل حزين * و ان تقرن به ابا العلاء * تمح

(†) فجمل *

اسمَك من البخلاء * و اياك و استدناء المرجفين * قبل استقلال حمول البَين * و اذا نزَع القومُ عن المراس * و صافحوا ابا اياس * فاطِفْ عليهم ابا السَّرْو * فانهَّ عنوانُ السَّرْو * قال فَفَقهَ ابنهُ لطائف رموزه * بلطافة تمييزه * فطاف علينا بالطيّبات و الطيب * الى ان دنتِ الشمسُ بالمغيب * فلما اجمعنا على التوديع * قلنا له الم تر الى هذا اليوم البديع * كيف بدا صبحه قَمْطريرا * و مُسْفِرُه مُستنيرا * فسجَد حتى اطال * ثم رفع رأسه وقال * نظم

لا تَيْأَسَنْ عند النُّوبْ * من فَرْجةٍ تجلو الكُرَبْ
فلكَمْ سَمُوم هبَّ ثُمَّ جرى نسيما فانقلب
و سحاب مكروه تنشّأ فاضمحلَّ و ما سكب
و دُخانِ خَطْبٍ خيف منه فما استبان له لهَب
و لطالما طلع الاسى * و على تفيئته غرب
فاصبِرْ اذا ما ناب روعُ فالزمانُ ابو العجب
و ترجَّ من رَوْح الهِ لطائفاً لا تُحتَسب

قال فاستملينا ابياته الغُرَّ * و اليدنا لله تعالى الشكر * و ودعناهُ مسرورين ببُرئه * مغمورين ببِرّه *

تفسير ما تضمنته هذه المقامة من الفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم * و مثله ذات الزُّمين * و السمهريَّة الرماح * في تسميتها بذلك قولان * احدهما انها سُمّيت به لصلابتها من قولهم اسمهرَّ الشيء اذا اشتد * و قيل انها منسوبة الى سمهر زوج رُدينَة و كان جميعا يقوّمان الرماح

فنسبت اليهما * و قوله نِقْضا على نقض اي مهزولا على مهزول * و قوله و الجران باطن العنق و قيل ان السياط تعمل منه * و قوله فضرب الله على آذانهم اي انامنا و منه قوله عز و جل فضربنا على آذانهم في الكهف اي انمناهم و قيل في تفسيره منعناهم السمع * و قوله تكرمنا لصلاة العجماوين اي غسلنا اكارعنا و هو كناية عن الوضوء * و العَجْماوان صلاة الظهر و العصر سُمّيتا بذلك لاسرار القراءة فيهما و منه الحديث صلاةُ النهار عَجْماء * و قوله هَلُمْ اي قل له هَلُمَّ و هي بمعنى هاتِ و بمعنى اقبلْ * و الافصحُ ان يوحَّدَ لفظُها مع المذكر و المؤنث و الاثنين والجمع و به نطق القرآن في قوله تعالى و القائلين لاخوانهم هَلُمَّ الينا * و من العرب من يقول للمذكر الواحد هَلُمَّ و للاثنين هَلُمَّا و للجمع هَلُمُّوا و المؤنث الواحدة هَلُمِّي و للاثنتين هلما و للجمع هَلُمُمْنَ * و قوله حيَّ هَلْ اي عجِّلْ يقال حيَّ هل بفلان بتسكين اللام و فتحها و تنوينها و باثبات النون معها و منه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنهما اذا ذُكر الصالحون فحيَّ هلاً بعُمَرَ و في حيَّ هلَ لغات آخر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضعَ استيفاء شرحها * فهذا تفسير الفاظ اللغوية * و اما تفسير الكُنى الطفيليَّة و الكنايات الصوفية فابو يحيى كنية ملك الموت * و ابو عَمْرَةَ كنية الجوع و يُكنى ايضا ابا مالك * و ابو جامع الخوان * و ابو نعيم الخُبزُ الحُوَّارى * و ابو حبيب الجدي * و ابو ثقيف الخَلُّ * و ابو عَوْنٍ الملح * و ابو جَميل البقل * و أُمّ القرى السكباج * و أم جابر الهريسة * و أم الفرج الجُوْذابة * و ابو رزين الخبيص * و ابو العلاء

الغالوذج * و ابو اياس الغسول * والمرجفان الطشت والابريق * وابو السرو البخور *

المقامة العشرون الميافارقينية

حكى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين * مع رفقة موافقين * لا يمارون في المناجاة * ولا يدرون ما طعم المداجاة * فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره * ولا ظعن عن ليفه و جاره * فلما انخنا بها مطايا التسيار * و انتقلنا من الاكوار الى الاوكار * تواصينا بتذكار الصحبة * و تناهينا عن التقاطع في الغربة * و اتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار * و نتهادى فيه طرف الاخبار * فبينا نحن فيه في بعض الايام * و قد انتظمنا في سلك التيام * وقف علينا ذو مقول جريّ * و جرس جبوزيّ * فحيّى تحيّة نفّاث في العقد * قنّاص للاسد و النقد * ثم قال * نظم

عذلي يا قوم حديث عجيب * فيه اعتبار للبيب الاريب
رأيت في ربعان عمري اخا * بأس له حدّ الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من * يوقن بالفتك و لا يستريب
فيفرج الضيق بكرّاته * حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى * عن موقف الطعن برمح خضيب
و لا سما يفتح مستصعبا * مستغلق الباب منيعا مهيب
الّا و يودي حين يسموله * نصر من الله و فتح قريب
هذا و كم من ليلة باتما * يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد و يرتشفنه * و عولدى الكل المفدّى الحبيب
فلم يزل يبتزّ دهره * ما فيه من بطش و عود صليب

حتى اصارته الليـــالي لقيً * يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الراقيَ تحليـــلُ ما * به من الدّاء و اعيَى الطبيب
و صارَمَ البيضَ و صارَ مْنَـــه * من بعد ما كان المجابَ المجيب
و آضَ كالمنكوس في خلقـه * ومَن يعَشْ يلقَ دواهي المشيب
و ها هو اليوم مسجّى فمَن * يرغب في تكفين مَيْتٍ غريب
ثم اعلن بالنحيب * و بكى بكاءَ المحبّ على الحَبيب * و لما
رقأتْ دمعتُه * و انفتأتْ لوعتُه * قال يا نُجْعَة الرواد * و قدرةَ
الاجواد * و الله ما نطقتُ بُهتان * و لا اخبرتُكم الّا عن عيان * و لو
كان في عصاي سيرٌ * و لغيمي مُطَيْرٌ * لاستأثرتُ بما دعوتُكم اليه *
و لما وقفت موقف الذال عليه * و لكن كيف الطيران بلاجَناح *
و هل على من لا يجِدُ من جُناح * قال الراوي فطفقَ القومُ
يأتمرونَ فيما يأمرون * و يتخافتون فيما يأتون * فتوهّم انهم على صرفه
بحرمان * او مُطالبته ببُرهان * ففرط منه ان قال يا يلامعَ القاع *
و يراميعَ البقاع * ما هذا الارتياء * الذي يا باه الحياء * حتى كانكم
كُلّفتم مشقة * لا شُقَّةَ * او استوهبتم بلدةً * لا بُردةً * او هُزئتم لكسوة
البيت * لا لتكفين المَيْت * اُفٌّ لمَن لا تندى صَفاتُه * و لا ترشَحُ
حَصاتُه * فلما بصُرت الجماعةُ بذَلاقته * و مَرارة مذاقته * رفأه كلٌّ
منهم بذيله * و احتمل طلّه خوفَ سَيله * قال الحارث بن همّام
و كان هذا السائل واقفا خلفي * و محتجبا بظهري عن طرفي *
فلما ارضاه القومُ بسيبهم * و حقّ عليّ التأسّي بهم * خلجتُ
خاتمي من خنصَري * و لفتُّ اليه بصَري * فاذا هو شيخُنا
السروجي بلا فِرْية * و لا مِريَة * فايقنتُ انها اُكذُوبةٌ تكذّبها * و
اُحبولةٌ نصبَها * الا انّني طويتُه على غَرّه * و صُنتُ شَغاه عن فرّه *

فحصَبْتُه بالخاتمَ * و قلتُ ارصدْ للنفقة الماتَم * فقال واهاً لك * فما اضرَمَ شُعلتك * و اكرَم فعلتك * ثم انطلق يسعى قُدما * و يُهرول هرولته قدما * فنزعتُ الى عرفان ميّته * و امتحان دعوى حميّته * فقرعتُ ظُنْبُوبي * و الهبتُ ألهوبي * حتى ادركته على غَلوة * و اجتليتُه في خلوة * فاخذتُ بجُمع اردانه * و عُقْتُه عن سَنَن ميَدانه * و قلت و الله ما لك مني ملجأ ولا منجا * او تُريني ميتَك المُسجّى * فكشف عن سرابيله * و اشار الى غُرموله * فقلت له قاتلك الله فما العبك بالنُّهى * و احيلك على اللُّهى * ثم عدتُ الى اصحابي عودَ الرائد الذي لا يكذب اهلَه * و لا يُبرقِشُ قولَه * و اخبرتُهم بالذي رأيت * و ما ورّيت و لا رأيت * فقهقهوا من كيتَ و كيتَ * و لعنوا ذلك الميتَ *

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام قال عُنيتُ مذ احكمتُ تدبيري * و عرفت قبيلي من دبيري * بان اَصغي الى العظات * و اُغنى الكلم المُحفظات * لاتحلّى بمحاسن الاخلاق * و اتخلّى مما يَسِمُ بالاخلاق * و ما زلتُ آخُذُ بهذا الادب * و اُخمدُ به جَمْرة الغضب * حتى صار التطبُّع فيه طباعا * و التكلُّف له هوىً مُطاعا * فلما حللتُ بالري * و قد حللت حبَى الغي * و عرفتُ الحي من اللَّيّ * رأيت بها ذاتَ بُكرةً * زُمرةً اثرَ زُمرة * و هم منتشرون انتشار الجَراد * و مستنُّون استنان الجياد * و متواصفون واعظا يقصدونَه * و يُحلُّونَ ابن سمعونَ دونَه * فلم ينكادني لاستماع المواعظ * و اختبار الواعظ * ان اُقاسيَ اللاغط * و احتمل الضاغط * فاصحبتُ

اصحاب المطواعة * و انخرطت في سلك الجماعة * حتّى افضينا الى نادٍ جمّ الامير و المأمور * و حشد النبيه و المغمور * و في وسط هالته * و وسط اهلّته * شيخ قد تقوّس و اقعنسس * و تقلنس و تطلّس * و هو يصدع بوعظ يشفي الصدور * و يُلين الصُّخور * فسمعته يقول * و قد افتتنت به العقول * ابنَ آدمَ ما اغراك بما يغرّك * و اضراك بما يضرّك * و اهجك بما يطغيك * و امهجك بمن يُطريك * تعنى بما يُعنّيك * و تهمل ما يعنيك * و تنزع في قوس تعدّيك * و ترتدي الحرص يرديك * لا بالكفاف تقتنع * و لا من الحرام تمتنع * ولا للعظات تستمع * و لا بالوعيد ترتدع * دأبك ان تتقلّبَ مع الاهواء * و تخبط خبْطَ العشواء * و همّك ان تدأبَ في الاحتراث * و تجمع التّراثَ اللوّاث * يعجبك التكاثرُ بما لديك * و لا تذكرُ ما بين يديك * و تسعى ابدًا لغاربك * و لا تبالي الك ام عليك * اتظنّ ان تُتترك سدًى * و ان لا تُحاسَب غدا * ام تحسَبُ ان الموت يقبَلُ الرّشا * او يميّزُ بين الاسد و الرّشا * كلّا و الله يدفع المنون * مال و لا بنون * و لا ينفعُ اهلَ القبور * سوى العمل المبرور * فطوبى لمن سمع و وعى * و حقّق ما ادّعى * و نهى النفْسَ عن الهوى * و علم انّ الفائز من ارعوى * و ان ليس للانسان الا ما سعى * و ان سعيه سوفَ يُرى * ثم انشد انشادَ رجلٍ * بصوت زجِل * نظم

لعمرك ما تُغني المغاني و الغنى * اذا سكن المثرى الثرى و ثوى به
فجُدْ في مراضي الله بالمال راضيًا * بما تقتني من اجره و ثوابه
و بادر به صرفَ الزّمان فانه * بمخلبه الاشغى يغـــول و نابه
و لا تامن الدهرَ الخؤونَ و مكرهُ * فكم حاملٍ اخنى عليه و نابه

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه * اخو ضلّة الا هوى من عقابه
و حافظ على تقوى الاله و خوفه * لتنجو مما يتّقى من عقابه
و لا تلهُ عن تذكار ذنبك و ابكه * بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
و مثّل لعينيك الحمام و وقعهُ * و روعة ملقاه و مطعم صابه
و انّ قصارى مسكن الحي حفرة * سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله * و ابدى التلافي قبل اغلاق بابه
و قال فظل القوم بين عبرة يذرونها * و توبة يظهرونها * حتى كادت الشمس تزول * و القريضة تعول * فلما خشعت الاصوات * و التأم الانصات * و استكنّت العبرات * و العبارات * استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر * و جعل يجأر اليه من عامله الجائر * و الامير صاغٍ الى خصمه * لاهٍ عن كشف ظلمه * فلما ايس من روحه * استنهض الواعظ نصحه * فنهض نهضة الشهير * و انشد معرضا بالامير * نظم

عجبًا لراجٍ ان ينال ولايةً * حتى اذا ما نال بغيته بغى
يُسدي و يُلحِم في المظالم والغًا * في وردها طورا و طورا مولغا
ما ان يبالي حين يتبع الهوى * فيها اصلح دينه ام ارتغا
يا ويحه لو كان يوقن انه * ما حالة الّا تحولُ لما طغا
او لو تبيّن ما ندامة من صغا * سمعًا الى افك الوشاة لما صغا
فانقد لمن اضحى الزمام بكفّه * و تغاضَ ان الغى الرعاية او لغا
وارعَ المرارَ اذا دعاك لوعيه * و رد الاجاج اذا حماك السيّغا
و احمل اذاه و لو امضّك مسّه * و اسالَ غرب الدمع منك و افرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا * عنه و شبّ لكيده نار الوغى
و لينزلنّ به الشماتَ اذا بدا * متخلبا من شغله متفرغا

و لتـــاوينّ له اذا ما خـــدّه * اضحى على تُرب الهوان ممرغّا
هذا له و لسوف يُوقَف مَوقفا * فيه يرى ربّ الفصاحة الثغا
و ليحشونّ اذلّ من فقع الفلا * و يحاسبنّ على النقيصة و الشغا
و يُواخَذنّ بما اجتنى ومن اجتبى * و يطالبنّ بما احتسى و بما ارتغى
و يناقشنّ على الدقائق مثلَ ما * قد كان يفعلُ بالورى بل ابلغا
حتى يعـــضّ على الولاية كفّهُ * و يودّ لو لم يبغ منهـــا ما بغى
ثم قال ايها المتوشّح بالولاية * المتوشّح للمرعاية * دع الادلال بدولتك * و الاغترار بصولتك * فان الدولة ريحٌ قُلّب * و القدرة برقٌ خُلّب * و ان اسعد الرعاة من سعدت به رعيّتهُ * و اشقاهم في الدارين من ساءت رعايتُه * فلاتكُ ممن يذُر الاخرةَ و يُلغيها * و يحُبّ العاجلة و يبتغيها * و يظلمُ الرعيةَ و يؤذيها * و اذا تولّى سعى في الارض ليُفسدَ فيها * فوالله ما يغفُل الديّان * و لا تُهمَلُ يا انسان * [و لا يلغى الاساءة و الاحسان] (†) * بل سيُوضَعُ لك الميزان * و كما تُدين تُدان * قال فوجم الوالي لما سمع * و امتقع لونهُ و اندفع * و جعل يتأفّف من الامرة * و يُردِفُ الزفرة بالزفرة * ثم عمد الى الشاكي فاشكاه * و الى المشكوّ فاشجاه * و الطف الواعظَ و حباه * و عزم عليه ان يغشاه * فانقلب عنه المظلوم منصورا * و الظالم محصورا * و برز الواعظُ يتهادى بين رفقته * و يتباهى بفوز صفقته * و اعتقبته اخطُو متقاصرا * و أريه اهجا باصرا * فلمّا استشفّ ما أُخفيه * و فطن لتقلّب وجهي فيه * قال خيرُ دليلَيْك مَن ارشد *
ثم اقترب مني و انشد * نظم

اذا الذي تعـرفه يا حارثُ * حدثُ ملوكٍ لكـهُ منافثُ

(†) في بعض النسخ

أطرب ما لا تُطرب المثالثُ * طورا اخو جِدٍّ و طورا عابث
ما غيَّرتني بعدَك الحوادثُ * و لا التحى عودي خَطْبٌ كارثُ
و لا قرى نابيَ حدَّ فارث * بل مخلبي بكل صيدٍ ضابثُ
و كُلِّ سرحٍ فيه ذئبي عائثُ * حتّى كاني للانام وارثُ
* سا مُهُم و حامُهم و يافثُ *

قال الحارث بن همّام * فقلتُ تالله انّك لابو زيد * و لقد قمتَ لله و لا عمرو بنَ عُبيدٍ * فهَشَّ هشاشة (†) الكريم اذا أمّ * و قال اسمع يا ابنَ أمّ * نظم

عليــك بالصدق و لوانــه * احرقك الصدقُ بنار الوعيــد
و ابغِ رضا الله فاغبى الــورى * من اسخط المولى و ارضى العبيد
ثم انه ودّع اخدانَه * و انطلق يسحب ردائه * فطلبناه من بعدُ بالرَّيّ * و استنشرنا خبرَه من مدارج الطيّ * فما فينا من عرَف قراره * و لا درى اىُّ الجَراد عارَه *

المقامة الثانية و العشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال آويتُ في بعض الفترات * الى سِقْي الفُرات * فلقيت بها كُتّابا ابرع من بنى الفُرات * و اعذبَ اخلاقا من الماء الفُرات * فاطفتُ بهم لتهذّبهم * لا لذهبهم * و كاثرتُهم لادبهم * لا لمآدبهم * فجالستُ منهم اضراب القَعْقاع بن شَوْر * و وصلتُ بهم الى الكَوْر بعدَ الحَوْر * حتى انهم اشركوني في المرتع و المربَع * و احلّوني محلّ الانملة من الاصبع * و اتخذونى ابنَ أنسهم عهد الولاية و العَزْل * و خازنَ سرّهم فى الجدّ و الهزل * فاتفق

(†) فتهلل تهلل الكريم

ان نُدبوا في بعض الاوقات * لاستقراء مزارع الرُّدافات * فاختاروا من الجواري المُنشئات * جارية حالكة الشّيات * تحسبُها جامدةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السحاب * وتنسابُ في الحَباب كالحُباب * ثم دعَوني الى الموافقة * واستدعَوني للمرافقة * فلما توكّنا على المطيّة الدهماء * وتبطّنّا الوليّة الماشية على الماء * أنفَذنا بها شيخا عليه سَحْق سِربال * وسبٌّ بال * فعافت الجماعة محضره * وعنّفت من احضره * وهمّت بابرازه من السفينة * لولا ما ثاب اليها من السكينة * فلما لمح منّا استئثالَ ظلّه * واستبرادَ طَلّه * تعرّض للمنافثة فصُمّتَ * وحمدَل بعد أن عطس فما شُمّتَ * فاخرد ينظر فيما آلت حاله اليه * وينتظر نصرة المَبغيّ عليه * وجُلنا نحن في شجون * من جِدٍّ ومُجون * الى ان اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما * وتبيان افضلهما * فقال قائل أن كتبة الانشاء انبلُ الكتاب * ومال مائل الى تفضيل الحُسّاب * واحتدَّ الحجاج * وامتد اللجاج * [واشتد الضجاج] (†) * حتى اذا لم يبقَ للجدال مطرح * ولا للمراء مسرح * قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم اللغط * واثرتُم الصواب والغاط * وان جليّة الحكم عندي * فارتضوا بنقدي * ولاتستفتوا احدا بعدي * اعلموا ان صناعة الانشاء ارفع * وصناعة الحساب انفع * وقلم المكاتبة خاطب * وقلم المحاسبة حاطب * واساطير البلاغات تنسخ لتُدرَس * ودساتير الحُسبانات تُنسخ وتُدرس * والمنشئ جُعَيبة الاخبار * وحقيبةُ الاسرار * ونجي العظماء * وكبير النُدماء * وقلمه لسان الدولة * وفارس الجولة * ولقمان الحكمة * وترجمان الهمة * وهو البشير والنذير *

(†) في بعض النسخ

و الشفيع و السفير * به تُستخاص الصياصي * و تُملك النواصي * و يقاد العاصي * و يستدني القاصي * صاحبه يرى من التبعات * آمنٌ كيدَ السُّعاة * مقرَّظ بين الجماعات * غيرَ معرَّض لنظم الجماعات * فلما انتهى في الفضل * الى هذا الفصل * لحظ من لمحات القوم انه ازدرع حبا و بغضا * و ارضى بعضا و احفظ بعضا * فعقّب كلامَه بان قال إلّا انّ صناعة الحساب موضوعة على التحقيق * و صناعة الانشاء مبنية على التلفيق * و قلم الحاسب ضابط * و قلم المنشئ خابط * و بين إنارة توظيف المعاملات * و تلاوة طوامير السجلّات * بون لايدركه قياس * و لايعتوره التباس * إنّ الانارة تملأ الاكياس * و التلاوة تُفرّغ الرأس * و خَراجُ الاوارج يُغني الناظر * و استخراج المدارج يعني الناظر * ثم ان الحُسبَة حفظةُ الاموال * و حمَلة الاثقال * و النقاة الاثبات * و السفرة الثقات * و اعلام الانصاف و الانتصاف * و الشهودُ الدقائع في الاخلاف * [عند اشتجار الرجال * و اشتغار الجدال] (‡) * و منهم المتوفي الذي هو يد السلطان * و قطب الديوان * و قسطاسُ الاعمال * و المهيمنُ على العمال * و اليه المآب في السلم و الهرْج * و عليه المدارُ في الدَّخل و الخرْج * و به مناطُ الضر و النفع * و في يده رباط الاعطاء و المنع * و لولا قلم الحساب * لاودَتْ ثمرة الاكتساب * و لاتصّل التغابن الى يوم الحساب * و لكان نظام المعاملات محلولا * و جرح الظلامات مطلولا * و جيد التناصف مغلولا * و سيف التظالم مسلولا * على ان يراع الانشاء متقوّل * و يراع الحساب متأوّل * و المحاسب مُناقش * و المنشئ ابو براقش * ولكليهما جمّة حين يرقى * الى ان يلقى

(‡) في نسخة

و يُرقى * و اعناتُ فيما ينشى * حتى يُغشى و يُرشى * الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ماهم * قال الحارث بن همام فلما امتع الاسماع * بما راق و راع * استنسبناه فاستراب * و ابى الانتساب * و لو وجد منسابا لانساب * فحصلت من لبسه على غمة * حتى اذكرتُ بعد أُمّة * فقلت و الذي سخّر الفلك الدوار * و الفُلك السيّار * اني لاجد ريحَ ابي زيد * و ان كنتُ اعهده ذا رواء و ايد * فتبسّم ضاحكا من قولي * و قال انا هو على استحالة حالي و حولي * فقلت لاصحابي هذا الذي لايُفْرى فريُّه * و لا يُبارى عبقريه * فخطبوا منه الود * و بذلوا له الوُجد * فرغِبَ عن الالُفة * و لم يرغب في التحفة * و قال اما بعد ان سحقتم حقي * لاجل سحقي * و كسفتم بالي * لاخلاق سربالي * فما اراكم الا بالعين السخينة * و لا لكم مني الا صحبة السفينة * ثم انشد * نظم

اسمع اخيَّ وصيةً من ناصح * ما شاب محضَ النُّصح منه بغشّه
لا تعجلَنْ بقضيَّة مبتورة * في مدح من لم تبله او خدشة
وقف القضيةَ فيه حتى تجتلي * وصفيه في حالَي رضاه و بطشه
و يبينَ خُلَّبُ برقه من صدقه * للشائمين و وبله من طشّه
فهناك ان تَرَما يشينُ فواره * كرما و ان تَرَما يزينُ فافشه
و من استحق الارتقاء فرقِّه * و من استحطَّ فحطَّه في حشّه
و اعلَم بان التبر في عرق الثَّرى * خاف الى ان يستثار بنبشه
و فضيلةُ الدينار يظهر سرُّها * من حكّه لا من ملاحة نقشه
و من الغباوة ان تُعظِّم جاهلا * لصقال ملبسه و رونق رقشه
او ان تُهين مهذَّبا في نفسه * لدروس بزته و رثّة فرشه
و لَكَمْ اخي طمرين هيبَ لفضله * و مفوَّف البردين عيبَ لفحشه

و اذا الفتى لم يغشَ عارا لم تكن * اسمـــاؤه الا مراقي عرشه
ما ان يضُرُّ الغصب كونُ قرابه * خلقا و لا البابي حقارة عُشه
ثم ما عتَّم ان استوقف الملّاح * و صعد من السفينة و ساح * فندم
كل منا على ما فرَّط في ذاته * و اغضى جفنه على قَذاته * و
تعاهدنا على ان لانحتقر شخصا لرثاثة بُرده * و ان لا نزدري سيفا
مخبوًّا في غمده *

المقامة الثالثة والعشرون الحريمية

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مالفُ الوطن * في شرخ الزمن *
لخطْب خشي * و خوف غشي * فارقت كأس الكرى * و
نصصتُ ركاب السُّرى * و جُبْت في سيري وُعُورا لم تُدمثها
الخُطا * و لا اهتدت اليه القطا * حتى وردت حِمَى الخلافة *
أحرَمَ العاصمَ من المخافة * فسروت الجاس الرَّوع و استشعارَه *
و تسربلتُ لباسَ الامن و شعارَه * و قصرتُ هَمّي على لذة اجتنيها *
و مُلحة اجتليها * فبرزتُ يوما الى الحريم لاروض طرفي * و
أجيل في طُرفه طَرفي * فاذا فرسانٌ متقالون * و رجال مُدقالون *
و شيخٌ طويل اللسان * قصيرُ الطيلسان * قد لبَّب فتيًّ جديدَ
الشباب * خلَق الجلباب * فركضت إثر النظّارة * حتى وافينا
باب الامارة * و هناك صاحب المعونة متربِّعا في دَسْته * و
رُمروعًا بسَمته * فقال له الشيخُ اعز اللهُ الوالي * و جعل كعبَة
العالي * اني كفلتُ هذا الغلامَ فطيما * و ربَّيتُه يتيما * ثم لم آلُه
تعليما * فلما مهَر و بهَر * جرَّد سيفَ العُدوان و شهَر * و لم أخَلْه
يلتوي علَيَّ و ينتفخ * حين يرتوي منّي و يلتمخ * فقال له الفتى

عَلامَ عثرتَ مني * حتى تنشر هذا الخزي عني * فوالله ما سترتُ وجه بِرِّك * و لا هتكتُ حجاب سرك * و لا شققتُ عصا امرك * و لا الغيبتُ تلاوةَ شكرك * فقال له الشيخ ويلك و ايُّ ريب اخزى من ريبك * و هل عيب افحشُ من عيبك * و قد ادَّعيت سحري و استلحقته * و انتحلتَ شعري و استرقته * و اسراق الشعر عند الشعراء * انظع من سرقة البيضاء و الصفراء * و غيرتهم على بنات الافكار * كغيرتهم على البنات الابكار * فقال الوالي للشيخ و هل حين سرق سلخ * ام مسخ ام نسخ * فقال و الذي جعل الشعر ديوان العرب * و ترجمانَ الادب * ما احدث سوى ان بترشمل شرحه * و اغار على ثالثي سرحه * فقال انشد ابياتك برمَّتها * ليضحَ ما اختاره من جملتها * فانشد * نظم

يا خاطبَ الدنيا الدنية إنها * شرك الرَّدى و قرارةُ الاكدار
دارٌ متى ما اضحكتْ في يومها * ابكتْ غداً بعداً لها من دار
و اذا ظلَّ سحابُها لم ينقشع * منه صدًى لجهامه الغرَّار
غاراتُها ما تنقضي و اسيرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مُزدهًى بغرورها حتى بدا * متمردا متجاوزَ المقدار
قلَبتْ له ظهرَ المجنِّ و اولغتْ * فيه المُدى و نزتْ لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمرَّ مضيَّعا * فيها سُدًى من غير ما استظهار
و اقطع علائق حبها و طلابها * تلقَ الهُدى و رفاهةَ الاسرار
و ارقُبْ اذا ما سالمتْ من كيدها * حربَ العِدى و توثُّب الغدار
و اعلم بانَّ خطوبَها تفجا و لو * طال المدى و زنتْ سُرى الاقدار
فقال له الوالي ثم ماذا * صنع هذا * قال اقدم للوُشمه في الجزاء * على ابياتي السداسيَّة الاجزاء * فحذف منها جزئين * و نقس

من اوزانها وزنين * حتى صار الرُّزء فيها رُزئين * فقال بين ما اخذ * و من اين فاذ * فقال أرعني سمعك * و أخل للتفهُّم عني ذرعك * حتى تتبين كيف اصلتَ عليَّ * و تقدُّرَ قدرَ اجترامه اليَّ * ثم انشد * و انفاسه تتصعَّد * نظم

يا خاطبَ الدنيا الدنيـــة انها شَرَك الردى
دارٌ متى ما اضحكتْ * في يومها ابكتْ غدا
و اذا اظـــلَّ سحـــابُها * لم يتقع منه صَدى
غاراتُهـــا ما تنقضـــي * و اسيرُها لا يُفتـــدى
كم مُزدهى بغـــرورها * حتى بدا متمـــرِّدا
قلبَـــتْ له ظهر المجـــنِّ و اولغتْ فيه المدى
فاربأ بعُمـــرك ان يمـــرَّ مضيَّعا فيما سُدى
و اقطع عـــلائقَ حُبِّها * و طلابها تـــلْقَ الهُدى
و ارقبْ اذا ما سالمَتْ * من كيدها حرب العِدى
و اعلـــم بان خطوبها * تفجأ و لو طال المدى

فالتفت الوالي الى الغلام * و قال تبًّا لك من خِرِّيج مارق * و تلميذ سارق * فقال الفتى برئتُ من الادب و بنيه * و لحقت بمن يُخازيه * و يقوِّضُ مبانيه * ان كانت آبيائه نمتْ الى علمي * قبل ان الفت نظمي * و انما اتفق توارد الخواطر * كما قد يقع الحافر على الحافر * قال فكأنَّ الوالي جوَّزك صدق زعمه * فندم على بادرة ذَمِّه * و ظلَّ يُفكِّرُ فيما يكشف له من الحقائق * و يُميِّز به العائق من المائق * فلم ير الا اخذهما بالمناضلة * و لزَّهما في قرن المساجلة * فقال لهما ان اردتما افتضاح العاطل * و اتِّضاح الحق من الباطل * فتراسلا في النظم و تباريا * و تجاولا

في حلبة الاجازة و تجاريا * ليهلك من هلك عن بينة * و يحيى من حيّ عن بيّنة * فقال له بلسان واحد * و جواب متوارد * قد رضينا بسبرك * فمُرنا بامرك * فقال اني مولَع من انواء البلاغة بالتجنيس * و اراه لها كالرَّئيس * فانظما الان عشرة ابيات تلحمانها بوَشْيه * و تُرصّعانها بحَلْيه * و ضمّناها شرح حالي * مع إلف لي * بديع الصفة * ألمعي الشفة * مليح النثني * كثير التيه و التجني * مُغرًى بتناسي العهد * و إطالة الصدّ * و اخلاف الوعد * و انا له كالعبد * قال فبرز الشيخ مجلّيا * و تلاه الفتى مُصلّيا * و تجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق * الى ان كمُل نظم الابيات و اتّسق * و هي * نظم

و احوى حوى رِقّي برقّة لفظه * و غادرني إلفَ السّهاد بغَدره
تصدّى لقتلي بالصدود وانني * لفي أسره مذ حاز قلبي باسره
أصدّق منه الزورَ خوفَ ازوراره * و ارضى استماع الهُجر خشيةَ هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما * اجد عذابي جدّ بي حبُّ برّه
تناسى ذِمامي والتناسي مذمّة * واحفظ قلبي و هوَ حافظُ سره
واعجب ما فيه التباهي بعجبه * واكبرهُ عن ان افوهَ بكبره
له منى المدُح الذي طاب نشرهُ * ولي منه طيُّ الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ماتجنّى وقد جنى * عليّ وغيري يجتني رشف ثغره
و لولا تثنّيه ثنيتُ اعنّتي * بدارا الى من اجتلي نُور بدره
واني على تصريف امري و امره * ارى المُرحلوا في انقيادي لامره
فلما انشداها الوالي متراسلين * بُهتَ لذكائهما المتعادلين * و قال اشهد بالله انكما فرقدا سماء * و كَنزَدين في رعاء * و ان هذا الحدث لينفِقُ مما آتاه الله * و يستغني بوُجده ممن سواه * فتب

ايها الشيخ من اقامه * و ثب الى اكرامه * فقال الشيخ هيهات ان تراجعه مقلتي * او تعلق به ثقتي * و قد بلوت كفرانه للصنيع * و منيت منه بالعقوق لشنيع * فاعترضه الفتى و قال يا هذا ان المجاج شؤم * والحنق لؤم * وتحقيق الظنة اثم * واعنات البرى ظلم * و هبني اقترفت جريرة * او اجترحت كبيرة * اما تذكر ان انشدتني لنفسك * في ابان انسك * نظم

سامح اخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما او قسط
و احفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة ام غمط
واطعه ان عاصى و هن * ان عز وادن اذا شحط
وامن الوفاء و لو اخـ * ـلّ بما اشترطت وما اشترط
و اعلم بانك ان طلـ * ـبت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قـ * ـط و من له الحسنى فقط
او ما ترى المحبوب و المـ * ـكروه لزّا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو * ن مع الجنى الملتقط
و لذاذة العمر الطـ * ـويل يشوبها نغص الشمط
و لو انتقدت بنى الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل * و يحملق حملقة الباري المطل * ثم قال و الذي زين السماء بالشهب * و انزل الماء من السحب * ما روغي عن الاعطاء * الا لتوقي الافتضاح * فان هذا الفتى اعتاد ان اموّنه * و اراعي شؤونه * و قد كان الدهر يسمح فلم اكن اشح * فاما الان فالوقت عبوس * و حشو العيش بؤس * حتى ان بزتي هذه عارة * و بيتي لانطور به فارة * قال فرق لمقالهما

قلب الوالي * و اوى لهما من غير الليالي * و صبا الى اختصاصهما بالاسعاف * و امر النظارة بالانصراف * قال الراوي و كنت متشوفا الى مرأى الشيخ لعلّي اعلم علمه * اذا عانيت وَسْمه * و لم يكن الزحامُ يسفر عنه * و لا يفرُجُ لي فادنو منه * فلما تقوّضت الصفوف * و اجفل الوقوف * ترسمتهُ * فاذا هو ابو زيد و الفتى فتاه * فعرفتُ حينئذ مَغزاه فيما اتاه * و كدتُ انقضُّ عليه * لاستعرفَ اليه * فزجرني بايماض طرفه * و استوقفني بايماء كفّه * فلزمت موقفي * و اخرتُ مُنصرَفي * فقال الوالي ما مرامك * و ايما سبب مقامُك * فابتدره الشيخُ و قال انه انيسي * و صاحب ملبوسي * فتسمّح عند هذا القول بتانيسي * و رخّص في جلوسي * ثم افاض عليهما خلعتين * و وصلهما بنصاب من العين * و استعهدهما ان يتعاشرا بالمعروف * الى اظلال اليوم المخوف * فنهضا من ناديه * مُشيدَيْن بشكر اياديه * و تبعتهما لاعرف مثواهما * و اتزوّد من نجواهما * فلما اجزنا حمى الوالي * و افضينا الى الفضاء الخالي * ادركني احد جلاوزته * مهيبا الى حوزته * فقلت لابي زيد ما اظنّه استحضرني * الا ليستخبرني * فما ذا اقول * و في اي واد معه اجول * فقال بيّن له غباوة قلبه * و تلعابي بلُبّه * ليعلم ان رتبه لا تُت اعصارا * و جدوله صادف تيّارا * فقلت اخاف ان يتّقدَ غضبه * فيلفحَك لهبه * او يشتشري طيشه * فيسري اليك بطشه * فقال اني ارحل الان الى الرُّها * و انى يلتقي سهيل و السها * فلما حضرتُ الوالي و قد خلا مجلسه * و انجلى تعبّسُه * اخذ يصف ابا زيد و فضله * و يذم الدهر له ثم قال نشدتك الله البت * الذي اعاره الدست * فقلت

لا و الذي اجلسك في هذا الدست * ما انا بصاحب ذلك الدست * بل انت الذي تم عليه الدست * فازورّت مقلتاه * و احمرت وجنتاه * و قال و الله ما اعجزني قط فضح مريب * و لا تكشيفُ مَعيب * و لكن ما سمعت بان شخصا دلس * بعد ما تطلّس * فبهذا تم له ان لبس فما * كنية ذلك القُرَيد * فقلت ابو زيد * فقال انه بابي كيد * اليق منه بابي زيد * افتدري اين سكّع * ذلك الكَع * قلت اشفق منك لتعدي طوره * فظعن عن بغداذ من فوره * فقال لا قرب الله له نوى * و لا كلأه اين ثوى * فما زالت اشد من نكره * و لا ذقت امر من مكره * و لو لا حرمة ادبه * لاوغلت في طاعته * الى ان يَقَع فارقع به * و اني لاكره ان تشيع فعلته * بمدينة السلام * فافتضح بين الانام * و تحتط مكانتي عند الامام * و اصير ضُحكة الخاص و العام * فعاهدني على ان لا اتفوه بما اعتمد * ما دمتُ حلاًّ بهذا البلد * قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتأوّل * و وفيتُ له كما و في السموءل *

المقامة الرابعة و العشرون القطيعية

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع * في ايّان الربيع * فتية وجوههم ابلج من انواره * و اخلاقهم ابهج من ازهاره * و الفاظهم ارق من نسيم اسحاره * فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر * و يغني عن رنات المزاهر * و كذا تقاسمنا على حفظ الوداد * و حظر الاستبداد * و ان لا ينفرد احدنا بالتذاذ * و يستأثر و لو برذاذ *

فاجمعنا في يوم سما دَجْنُه * ونما حسنُه * و حكم بالاصطباح مُزنه * على ان نلتهي بالخروج * الى بعض المُروج * لنسرح النواظر * في الرياض النواضر * و نصقلَ الخواطر * بشَيم المواطر * فبرزنا و نحن كالشهور عِدَّة * وكُندماني جَذيمةَ مودَّة * الى حديقة اخذت زُخرُفَها و ازَّينت * و تنوَّعت ازاهيرها و تلوَّنت * و معنا الكُميت الشُّموس * و السُّقاة الشُّموس * و الشادي الذي يُطرِبُ السامعَ و يلهيه * و يَقري كلَّ سمع ما يشتهيه * فلما اطمأنَّ بنا الجلوس * و دارت علينا الكؤس * وَغَلَ علينا دَهْر * عليه طِمْر * فتجهَّمناه تجهُّم الغيد الشِّيب * و وجدنا صفوَ يومنا قد شِيب * الا انه سلَّم تسليم أولى الفهم * و جلس يفضُّ لطائف الدُّر و النظم * و نحن ننزوي من انبساطه * و ننبري لطيّ بساطه * الى ان غنى شادينا المُغرب * و مُغرِّدنا المطرب * نظم

إلامَ سعادُ لا تصلين حبلي * و لا تأرين لي مما ألاقي
صبرت عليكِ حتى عيلَ صبري * و كادت تبلُغ الروحُ التراقي
و هانا قد عزمت على انتصافٍ * أساقي فيه خِلّي ما يُساقي
فان وَصْلاً أَلَذُّ به فوصلٌ * و ان صُرْما فُصْرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العابث بالمثاني * لم نصب الوصل الاول و رفع الثاني * فاقسم بقوية ابويه * لقد نطق بما اختاره سِيبَوَيْه * فتشعَّبت حينئذ آراء الجمع * في تجويز النصب و الرفع * فقالت فرقة رفعهما هو الصواب * و قالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب * و استبهم على آخرين الجواب * و استعر بينهم الاضطخاب * و ذلك الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة * و ان لم يفه ببنت شَفَة * حتى اذا سكنت الزماجر * و صمتَ المزجورُ و الزاجر * قال يا قوم

انا أُنبّئكم بتاويله * و أُميّز صحيح القول من عليله * انه ليجوز رفعُ الوصلين و نصبهما * و المغايرة في الاعراب بينهما * و ذلكم بحسب اختلاف الاضمار * و التقدير المحذوف في هذا المضمار * قال فغرّط من الجماعة إفراط في مُماراته * و انخرأط الى مباراته * فقال اما اذا دعوتم نزال * و تلبّبتم للنضال * فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب * او اسم لما فيه حرف حلوب * و اي اسم يتردّد بين فرد حازم * و جمع ملازم * و أيّة هاء اذا التحقت اماطت الثقل * و اطلقت المعتقل * و اين تدخل السين فتعزل العامل * من غير ان تجامل * و ما منصوب ابدا على الظرف * لا يحفضه سوى حرف * و اي مضاف اخلّ من عُرَي الاضافة بعُروة * و اختلف حكمه بين مساء و غُدوة * و ما العامل الذي يتّصل آخره باوله * و يعمل معكوسُه مثل عمله * و اي عامل نائبه ارحبُ منه وكرا * و اعظم مكرا * و اكثر لله تعالى ذكرا * و في اي موطن يلبَس الذُّكران * براقع النسوان * و تبرُز رَبّاتُ الحِجال * بعمائم الرجال * و اين يجب حفظ المراتب * على المضروب و الضارب * و ما اسم لا يُفهم الا بالاستضافة كلمتين * او الاقتصار منه على حرفَين * و في وضعه الاول التزام * و في الثاني الزام * و ما وَصْف اذا رُدِفَ بالنُّون * نقَص صاحبه في العُيون * و قُوِّمَ بالدُّون * و خرج من الزبون * و تعرض للهُون * فهذه ثنتاعشرة مسئلة وفق عددكم * و زنة لدَدكم * و لو زدتم زدنا * و ان عدتم عدنا * قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتي هالت * لما انهالت * ما حارت له الافكار و حالت * فلما اعجزنا العومُ في بحره * و استسلمت ثمائمنا لسحره * عدلنا من استثقال الرؤية

له الى استنزال الرواية عنه * و من بغي التبرّم به الى ابتغاء
التعلّم منه * فقال و الذي نزّل النحو في الكلام * منزلة الملح
في الطعام * و حجب مطالعه عن بصائر الطغام * لا انلتكم
مراما * و لا شفيت لكم غراما * او تخوّلني كل يد * و يختصّني
كل منكم بيد * فلم يبقَ في الجماعة الا من اذعن لحكمه *
و نبذ اليه خبأة كُمّه * فلما حصله تحت وكائه * اضرم
شعلة ذكائه * فكشف حينئذ من اسرار الغازه * و بدائع اعجازه
ما جلا به صدأ الاذهان * و جلّى مطلعه بنور البرهان * قال
الراوي فهمنا * حين فهمنا * و عجبنا * اذ اُجبنا * و ندمنا * على
ما ندّ منا * و اخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس * و نعرض عليه
ارتضاع الكاس * فقال مأرب لا حفارة * و مشرب لم يبقَ له عندي
حلارة * ثم شمّخ بانفه صلفا * و نأى بجانبه انفا * و انشد * نظم
نهاني الشيب عما فيه افراحي * فكيف اجمع بين الراح والراح
و هل يجوز اصطباحي من مُعتّقة * و قد انار مشيبُ الرأس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت * روحي بجسمي والفاظي بافصاحي
ولا اكتستْ لي بكاسات السُّلاف يد * و لا اجلتُ قداحي بين اقداح
و لا صرفتُ الى صرف مشعشعة * همّي و لا رحتُ مُرتاحا الى راح
و لا نظمت على مشمولة ابدا * شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاح
محا المشيب مراحي حين خط على * رأسي فابغض به من كاتب ماح
و لاح يلحى على جرّي العنان الى * ملهىً فسحقا له من لائح لاحى
و لو لهوت و فودي شائب لخبا * بين المصابيح من غسّان مصباحي
قوم سجاياهمُ توقيرُ ضيفهم * والشيب ضيف له التوقير ياصاح
قال ثم انه انصاب انسياب الايم * و اجفل اجفال الغيم * فعلمت انه

سراج سروج * و بدر الادب الذي يجتابُ البروج * و كان قُصارانا التحرّق لبعدهِ * و التفرّق من بَعدهِ *

تفسير ما اودع هذه المقامة من الذكت الغريبة و الاحاجي النحوية *

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلاً الذّ به فوصل فانه نظير قولهم المرء مجزيٌّ بعمله ان خيرا فخير و ان شرا فشر * و هذه المسئلة اودعها سيبويه كتابه و جوّز في إعرابها اربعة اوجه * احدها و هو اجودها ان تنصبَ خيرا الاولَ و ترفع الثاني و تنصبَ شرا الاول و ترفعَ الثاني و يكون تقديره ان كان عملهُ خيرا فجزاءه خير و ان كان عمله شرا فجزاءه شر فينتصب الاول على انه خبرُ كان و يرتفع الثاني على انه خبر مبتدأ محذوف و قد حذفتَ في هذا الوجه كان و اسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما و حذفتَ ايضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها * و الوجه الثاني ان تنصبَهما جميعا و يكون تقديرُ الكلام ان كان عملُه خيرا فهو يجزى خيرا و ان كان عملُه شرا فهو يُجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر كان و ينتصب الثاني انتصابَ المفعول به * و الوجه الثالث ان ترفعهما جميعا و يكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خيرٌ الاول على انه اسم كان و يرتفع خيرٌ الثاني لانه خبرُ مبتدأ محذوف على ما بُيّن في شرح الوجه الاول و قد يجوز ان يرتفع خيرُ الاول على انه فاعل كان و تجعل كان المقدّرة ههنا هي التامة التي تاتي بمعنى حدث و وقع فلا تحتاج الى خبرٍ كقوله تعالى و ان كان ذو عسرةٍ *

و يكون التقدير في المسئلة ان كان خيرٌ فجزاءه خيرٌ اي ان حدث خير فجزاءه خير * و الوجه الرابع و هو اضعفها أن ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث و تنصب الثاني على ما بُيّن ذكره في الوجه الثاني و يكون التقدير ان كان في عماله خير فهو يجزى خيرا و على حسب هذا التفسير و المقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي غُنّيَ به و مما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف و ان خنجرا فخنجر * و اما الكلمة التي هي حرفٌ محبوبٌ او اسم لما فيه حرف حَلِب فهي نعم ان اردتَ بها تصديقَ الاخبار او العدة عند السؤال فهي حرف و ان عنيتَ بها الابل فهي اسم * و النعم تُذكَّرُ و تُؤنَّثُ و تنطلقُ على الابل و على كلّ ماشية فيها إبل و في الابل الحرف و هي الناقة الضامرة سمّيتْ حرفا تشبيها لها بحرف السيف و قيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل * و اما الاسم المتردّد بينَ فرد حارم و جمع ملازم فهو سراويلُ قال بعضهم هو واحد و جمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فردٌ و كنى عن ضمّة الخَضِرُ بانه حازم و قال آخرون بل هو جمع و واحده سروال مثل شِمْلالٍ و شمالِيلَ فهو على هذا القول جمع و معنى قوله ملازم اى لا ينصرف و انما لم ينصرف هذا النوع من الجمع و هو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة اوسطها ساكن لثقله و تفرّده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الاحاد و قد كنى في هذه الاحجيّة عما لا ينصرف بالملازم * و اما الهاء التي اذا الحقتْ اماطت الثقلَ و اطلقت المُعتقَلَ فهي الهاء اللاحقة بالجمع المتقدّم ذكرُه مثلَ صيارفةٍ و

صياقلة فينصرف هذا الجمع عند لحاق الهاء به لانها قد اصارته الى مثال الاحاد نحو زواهية و كراهية فخفّ بهذا السبب و صُرف لهذه العلة و قد كفى في هذه الاحجية عما لاينصرف بالمعتقل كما كفى في التي قلبها عما لاينصرف بالملازم * و اما السينُ التي تعزِلُ العاملَ من غير ان تجامِل فهي التي اذا دخلتْ على الفعل المستقبَل و فصلت بينه و بين اَنِ التي كانت قبل دُخولها من ادوات النصب فيرتفع حينئذٍ الفعل و ينتقل ان عن كونها الناصبةَ للفعل الى ان تصير المخفّفة من الثقيلة و ذلك كقوله سبحانه علِمَ اَنْ سيكون منكم مرضى و تقديره علم انّه سيكونُ * و اما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو عند اذ لا يُجرّه غيرُ من خاصّة و قولُ العامة ذهبتُ الى عنده لحْنٌ * و اما المضافُ الذي اخلّ من عُرى الاضافة بعُرْوةٍ * و اختلف حكمه بين مساء و غُدوه * فهو لَدُنْ و لَدُنْ من الاسماء الملازمة للاضافة و كل ما يأتي بعدها فمجرور بها الا غُدوةً فان العرب نصبَتْها بلَدُنْ لكثرة استعمالهم اياها في الكلام ثم نوّنتها ايضا لتبيّن بذلك انها منصوبة لا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرف * و عند بعض النحويين ان لدن بمنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا و هو ان عند يشتمل معناها على ما هو في مُلكتك و مُكنتك مما دنا منك و بَعُدَ عنك و لَدُنْ يختصُّ معناها بما حضرَك و قرُب منك * و اما العامل الذي يتّصل آخره بأوّله و يعمل معكوسُه مثل عملَه فهو يا و معكوسها اَيْ و كلتاهما من حروف النداء و عملُهما في الاسم المنادى سيّان و ان كانت يا اَجْوَل في الكلام و اكثر في الاستعمال و قد اختار بعضهم ان يُنادى بأيْ القريب فقط كالهمزة * و اما

العامل الذي نائبه ارحب منه ذكرًا و اعظم مكرا و اكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم * و هذه الباء هي اصلُ حروف القَسَم بدلالة استعمالها مع ظُهور فعل القَسَم في قولك أُقسم بالله و لدخولها ايضا على المضمر في قولك بك لافعلنَّ ثم قد أُبدلت الواوُ منها في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع و الباء تفيد الالصاق و المعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدَلَة من الباء أَدْوَرَ في الكلام و اعلق بالاقسام و لهذا الغرز بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو اكثرُ موطنا من الباء لان الباء لا تدخُلُ الا على الاسم و لا تعمَلُ غير الجر و الواوَ تدخُلُ على الاسم و الفعل و الحرف و تُجَرُّ تارة بالقسم و تارة باضمار رُبَّ و تنتظم ايضا مع نواصب الفعل و ادوات العطف فلهذا وصفها بُرحْب الوكر و عُظم المكر * و اما الموطنُ الذي فيه يلبس الذُّكورُ براقِعَ النسوان و تبرُزُ ربّاتُ الحِجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف و ذلك ما بين الثلثة الى العشرة فانه يكونُ مع المذكَّر بالهاء و مع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخَّرها عليهم سبْعَ ليال و ثمانية ايام حُسُوما * و الهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنَّث مثل قائم و قائمة و عالم و عالمة فقد رأيتَ كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر و المونث حتى انقلب كل منهما في غير (†) قالبه * و برز في بِزَّة صاحبه * و اما الموضع الذي يجبُ فيه حفظُ المراتب على المضروب و الضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما و ذلك اذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى او من اسماء

(†) غد

الاشارة نحو ذاك و هذا فيجب حينئذ لازالة اللبس اقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه و المفعول بتاخره * و اما الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما و فيها قولان احدهما انها مركبة من مَهْ التي بمعنى اُكْفُفْ و من ما و القول الثاني و هو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما اُخرى كما تزاد على ان فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا من الالف الاولى هاء فصارتا مهما و مهما من ادوات الشرط و الجزاء و متى لفظت بها لم يتم الكلام و لا عُقِلَ المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل و تكون حينئذ ملتزما للفعل و ان اقتصرت منها على حرفين و هما مه التي بمعنى اكفف فُهِمَ المعنى و كنتَ ملزما مَنْ خاطبتَه ان يُكفَّ * و اما الوصف الذي اذا رُدِفَ بالنون نقص صاحبُه في العيون و قُوِّمَ بالدُّون و خرج من الزبون و تعرَّض للهون فهو ضيف * اذا لحِقَتْه النون استحال الى ضيفَنٍ و هو الذي يتبع الضيف * و يتنزَّل في النقد منزلة الزيف *

المقامة الخامسة والعشرون

الكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكَرَجِ لدَيْن اقتضيه * و اَرَب اقضيه * فبلوتُ من شتائها الكالح * و صِرِّها النافح * ما عرَّفني جَهد البلاء * و عكَّف بي على الاصطلاء * فلم اكن اُزايل وِجاري * و مستوقَد ناري * الا لضرورة اُدفع اليها * او اقامة جماعة احافظ عليها *

فاضطررت في يوم مزمهرّ * و دجنه مكفهرّ * الى ان بوزت من كذاني * لمهمّ عذاني * فاذا شيخ عاري الجلدة * بادي الجردة * و قد اعتمّ بريطة * و استثفر بقويطة * و حوليه جمع كثيف الحواشي * و هو ينشد و لا يحاشي * نظم

يا قوم لا يذهلكم عن فقري * امدق من عري اوان القرّ
فاعتبروا بما بدا من ضرّي * باطن حالي و خفيّ امري
و حاذروا انقلاب سلم الدهر * فانني كنت نبيه القدر
آري الى وفر و عدّ يغري * تفيد صفرى و تبيد سمري
و تشتكي كومي غداة اقري * فجرّد الدهر سيوف الغدر
و شنّ غارات الرزايا الغبر * و لم يزل يستلبني و يبري
حتى عفت داري وغاض درّي * و بار سعري في الورى و شعري
و صرت نضو فاقة و عسر * عاري المطا مجرّدا من قشري
كانني المعزل في التعرّي * لا دفء لي في الصنّ و التصبّر
غير التضحّي و اصطلاء الجمر * فهل خصيم ذو رداء غمر
يستترني بمطرف او طمر * طلاب وجه الله لا لشكري

ثم قال يا ارباب الثراء * الوافلين في الغراء * من اوتي خيرا فليتفق * و من استطاع ان يرفق فليرفق * فان الدنيا غدور * و الدهر غرور * و لمكنة زورة طيف * و الفرصة مزنة صيف * و اني و الله لطالما تلقيت الشتاء بكاباته * و اعددت الاهبة له قبل مواتاته * و ها انا اليوم يا سادتي * سامدي وسادتي * و جلدتي * بردتي * و حفنتي * جفنتي * فليعتبر العاقل بحالي * و ليبادر صرف الليالي * فان السعيد من اتعظ بسواه * و استعدّ لمسراه * فقيل له قد جلوت علينا ادبك * فاجل لنا نسبك * فقال تبّا لمفتخر * بعظم

ثخر * انما الفخر بالتقى * و الادب المؤتقى * ثم انشد * نظم

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه * على ما تجلى يومه لابن امسه

و ما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم انه جلس محقوقفا * و اجرنتم مقفقفا * و قال اللهم يا من غمر بنواله * و امر بسؤاله * صل على محمد و آله * و اعني على البرد و اهواله * و اتح لي حرا يؤثر من خصاصة * و يواسي و لو بقصاصة * قال الراوي فلما جلى عن النفس العصامية * و الملح الاصمعية * جعلت ملامح عيني تعجمه * و مرامي لحظي ترجمه * حتى استبنت انه ابو زيد * و ان تعريه أحبولة لصيد * و لمح هو ان عرفاني قد ادركه * و لم يامن ان يهتكه * فقال أقسم بالسمر و القمر * و الزهر و الزهر * انه لن يستمرني الا من طاب خيمه * و أشرب ماء المروة اديمه * فعقلت ما عناه * و ان لم يدر القوم معناه * و ساءني ما يعانيه من الرثة * و اقشعرار الجلدة * فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي * و في الليل فراشي * فنفضتها عني * و قلت له اقبلها مني * فما كذب ان افتراها * و عيني تراها * ثم انشد * نظم

لله من البسني فروة * اضحت من الوعدة لي جنة

البسنيها واقيا مجتني * وقي شر الانس و الجنه

سيكتسي (†) اليوم ثنائي و في * غد سيؤنسي سندس الجنة

قال فلما فتن قلوب الجماعة * بافتنانه في البراعة * القوا عليه من الفراء الدغشاة * و الجباب الموشاة * ما آده ثقله * و لم يكد يقله * فانطلق مستبشرا بالفرج * مستسقيا للكرج * و تبعته الى حيث

(†) سيلبس *

ارتفعت الثقبة * و بدت السماء نقيّة * فقلت له لشدّ ما قرّسك البرد * فلا تتعرّ من بعد * فقال ويْك ليس من العدل * سرعة العذل * فلا تعجلنّ بلوم هو ظالم * و لا تقف ما ليس لك به علم * فو الذي نوّر الشيبة * و طيّب تربة طيْبة * لو لم اتعرّ لرُحْتُ بالخيبة * و صفْر العيبة * ثم نزع الى الفرار * و تدرقع بالانفهْرار * و قال اما تعلم ان شِمْشِمَني الانتقال من صيد الى صيد * و الانعطاف من عمرو الى زيد * و اراك قد عُقتني * و عَقْقْتني * و افتّني * اضعاف ما افدْتني * فاعقُني عافاك الله من لغوك * و اسدُد دوني باب جِدك و لهوك * فجَبَذْتُه * جَبْذ المتلعابة * و جَعْجعتُ به للدعابة * و قلت له و الله لو لم اوارك * و أغطّ على عوارك * لما وصلت الى صلة * و لا انقلبتَ اكسى من بصَلة * فجارِني عن احساني اليك * و ستري لك و عليك * بان تسمح لي بردّ الفروة * او تعرّفني كافات الشتوة * فنظر اليّ نظر المتعجّب * و ازمهرّ ازمهرار المتغضّب * ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الدابر * و الميْت الغابر * و اما كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك * و اوهى وِعاء خَزْنك * حتى انسيتَ ما اذشدتك بالدسكرة * لابن سكّرة * نظم جاء الشتاء و عندي من حوائجه * سبع اذا القَطْر عن حاجاتنا حبسا كُمّ وكيسٌ و كانُون و كأسٌ طلا * بعد الكباب و كسٌ ناعم وكسا ثم قال لجواب يشفي * خير من جِلباب يدفئ * فاكتفِ * بما وعيت و انكفئ * فقد فارقته و قد ذهبت فروتي لشقوتي * و حصلت على الوعدة طول شقوتي *

المقامة السادسة والعشرون

وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال حللت سُرَقي(†) الأقوار * لابسا حُلَةَ الاعوار * فلبثت فيها مدة * أكابد شدة * وأزجي ايامًا مسوَدَّة * الى ان رأيت تمادي المُقام * من عوادي الانتقام * فرمقتها بعين القالي * وفارقتها مفارقة الطلل البالي * وظعنت عن رَسْلها كمليش الازار * راكضا الى (‡) المياه الغزار * حتى اذا سرتُ منها مرحلتين * وبعدت سُرى ليلتين * تراأتْ لي خيمة مضروبة * ونارٌ مَشْبوبة * فقلت آتيهما لعلّي انقع صَدًى * واجد على النار هُدًى * فلما انتهيت الى ظل الخيمة * رأيت غلامًا بُرقة * وشارةً مرموقة * وشيخا عليه بِزّة سنّية * ونديه فاكهة جنية * فحيّيته * ثم تحاميته * فضحك اليّ * واحسن الرد عليّ * وقال الا تجلس الى من ترقى فاكهته * وتشوقُ مُفاكهته * فجلست لاغتنام محاضرته * لا لالتهام (§) ما بحضرته * فحين سفرعن آدابه * وكشر عن انيابه * عرفت انه ابو زيد بحسن مُلَحه * وقبح قَلَحه * فتعارفنا حينئذٍ * وحفّت بي فرحتان ساعتئذٍ * ولم أدرِ بايّهما انا اصفى فرحا * واوفى مرحا * ا باسفاره * من دُجُنّة اسفاره * ام بخصب رحاله * بعد امحاله * وثاقت نفسي الى ان افُضّ ختام سره * وابطن دعية يُسره * فقلت له من اين ايابك * والى اين انسيابك * وبم امتلأت عِيابك * فقال امّا المقدم فمن

(†) سوق (‡) راكضا منها الى (§) للطعام *

طوس * و اما المقصد فالى السوس * و اما الجدّة التي اصبتها * فمن رسالة اقتضبتها * فسألته ان يفرشني دخلته * و يسرد علي رسالته * فقال دون مرامك حرب البسوس * او تصحبني الى السوس * فصاحبته اليها قهرا * و عكفت بها عليه شهرا * و هو يعللني كاسات التعليل * و يجرني اعنة التاميل * حتى اذا حرج صدري * و عيل صبري * قلت له انه لم يبق لك علة * و لا لي تعلة * و في غد ازجر غراب البين * و ارحل عنك بخفي حنين * فقال حاش لله ان اخلفك و اخالفك * و ما ارجأت ان احدثك * الا لابتك * و اذا كنت قد استريت بعدتي * و اغراك ظن السوء بمباعدتي * فاصغ لقصص سيرتي الممتدة * و اضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة * فقلت هات فما اطول طيلك * و اهول حيلك * فقال اعلم ان الدهر العبوس * القاني الى طوس * و انا يومئذ فقير وقير * لا فتيل لي و لا نقير * فالجاني صفر اليدين * الى التطوق بالدين * فادّت لسوء الاتفاق * ممن هو عسر الاخلاق * و توهمت تسني النفاق * فتوسعت في الانفاق * فما افقت حتى بهظني دين لزمني حقه * و لا رمني مستحقه * فحرت في امري * و اطلعت غريمي على عسري * فلم يصدق املاقي * و لا نزع عن ارهاقي * بل جد في التقاضي * و لج في اقتيادي الى القاضي * و كلما خضعت له بالكلام * و استنزلت منه رفق الكرام * و رغبته في ان ينظر لي بميسرة * او ينظرني الى ميسرة * قال لا تطمع في الانظار * و احتجان النضار * فوحقك ما ترى مسالك الخلاص * او ترني سبائك الخلاص * فلما رأيت احتداد لدده * و ان لا مناص لي من

يده * شاغبته * ثم واثبته * ليرافعني الى والي الجرائم * لا الى الحاكم في المظالم * لما كان بلغني من افضال الوالي و فضله * و تشدد القاضي و بخله * فلما حضرنا باب اميرطوس * آنست آن لا بأس و لا بؤس * فاستدعيت دواة و بيضاء(†) * و انشأت اليه رسالة رقطاء * وهي — اخلاق سيدنا تحبّب * و بعقوته يلبّب * و قريه تحف * و نأيه تلف * و خلّته نسب * و طبيعته نصب * و غربه ذلق * و شهبه تألق * و ظلمه ران * و قوم نهجه بان * و ذهنه قلّب و جرّب * و نعته شرّق وغرّب * نظم

سيّد قلّبُ سَبُوقٌ مُبِيـ * ـرٌ فطِنٌ مُغرِبٌ عَزوفٌ عَيوف
مُخلِـف مُتلِف إغرّ نَرِيد * نابهٌ فاضلٌ ذكيٌّ أنوف
مَفلق ان ابانَ طَبٌّ اذا نا * بَ هياجٌ وجلّ خطْب مَخوف

مُذاظم شرفه تألف * و شؤبوب حبائه يكف * و نائل يديه فاض * و شُحّ قلبه غاض * و خِلف سخائه يُحتلب * و ذهب عيابه يُحتَرب * من لفّ لفّه فلج و غلب * و تاجرٌ بابه جلب و خلب * كفّ عن هضم بريّ * و برّى من دَنَس غويّ * و قرن ليانه بعزّ * و نكّب عن مذهب كزّ * ليس بوّثات عند نهزة شر * بل يعفّ عفّة برّ * نظم

فلذا يُحَبّ و يُستحقّ عَفافه * شغفا به قلبي به خلّاب
اخلاقه غُرّ ترفّ وفوقه * فوق اذا ناضلتَه غلّاب
سُجُح يهشّ وذو تلافٍ ان هفا * خِلّ فليس لعقده يرتاب
لا باخل بل باذل خرق اذا * يعتر برز لا يليه باب
ان عضّ ارلٌ فلغربِ عضاضه * بمذابه فانحتّ منه ناب

(†) قطا .

و جدير بمن لَبَّ وفطن * و قرب و شطن * ان اذعن لقرع زمن *
و جابر زمن * مذ رضع ثدي لبانه * خُصَّ بافاضة تهتانه * نعش
و فرج * و ضافر فابهج * و نافر فازعج * و فاء بحق ابلج * اتعب
من سيلي * و قرظ اذ هُزَّ وُلِّي * و توج صفاته * بحُبِّ مُفاته * نظم

فلا خلا ذا بهجـة * يمتدُّ ظلُّ خصْبه
فانه برٌّ بمـن * آنس ضوءَ شُهْبه
زانَ مزايا ظرفه * بلبس خوف ربّه

فليهن سيدنا فوزه * بمفاخر تالّت * و جلّت * و فوته بصنائع
تمّت * و نَمت * و يلائم قُرَبَ حضوته * غوث رقّه بحظ من حُظوته *
فانه تليد نَدْب * و شريد جدْب * و جريح نُوَبٍ أثّرت * و ناظم قلائد
تسيّرت * اذا جاش بخُطبة فلا يُوجد قائل * ثم قُسٌّ ثم باقل * فان
حبّر قلت حَبرٌ نمنمت * و خلتَ رياضا قد نمتْ * هذا ثم شربه
برْض * و قوته قرْض * و فلقُه غسَق * و جلبابه خلَق * و قد قلق
لتوغّر غريم غاشم * يستحثّه بحق لازم * فان منّ سيدنا بكفه * بهجات
كفه * توشح بمجد فاق * و باء باجر فكي من وثاق * لا خلتْ
سجايا خُلُقه * ترفد شائم برقه * بمَنِّ رب ازلي * حيّ ابدي *
قال فلما استشفّ الامير لآليها * و لمح السرّ المُودَع فيها * اوعز في
الحال بقضاء ديني * و فصل ما بين خصمي و بيني * ثم
استخلصني لمكاثرته * و اختصّني باثرته * فلبثتُ بضْعَ سنين انعم
في ضيافته * و ارتع في رِيف رافته * حتى اذا غمرتني مواهبه *
و اطال ذيلي ذهَبُه * تاطفتُ في الارتحال * على ما ترى من حسن
الحال * قال فقلت له شكرا لمَن اتاح لك لُقيان السَّمْح الكريم *
و انقذك به من ضغطة الغريم * فقال الحمد لله على سعادة الجَدّ *

و الخلوص من الخصم الالدّ * ثم قال ايما احبّ اليك ان احذيك من العطاء * ام اتحفك بالرسالة الرقطاء * فقلت املاء الرسالة احب اليّ * فقال و هو و حقك اخفّ عليّ * فان نحلة مايلج في الاذان * اهون من نحلة ما يخرج من الاردان * ثم كانه انف و استحيا * فجمع لي بين الرسالة و الحذيا * فغزت منه بسهمين * و فصلت عنه بغدين * و أبت الى وطني قرير العين * بما حزت من الرسالة و العين *

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حكى الحارث بن همام قال ملت في ربق زماني الذي غبر * الى مجاورة اهل الوبر * لآخذ اخذ نفوسهم الابية * و السنتهم العربية * فشمرت تشمير من لا يالو جهدا * و جعلت اضرب في الارض غورا و نجدا * الى ان اقتنيت حجمة من الراغية * و ثلة من الثاغية * ثم آوبت الى عرب ارداف اقيال * و ابناء اقوال * فاوطنوني امنع جناب * و فلوا عني حدّ كل ناب * فما تاوبني عندهم هم * و لا قرع صفاتي سهم * الى ان اضللت في ليلة منيرة البدر * لقحة غزيرة الدرّ * فلم اطب نفسا بالغاء طلبها * و القاء حبلها على غاربها * فتدثرت فرسا مخضارا * و اعتقلت لدنا خطارا * و سريت ليلتي جمعاء * اجوب البيداء * و اقتري كل شجراء و مرداء * الى ان نشر الصبح راياته * و خيعل الداعي الى صلاته * فنزلت عن متن الركوبة * لاداء المكتوبة * ثم حللت في صهوتها * و فررت عن شحوتها * و سرت لا ارى اثرا الا قفوته * و لا نشزا الا عاونته * و لا واديا الا جزعته * و لا راكبا الا استطلعته * و جدّي

مع ذلك يذهب هدرا * ولا يجد وردة صدرا * الى ان حانت صكة عُمَيّ * ولفح هجير يذهل غيلان عن مَيّ * وكان يوما اطول من ظل القناة * واحرّ من دمع المقلات * فايقنت اني ان لم استكنّ من الوقدة * واستجمّ بالرقدة * ادنفني اللغوب * وعاقت بي شعوب * فعجت الى سرحة كثيفة الاغصان * ورَيقة الافنان * لاغور تحتها الى المغيربان * فوالله ما استروح نفسي * ولا استراح فرسي * حتى نظرت الى سانح * في هيئة سائح * وهو ينتجع نُجعتي * ويشتد الى بقعتي * فكرهت انعياجه الى معاجي * واستعذت بالله من شركل مُفاجي * ثم ترجّيتُ ان يتصدى مُنشدا * او يتبدى مرشدا * فلما اقترب من سرحتي * وكاد يحُلّ بساحتي * الفيته شيخنا السروجيّ متشحا بجرابه * ومُضطغنا اهبة تجوابه * فآنسني اذ ورد * وانساني ما شرد * ثم استوضحته من اين اثره * وكيف عُجَره وبُجَره * فانشد بديهاً * ولم يقل إيهًا * نظم

قل لمستطلع دخيلة امري * لك عندي كرامة وعزازه
انا مابين جَوب ارض فارض * وسُرًى في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي * وجهازي الجراب والعكّازه
فاذا ماهبطتُ مصر افبيتي * غرفة الخان والنديم جُزازه
ليس لي ما اساء ان فات واحد * حزن ان حاول الزمان ابتزازه
غيراني ابيت خلوا من الهـ * ـم ونفسي عن الاسى منحازه
ارقد الليل ملأ جفني وقلبي * بارد من حرارة وحزازة
لا ابالي من اى كاس تفوقـ * ـت ولا حلاوة من مرازة
لا ولا استجيز ان اجعل الذلّ مجـ * ـازا الى تستّي اجازه

و اذا مطلب كسا حُلّة العا * رفبعدا لمن يروم نجـــازه

و متى اهتزّ للدناءة نكسٌ * عاف طبعي طباعه و اهتزازه

فالمنايا و لا الدّنايا و خير * من ركوب الخذا ركوبُ الجنازه

ثم رفع الي طرفه * و قال لامرما جدّع قُصيرٌ انفه * فاخبرتُه خبر ناقتي السارحة * و عاينته في يومي و البارحة * فقال دع الالتفات * الى ما فات * و الطّماح * الى ما طاح * و لا تأسَ على ماذهب * و لو انه وادٍ من ذهب * و لا تستمل من مالَ عن ربعك * و اضرم نار تباريحك * و لو كان ابنَ بُوحك * او شقيق روحك * ثم قال هل لك في ان نقيل * و نتحامى القال و القيل * فان الابدان انضاء تعَبٍ * و الهاجرةَ ذاتُ لَهَب * و لن يصقُل الخاطر * و يُنشّط الفاتر * كقائلة الهواجر * و خصوصا في شهرَى ناجر * فقلت ذاك اليك * و ما أريد ان اشُقّ عليك * فافترش التُّرب و اضطجع * و ظهر ان قد هجع * و ارتفقتُ على ان احرُس * و لا انعَس * فاخذتني السِّنة * لما زُمّت الالسنة * فلم أفق الا و الليل قد تزيّع * و النجم قد تبلّج * و لا السروجي و لا المُسرّج * فبتّ بليلة نابغيّة * و احزان يعقوبية * أساور الوُجوم * و أساهر النجوم * أُفكرتارة في رُجلي * و اخرى في رجعتي * الى ان وضح لي عند اقترار ثغر الضوء في وجه الجو * راكب يخد في الدّو * فالمعتُ اليه بثوبي * و رجوت ان يُعرّج الى صوبي * فلم يعبأ بالمُلمعي * و لا ارى الالتياعي * بل سار على هينته * و اصماني بسهم اهانته * فانفضضتُ اليه لاسترفده * و احتمل تغطرفه * فلما ادركته بعد الاين * و اجالت فيه مسرّح العين * وجدت ناقتي مطيّته * و ضالّتي لُقطته * فما كذّبتُ ان اذريته عن سَنامها * و جاذبته طرفَ

زمامها * وقلت له اذا صاحبها و مُضلّها * ولي رسلُها و نسلها * فلانكن كاشعَب * فتُتعِبَ و تتعَب * فاخذ يلدغُ و يَصدُي * و يتقح و لا يستحيي * و بينا هو ينزو و يلين * و يستاسد و يستكين * اذ غشينا ابو زيد لابسا جلدَ النمر * و هاجما هجوم السيل المُنهمر * فخفت و الله ان يكون يومُه كامسه * و بدرُه مثل شمسه * فالحق بالقارظين * و اصير خبرا بعد عين * فلم ار الا ان اذكرتُه العهودَ المنسية * و الفعلة الامسية * و ناشدتُه الله ا رأى اليوم للتلاني * ام لما فيه اتلافي * فقال معاذ الله ان أجهز على مكلومي * او اصلَ حروري بسمومي * بل واثيقك لاخبرنه حالك * و اكون يمينا لشمالك * فسكن عند ذلك جاشي * وانجاب استيحاشي * و اطلعته طلْعَ اللقحة * و تبرقَعَ صاحبي بالقَحة * فنظر اليه نظَر ليث العريسة * الى الفريسة * ثم اشرع قبله الرمح * و اقسم له بمن انار الصبح * لئن لم ينجُ منجا الذباب * و يرضَ من الغنيمة بالاياب * ليُوردنّ سنانه وريده * و ليفجعنّ به وليدَه و وديدَه * فنبذ زمام الناقة و حاص * و افلَت و له حُصاص * فقال لي ابو زيد تسلّمها * و تسدّمها * فانها احدى الحُسنيين * و ويل امهن من وبلين * قال الحارث بن همام فحرتُ بين لوم ابي زيد و شكره * و زنة نفعه بضُرّه * فكانه نوجيَ بذات صدري * او تكهّن ما خامر سرّي * فقابلني بوجه طليق (†) * وانشد بلسان ذليق (‡) * نظم

يا اخي الحاملَ ضَيمي * دون اخواني و قَومي
ان يكن ساءك امسي * فلقد سرّك يومي
فاغتفر ذاك لهـذا * واطّرِح شكري و لومي

(†) - طلق (‡) - ذلق *

ثم قال انا تُتُقُ * وانتَ مَئِقُ * فكيف نتفق * ثم ولّى يفري اديم الارض * ويركُض طرفه ايّما رَكْض * فما عدوتُ ان اقتعدتُ مطيّتي * وعدت لطيّتي * حتى وصلت الى حلّتي * بعد اللتيا والتي *

تفسير ما اودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله ريق زماني - يعني اوانه و رايقه و قد يشدّد فيقال ريّق * قوله - آخُذُ اخذَ نفوسهم الابيّة - يعني اقتدي بهم يقال منه اَخَذ إخذَه و اَخذه بكسر الهمزة و فتحها * و الهجمة - نحو المائة من الابل * و الثلّة - القطيع من الغنم * و الراغيَة - الابل * و الثاغية - الشاء ومنه قولهم ما له راغية و لا ثاغية اى لا ناقة و لا شاة * و قوله ارداف اقيال - اى يخلفون الملوك اذا غابوا * و قوله ابناء اقوال - اى فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال * و قوله فتدثرت فرسا محضارا - التدثر الوثوب على ظهر الفرس - و المحضار والمحضير الشديد العدو ماخوذ من الحُضر * وقوله اقترى كل شجراء و مرداء - الاقتراء تتبع الارض - و الشجراء ذات الشجر - و المرداء الخالية من النبات و منه اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر * و قوله حيعل الداعي الى صلاته - يعني به قول المؤذن حي على الصلاة و حي على الفلاح و المصدر منه الحيعلة - و مثله من المصادر البيللة و الحمدلة و الحولقة و البسملة و الحسبلة و السبحلة و الجعلفة - فالبيللة حكاية قول لا اله الا الله و الحمدلة حكاية قول الحمد لله و الحولقة حكاية قول لا حول و لا قوة الا بالله و البسملة حكاية قول بسم الله و الحسبلة حكاية قول حسبنا الله و السبحلة حكاية قول سبحان الله و الجعلفة حكاية قول جعلت فداك * وقوله فنزلت عن متن الركوبة -

يعني الركوبة يقال ناقة ركوب و ركوبة و حلوب و حلوبة - و قد قُرِئ فمنها رَكوبتُهم * و الصهوة - مقعد الفارس * و الشعوة - الخطوة * و الجزع - قطع الوادي عرضا * و قوله صكة عمي - يعني به قائم الظهيرة و قد اختلف في اصله فقيل كان عُمَيٌّ رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة و صكّهم صكّة شديدةً فصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت - و قيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صُغّر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عُمَيٌّ كما صغروا اسود و ازهر فقالوا سُوَيد و زُهَير * و قوله و كان يوما اطول من ظل القناة - يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة - و العرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل و منه قول الشاعر * نظم

و يومٍ كظل الرمح قصّر طولَه * دَمُ الزِّقِّ عنّا و اصطفاقُ المزاهر

و قوله و احرّ من دمع المقلات - المقلات هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا حار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة و دمعة السرور باردة و لهذا قيل للمدعوّ له اقرّ الله عينه ماخوذ من القُرّ و هو البرد و قيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السُّخنة و هي الحرارة - و قيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه دعا له ان يُرزق ما يُقرّ عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره و كانت الجاهلية تزعُم ان المقلات اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها و الى هذا اشار بِشرُ بن ابي حازم في قوله * نظم

تظلُّ مقاليتُ النساء يطأنَه * يقلن الا يُلْقى على المرء مِئزَرُ

و قوله علِقَتْ بي شعوب - يعنى المنية و لا يدخل هذا الاسم اداة التعريف مثل دجْلَة و عَرَفَة * و قوله أغوّر تحتها الى المغيربان -

التغوير النزول للقائلة كما ان التعريس النزول آخر الليل للتهويم او الاستراحة و المغيربان تصغير المغرب و كان قياس تصغيره المُغيربَ الا ان العربَ الحقت آخره الفا و نونا على طريق الشذوذ * و قوله مُضطَغنا اهبة تجوابه - الاضطغان ان يحمل الشيء تحت حضنه و الاغطبان ان يجعله تحت ضبنه و الضبن ما بين الابط والكشح و كلاهما متقارب و اول مراتب الحمل الابط ثم الضبن و هو اسفل الابط ثم الحضن و هو عند الجنب و التجواب مصدر جاب رجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان و تلقاء لا غير و قال بعضهم و تنضال ايضا * و قوله عجري و بجري - يريد به جميع امري الظاهر و الباطن و اصل العجر العقد الذاتية في العصب و البجر العقد الذاتية في البطن * و قوله لم يقل ايها - اى لم يامرني بالكف يقال للمستزاد ايه و لمن يستكف ايها * و قوله لامرما جَدع قُصير انفَه - قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش و كان جدعَ انفه بيده حين قتلتِ الزبّاءُ مولاهُ ثم اتاها و اوهمها ان عمرو بن عدي بن اخت جذيمة هو الذي جدَع انفه اتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فعطي قُصيرٌ بهذا القول (†) حتى جهزَتْه مرارا الى العراق فكان ياتيها بالطُّرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجالَ في الصناديق و توصّل الى قتلها و الاخذ بثأر مولاه منها و قصتها مشهورة * و قوله و لو كان ابنَ بُوحِك - يعني ولد الصُّلب اشارةً الى انه ولد في باحة الدار و هي عرصتها و جمعها بوح - و قيل البوح من اسماء الذكر (‡) * و قوله في شهري ناجر - هما شهرا الحر و قيل انهما حزيران و تموز

(†) - القول عدها حتى (‡) - الذكر ايضا *

و انكر ابوبكر بن دُريد هذا القول و قال هما طاوع لجمين * و قوله فبتُّ بليلة نابغية - ارمأ به الى قول النابغة * نظم

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة * من الرُّقش في انيابها السم ناقع

و قوله المعتُ اليه بثوبي - يعني اشرت يقال منه لمع و المع بمعنى (‡) و قوله يلدَغ و يصئي هذا مثل يُضرب لمن يظلمُ و يشكو يقال صأت العقرب تصئي صئيا و صيًّا بفتح الصاد و كسرها اذا صوَّتت * و كذلك الفرْخُ و ما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى * نظم

تشكى المحبَّ و تشكو وهي ظالمة * كالقوس تصمى الرمايا وهي مرنان

و قوله ينزو و يلين - هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يَذِلُّ و يقال ان اصله الجديُ ينزو و هو صغير فاذا كبُرَ لان * و قوله لابسا جلد النمر - هذا المثل يُضرَب للمتَّقِح الجرىء لان النمر اجرأ سبُع و اقلُّه احتمالا للضيم و من هذا اشتقاق قولهم تنمَّر اي صار مثل النمر * و قوله فالحق بالقارظين - الاصلُ في القارظ انه الذي يجني القرَظَ و هو النبات المدبوغُ به و القارظان المشار اليهما احدهما من عَنَزَة و الاخر من النَّمِر بن قاسط و كانا خرجا يجنيان القرَظ فلم يرجعا و لا عُرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه و اليهما اشار ابو ذويب في قوله * نظم

و حتى يؤوبَ القارظان كلاهما * و يُنشَر في القتلى كُليبٌ لوائل

و قوله اصِلُ حَروري بسَمومي - الحَرور الريح الحارة ليلا و السَّموم الريح الحارة نهارا و قد تُقام احديهما مقام الاخرى مجازا * و قوله ليث العريسة - يعني (§) مأوى السبع يقال فيه عريس و عريسة بالثبات

(‡) - معنى واحد (§) - يعنى به *

الهاء و خذفها كما يقال غاب و غابة و عرين و عرينة فاما الغيل و الخيس فلم يلحقوا بهما الهاء * و قوله افلتَ و لد حُصاص - هذا المثل يُضربُ لمن نجا من هلكة اشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها و الحُصاص العدر - و قيل انه الضِراط (†) * و قوله ربل اهون من وبلين - هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه و مثله قول الشاعر * نظم

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعضُ الشر اهونُ من بعض

و قوله إنا تئق و انت مئق فكيف نتفق - هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء إذا ملأته و المئق هو الباكي فكأن التئق ينزع الى الشر لغيظه و المئق يضيق ذرعا باحتماله و مثله قول الاخر انا كلف و انت صلف فكيف نأتلف * و قوله لطيتي - يعني لقصدي و وجهتي و قد يُقالُ فيه طية بالتخفيف * و قوله بعد اللتيا و التي - اللتيا تصغير التي و هو على غير قياس التصغير المُطّرد لان القياس ان يضمَّ اولُ الاسم اذا صغّر و قد اقرَّ هذا الاسم على فتحته الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله بان زادت الفا في آخره و اجرت(‡) اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي و التي اللذيَّا و اللتيَّا و في تصغير ذا و ذاك ذيَّا و ذياك و قد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا و التي فقيل هما من اسماء الداهية و قيل المراد بهما بعد صغير المكروه و كبيره *

(†) - الضراط فكانه لفرعه يعدر و يضرط (‡) - و قد اجرت •

المقامة الثامنة والعشرون

السمرقندية

اخبر الحارث بن همام قال استبضعتُ في بعض اسفاري القند * و قصدت به سَمَرْقَنْدَ * و كنت يومئذ قويم الشّطاط * جَمومَ النّشاط * ارمي عن قوس المِراح * الى غرض الافراح * و استعين بماء الشباب * على ملامح السّراب * فوافيتُها بُكرة عَروبة * بعد ان كابدت الصعوبة * فسعيتُ و ما ونيت * الى ان حصل البيت * فلما نقلت اليه قَنْدي * و ملكت قولَ عندي * عُجْتُ الى الحمّام على الاثر * فامطت عني وَعثاء السفر * و اخذت في غسل الجمعة بالاثر * ثم بادرت في هيئة الخاشع * الى مسجدها الجامع * لالحق بمن يقرُبُ من الامام * ويقرِّبُ افضل الانعام * فحظيت بان جلّيت في الحلبة * و تخيرت المركز لاستماع الخطبة * و لم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا * و يَردون فُرادى و ارواجا * حتى اذا اكتظّ الجامعُ بحَفْله * و اظلّ نساوى الشخص و ظِلّه * برز الخطيب في أهبته * مُتهاديا خلف عُصبته * فارتقى في منبر الدعوة * الى ان مثّل بالذّروة * فسلّم مشيرا باليمين * ثم جلس حتى خُتِمَ نظمُ القانين * ثم قام و قال — الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعوّ لحَسْم اللّاواء * مَالك الامم * و مصوّر الرمم * و مُكْرِم اهل السماح و الكرم * و مُهلك عاد و إرَم * ادرك كلّ سِرٍّ علمهُ * و وسع كلّ مُصرٍّ حلمه * و عمّ كل عالَم طَوله * و هدّ كل مارد حوله * اِحمده حمد موحّد مُسْلِم * وادعوه دعاء مؤمل مُسَلِّم * و هو الله لا اله

الا هو الواحد الاحد * العادل الصمد * لا ولد له و لا والد * و لا ردّ
معه و لا مساعد * ارسل محمدا للاسلام ممهدا * و للملة موطدا *
و لادلة الرسل مؤكدا * و للاسود و الاحمر مُسدّدا * وصل الارحام *
و علّم الاحكام * و وسم الحلال و الحرام * و رسم الاحلال و الاحرام *
كرّم الله محله * و كمّل الصلاة و السلام له * و رحم آله الكرماء *
و اهله الرحماء * ما همرركام * و هدر حمام * وسرح سوام * وسطا
حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * و اكدحوا لمعادكم كدح
الاصحاء * و ارتدوا اهواءكم ردع الاعداء * و اعدّوا للرحلة وعداد السّعداء *
و ادّرعوا حلل الورع * و داوروا علل الطمع * و سوروا اردن العمل *
و عاصوا وساوس الامل * و صوروا لاوهامكم حوُول الاحوال *
و حلول الاهوال * و مسارة الاغلال * و مصارمة المال و الآل *
و اذكروا الحمام و سكرة مصرعه * و الرمس و هول مُطّلعه * و اللحد
و وحدة مُودعه * و الملك و روعة سؤاله و مُطّلعه * و المحوا الدهر
و لؤم كره * و سوء محتده و مكره * كم طمس مَعلما * و امرّ مطعما *
و طحطح عرمرما * و دمّر ملكا مكرما * همُّه سَكُّ المسامع * و سَحُّ
المدامع * و إنداء المطامع * و ارداء المسمع الساعع * عمّ حكمه
الملوك و الرّعاع * و المسود و المطاع * و المحسود و الحُسّاد *
و الاسارد و الاساد * ما مَوّلَ الآمال * و عكس الآمال * و لا وصل
الا وصال * و كلّم الارصال * و لا سرّ الا وساء * و لؤم و اساء * و لا
اصحّ الا ولّد الداء * و روّع الارّداء * الله الله * رعاكم الله * الامَ
مداومة اللهو * و مواصلة السهو * و طول الاصرار * و حمل الآصار *
و اطّراح كلام الحكماء * و معاصاة إله السماء * اما الهرَمُ حصادكم *
و الهدر مهادكم * و اما الحمام مُدركم * و الصراط مسلككم * اما

الساعةُ موعدكم * و الساهرة موردكم * اما اهوال الطامّة لكم مُرصدة * اما دار العصاة الحُطمة الموصَدة * حارسهم مالك * و وراءهم حالك * و طعامهم السموم * و هواءهم السموم * لا مال اسعدهم و لا ولد * و لا عدد حماهم و لا عدد * الا رحِمَ الله امرأ ملَكَ هواه * و أمّ مسالك هُداه * و احكم طاعة مولاه * و كدَّ (†) لروح ماواه * و عمل ما دام العمر مطاوعا * و الدهر موادعا * و الصحة كاملة * و السلامة حاصلة * و الا دهمه عدم المرام * و حضر الكلام * و إلمامُ الالام * و حموم الحمام * و هُدُوّ الحواسّ * و مِراسُ الارماس * آهًا لها حسرةً آلمها مؤكّد * و امدها سرمد * و ممارسها مُكْمَد * ما لوَلِهٍ حاسم * و لا لسدمه راحم * و لا له مما عراه عاصم * الهمكم الله احمدَ الالهام * و زيّنكم رداء الاكرام * و احلّكم دار السلام * و اسأله الرحمة لكم و لاهل ملة الاسلام * و هو اسمح الكرام * و المسلم و السّلام * قال الحارث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبةً بلا سقَط * و عروسا بغير نُقَط * دعاني الاعجاب بنمطها العجيب * الى استجلاء وجه الخطيب * فاخذت اتوسّمه جدا * و أقلّب الطرف فيه مجدا * الى ان وضح لي بصدق العلامات * انه شيخنا ذو المقامات * و لم يكن بُدٌّ من الصمت * في ذلك الوقت * فامسكت حتى تحلل من النفل و الفرض * و حل الانتشار في الارض * ثم واجهت تلقاءه * و ابتدرت لقاءه * فلما لحظني خف في القيام * و احفى في الاكرام * ثم استصحبني الى داره * و اودعني خصائص اسراره * و حين انتشر جناح الظلام * و حان ميقات المنام * احضر اباريق المدام * معكومةً بالغدام * فقلت اتحسوها

(†) - كدح *

امام القوم * و انت امام القوم * فقال مه انا بالنهار خطيب * و في الليل اطيب * فقلت و الله ما ادري أ اعجب من تسليك عن آناسك * و مسقط رأسك * ام من خطابتك مع آدناسك * و مدار كأسك * فأشاح بوجهه عني * ثم قال اسمع مني * نظم

لا تبك إلفا نأى و لا دارا * و دُر مع الدهر كيفما دارا
و اتخذ الناس كلهم سكناً * و مثّل الارض كلهـا دارا
و اصبر على خُلق من تعاشره * و داره فاللبيب من دارا
و لا تُضع فرصة السرور فما * تدري أ يوما تعيش ام دارا
و اعلم بان المنون جائلة * و قد ادارت على الورى دارا
و اقسمت لا تزال قانصة * ما كرّ عصرا المحيا و ما دارا
فكيف تُرجى النجاة من شَرَك * لم ينجُ منه كسرى و لا دارا

قال فلما اعتورتنا الكؤوس * و طربت النفوس * جرّ عنى اليمين الغموس * على ان احفظ عليه الناموس * فاتبعت مرامه * و رعيت ذمامه * و نزّلته بين الملاء منزلة الفُضَيل * و سدلت الذيل على مخازى الليل * و لم يزل ذلك دأبه و دأبى * الى ان تهيا إيابي * فودّعته و هو مُصِرٌّ على التدليس * و مُسرٌّ حسوَ الخندريس *

المقامة التاسعة و العشرون
الواسطية

حكى الحارث بن همام * قال الجاني حكم دهرٍ واسط * الى ان انتجع ارضَ واسط * فقصدتها و إنا لا اعرف بها سكنا * و لا املك فيها مسكنا * و لما حللتُها حلولَ الحوت بالبَيداء * و الشعرة

البيضاء في اللِّمّة السوداء * فادنى الحظّ الناقص * و الجدّ الناكص * الى خانٍ ينزله شُذّاذُ الآفاق * و اخلاطُ الرفاق * و هو لنظافة مكانه * و ظرافة سكانه * يرغّب الغريب في ايطانه * و ينسيه هوى اوطانه * فاستغفرت منه بحجرة * و لم أُنافس في اجرة * فما كان الا كلمح طرف * او خطّ حرف * حتى سمعتُ جاري بيتَ بيتَ * يقول لنزيله في البيت * قم يا بني لا قعَدَ جدُّك * و لا قام ضِدُّك * و استصحبْ ذا الوجه البدري * و اللون الدُّرّي * و الاصل النقي * و الجسم الشقي * الذي قُبض و نُشر * وسُجن و شُهر * و سُقي و فطِم * و أُدخل النار بعد ما لُطِم * ثم اركُضْ الى السُّوق * ركض المشوق * فقايض به اللاقح المُلقح * المفسد المصلح * المُكمد المفرّح * المعنّى المروّح * ذا الزفير المحرّق * و الجنين المشرّق * و اللفظ المُقنع * والذَّيل المُمتع * الذي اذا طُرق * رعَد و برق * و باح بالحُرَق * و نفث في الخِرَق * قال فلما قرّتْ شقشقةُ الهادر * و لم يبقَ الّا صدر الصادر * برز فتىً يميس * و ما معه انيس * فرأيتها عُضلة تلعَبُ بالعقول * و تغري بالدخول في الفضول * فانطلقت في اثر الغلام * لاخبُرَ فحوى الكلام * فلم يزل يسعى سعي العفاريت * و يتفقد نضائد الحوانيت * حتى انتهى عند الرواح * الى حجارة القداح * فناول بائعها رغيفا * و تناول منه حجرا لطيفا * فعجبت من فطانة المرسِل والمرسَل * و علمت انها سروجية و ان لم اسل * و ما كَذبتُ ان بادرتُ الى الخان * مُنطلق العنان * لانظر كنه فهمي * و هل قرطَسَ في التكهن سهمي * فاذا انا في الفراسة فارس * و ابو زيد بوصيد الخان جالس * فتهادينا بُشرى الالتقاء * و تقارضنا تحية

الاصدقاء * ثم قال ما الذي نابك * حتى زايلتَ جنابك * فقلت
دهر هاض * و جور فاض * فقال و الذي انزل المطر من الغمام *
و اخرج الثمر من الاكمام * لقد فسد الزمان * و عم العُدوان * و عُدم
المعوان * و الله المستعان * فكيف افلتَّ * و على اي وصفيك
اجفلت * فقلت اتخذت الليل قميصا * و ادلجت فيه خميصا *
فاطرق ينكتُ في الارض * و يفكر في ارتياد القرض و الفرض *
ثم اهتزَّ هزَّة من اكثبه قنّص * او بدت له فُرص * و قال قد علق
بقلبي ان تصاهر من ياسو جراحك * و يريش جناحك * فقلت
و كيف اجمع بين غُلٍّ وقُلٍّ * و من الذي يرغب في ضُلِّ ابن ضُلٍّ *
فقال انا المشير بك و اليك * و الوكيل لك و عليك * مع ان
دين القوم جبرُ الكسير * و فكُّ الاسير * و احترام العشير * و
استنصاح المشير * الا انهم لو خطَب اليهم ابراهيمُ بنُ ادهم * او جَبلة
بن الأيْهم * لما زوجوه الا على خمس مائة درهم * اقتداء بما مهر
الرسول زوجاته * و عقد به انكحَة بناته * على انك لن تُطالَب
بصَداق * و لن تُلجأ الى طلاق * ثم اني ساخطُبُ في موقف
عقدك * و مجمع حَشْدك * خطبةً لم تفتق رتقَ سمع * و لا خُطِب
بمثلها في جمع * قال الحارث بن همام * فازدهاني بوصف
الخُطبة المتلوة * دون الخطبة المجلوة * حتى قلت له قد وكلت
اليك هذا الخَطْب * فدبره تدبير من طبَّ لمن حب * فنهَض
مُهرولا * ثم عاد متهللا * و قال ابشر باعتاب الدهر * و احتلاب
الدر * فقد ولّيتُ العقد * و اكفلتُ النقد * و كأنْ قَدْ * ثم اخذ في
مُواعَدة اهل الخان * و اعداد حلواء الخوان * فلما مدَّ الليل اطنابه *
و اغلق كلُّ ذي باب بابه * اذَّنَ في الجماعة * الا احضروا في هذه

الساعة * فلم يبق فيهم الا من لبى صوته * و حضر بيته * فلما اعطفوا لديه * واجتمع الشاهد والمشهود عليه * جعل يرفع الاصطراب ويضعه * و يلحظ التقويم و يدعه * الى ان نعس القوم * و غشي النوم * فقلت له يا هذا ضع الفاس فى الراس * و خلص الناس * فنظر نظرة فى النجوم * ثم انتشط من عقلة الوجوم * و اقسم بالطور * والكتاب المسطور * لينكشفن سر هذا الامر المستور * و لينتشرن ذكره الى يوم النشور * ثم انه جثى على ركبته * و استرعى الاسماع لخطبته * و قال الحمد لله الملك المحمود * المالك الودود * مصور كل مولود * و مآل كل مطرود * ساطح المهاد * و موطد الاطواد * و مرسل الامطار * و مسهل الاوطار * عالم الاسرار و مدركها * و مدمر الاملاك و مهلكها * و مكور الدهور و مكررها * و مورد الامور و مصدرها * عم سماحه و كمل * و هطل ركامه و همل * و طاوع السؤل و الامل * و اوسع المرمل * و الارمل * احمده حمدا ممدودا مداه * و اوحده كما و حده الاواه * و هو الله لا آله للامم سواه * و لا صادع لما عدله و سواه * ارسل محمدا علما للاسلام * و اماما للحكام * و مسددا للرعاع * و معطلا احكام ود و سواع * اعلم و عم * و حكم و احكم * و اصل الاصول و مهد * و اكد الوعود و اوعد * واصل الله له الاكرام * و اودع روحه دار السلام * و رحم آله و اهله الكرام * ما لمع آل * و ملع زال * و طلع هلال * و سمع اهلال * اعملوا رحمكم الله اصلح الاعمال * و اسلكوا مسالك الحلال * و اطرحوا الحرام و دعوه * و اسمعوا امر الله و عوه * و صلوا الارحام و راعوها * و عاصوا الاهواء و اردعوها * و صابروا لحم الصلاح و الورع * و صارموا رهط اللهو و الطمع * و مصابركم اطهر الاحرار مولدا * و اسراهم سودا * و اخلاهم موردا *

و اصحّهم موردا * وها هو أمّكم * وحلّ حرمكم * مُملكا عروسكم المكرّمه * و ماهرا لها كما مهّر الرسولُ أمّ سلمة * و هو اكرم صهرٍ اودع الاولاد * و مُلّك ما اراد * و ما سها مُملكه و لا وهم * ولا وكس مُلاحمهُ و لا وُصم * اسأل الله لكم احماد وصاله * ودوام إسعاده * و الهم كلّا اصلاح حاله * و الاعداد لمعاده * و له الحمد السرمد * والمدح لرسوله محمد * فلما فرغ من خطبته البديعة النظام * العزّية من الاعجام * عقد العقد على الخمس المئين * و قال بالرفاء و البنين * ثم احضر الحلواء التي كان اعدها * ابدي الآبدة عندها * فاقبلتُ اقبال الجماعة عليها * وكدت أهوي بيدي اليها * فزجرني عن المواكلة * و انهضني للمناولة * فوالله ما كان باسرع من تصافح الاجفان * حتى خرّ القومُ للاذقان * فلما رأيتهم كاعجار نخلٍ خاوية * او صرعى بنت خابية * علمت انها احدي الكُبر * وام العِبر * فقلت له ياعُدّتي نفسه * و عُبيد فلسه * اعددت للقوم حاوى * ام بلوى * فقال لم اعد خبيص(§) البنج * في صحاف الخلنج * فقلت أقسم بمن اطلعها زُهرا * و هدى بها السارين طُرّا * لقد جئت شيأ نُكرا * و ابقيت لك في المُخزيات ذكرا * ثم حرت فكرةً في صَيُّور امره * وخيفةً من عَدوى عَرّه * حتى طارت نفسي شعاعا * و أرعدت فرائصي ارتياعا * فلما رأي اسطارة فرقي * و استشاطة قلقي * قال ما هذا الفكر المُرمض * و الرَّوع الموهض * فان يكن فكرك في اجلي * من اجلي * فانا الان ارتع و اطفر * و أقوي هذه البقعة مني و اقفر * و كم مثلها فارقتها وهي تصفر * و ان يكن نظرا لنفسك * و حذرا من حبسك * فتناوَل فُضالة الخبيص * و طِب نفسا عن القميص *

(§) لم اعد الا خبيص *

حتى تأمن المستعدي و المُعدي * و يتمهّد لك المقام بعدي * و الا فالسفر السفر * قبل ان تُسحَب و تُجَرّ * ثم عمد لاستخراج ما في البيوت * من الاكياس و النخوت * و جعل يستخلص خالصة كل مخزون * و نخبة كل مذروع و موزون * حتى غادرها الناه فُحّه * كعظم استخرج مُخّه * فلما همّ بما اصطناه و رزّم * و شمر عن ذراعيه و تحزّم * اقبل علَيّ اقبال من لبس الصداقة * و خلع الصداقة * و قال هل لك في المصاحبة الى البطيحة * لاصلك باخرى مليحة * فاقسمت * لذي جعله مباركا اينما كان * و لم يجعله ممن خان في خان * انه لا يقبل بمكاح حرتين * و مائة ضرّتين * ثم قلت له قولَ المقطّع بمباعه * الكائل له بصاعه * قد كفتني الاولى فخرا * فاطلب آخر الاخرى * فتبسم من كلامي * و دلف الالتزامي * فلويتُ عنه عذاري * و ابديت له اوراري * فلما بصُر بانقباضي * و تجلّى له اعراضي * انشد * نظم

يا صارفا عني المودّة و الوصـا ل له صروفْ
و مُعنّفي في فضيح من * جاورتُ تعنيفَ العسوفْ
لا تلحـني فيمـا اتيـ*ـتُ فانني بهـمُ عروفْ
و لقد نزلت بهم فلم * ارهم يراعون الضيـوفْ
و بلوتُهم فوجد تهـم * لمـا سبكتهـمُ زيوفْ
ما فيهـمُ الا مخيـ*ـف ان تمكّن او مخوفْ
لا بالصـفي و لا الوفي * و لا الحفـيّ و لا العطوفْ
فوثبت فيهم وثبة الـ*ـذئب الضري على الخروفْ
و تركتهـم صرعى كأ*نهم سقوا كأس الحتوفْ
و تحكمت فيمـا اقتنو * ه يدي وهم رغم الانوفْ

ثم انتنيت بمغنم * حلو المجاني و القطوفْ
و لطالما خافت مكاتلوم الحشا خلفي يطوفْ
و وثبت اربد الاراك * ثك والد رانك والشجوفْ
و لكم بلغت بحيلتي * ما ليس يبلغ بالسيوفْ
و وقفت في هول ترا * ع الأسد فيه من الوقوفْ
و لكم سفكت و كم فتكت وكم هتكت حمى انوفْ
و كم ارتكاض مويق * لي في الذنوب وكم خفرفْ
لكنني اعددت حسن الظن بالمولي الرؤفْ

قال فلما انتهى الى هذا البيت لجّ في الاستعبار * و انظ بالاستغفار * حتى استمال رضا قلبي المنحرف * و رجوت له ما يرجى للمقترف المعترف * ثم انه غيض دمعه المنهل * و تأبط جرابه و انسلّ * و قال لابنه احتمل الباقي * و الله الواقي * قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية و انحيازها * و انتماء الداء الى الكية * علمت ان ترثي بالخان * مجلبة للهوان * فضممت رحيلي * و جمعت للرحلة ذيلي * و بتّ ليلتي اسري الى الطيب * و احتسب الله على الخطيب *

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور * الى بلدة صور * فلما حصلت بها ذا رفعة و خفض * و مالك رفع و خفض * تقت الى مصر توقان السقيم الى الأساة * و الكريم الى المواساة * فرفضت علائق الاستقامة * و نفضت عوائق الاقامة * و اعرورييت ظهر ابن النعامة * و اجفلت نحوها اجفال النعامة * فلما دخلتها بعد

معاناة الاين * و مداناة الحين * كلفت بها كلف الغشوان بالاصطباح * والحيران بتنفس الصباح * فبينما انا يوما بها اطوف * و تحتي فرس قطوف * اذ رأيت على جرد من الخيل * عصبة كمصابيح الليل * فسألت لانتجاع النزهة * عن العصبة و الوجهة * فقيل اما القوم فشهود * و اما المقصد فاملاك مشهود * فحدتني ميعة النشاط * على ان سرت مع القراط * لافوز بحلاوة اللقاط * و احوز حلواء السماط * فافضينا بعد مكابدة العناء * الى دار رفيعة البناء * وسيعة الفناء * تشهد لبانيها بالثراء والسناء * فلما نزلنا عن صهوات الخيول * قدمنا الاقدام للدخول * رأيت دهليزها مجللا باطمار مخرقة * و مكللا بمخارف معلقة * و هناك شخص على قطيفة * فوق دكة لطيفة فرابني * عنوان الصحيفة * و مرأى هذه الطريفة * و دعاني التطير بتلك المناحس * الى ان عمدت لذلك الجالس * فعزمت عليه بمصرف الاقدار * ليعرفني من رب هذه الدار * فقال ما لها مالك معين * ولا صاحب مبين * انما هو مصطبة المقيفين و المدروزين * و ولجة المشقشقين و المجاوزين * فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى * و اضمحال المرعى * و هممت في الحال بالرجعى * لكني استعجلت العود من فوري * والقهقرة دون غيري * فولجت الدار متجرعا الغصص * كما يلج العصفور القفص * فاذا فيها ارائك منقوشة * و طنافس مفروشة * و نمارق مصفوفة * و سجوف مرصوفة * و قد اقبل الملك يميس في بردته * ويتبهنس بين حفدته * فحين جلس كانه ابن ماء السماء * نادى مناد من قبل الاحماء * و حرمة ساسان أستاذ الاستاذين * و قدوة الشحاذين * لا عقد هذا العقد المبجل * في هذا اليوم الاغر

المحجّل * الا الذي جال و جاب * و شبّ في الكُدية و شابَ * فاعجب رهطُ الصّهر ما اشاروا اليه * و آذنوا في احضار المنصوص عليه * فبرز حينئذ شيخ قد امال الملوان قامته * و نوّر الفَتَيان قَعامته * فتباشرت الجماعة باقباله * و تبادرت الى استقباله * فلما جلس على زِرّيّته * و سكنت الضوضاء لهيبته * ازدلف الى مسنده * و مسح سبلته بيده * ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال * المبتدع للنوال * المتقرّب اليه بالسؤال * الموصّل لتحقيق الامال * الذي شرع الزكاة في الاموال * و زجر عن قهر السّؤال * و ندب الى مواساة المضطر * و امر باطعام القانع و المعتّر * و وصف عباده المقرّبين * في كتابه المبين * فقال وهو اصدق القائلين * و الذين في اموالهم حق معلوم * للسائل و المحروم * احمده على ما رزق من طُعمةٍ هَنيّة * و اعوذ به من استماع دعوة بلانية * و اشهد ان لا اله الا الله وحده * لاشريك له * إلهٌ يجزي المتصدّقين و المتصدقات * و يمحق الرّبا ويُربي الصدقات * و اشهد ان محمدا عبده الرحيم * و رسوله الكريم * ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء * و ينتصف للفقراء من الاغنياء * فرفق صلى الله عليه و سلم بالمسكين * و خفّض جناحه للمستكين * و فرض الحقوق في اموال الموسرين * و بيّن ما يجب للمقلّين على المكثرين * صلى الله عليه صلاة تحفيه بالزّلفة * و على اصفيائه اهل الصّفّة * اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتعفّفوا * و سن التفاسل لكي تضاعفوا * فقال سبحانه لتعرفوا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا * وهذا ابو الدُّرّاج * و لاّج بن خرّاج * ذو الوجه الوقاح * و الافك الصُّراح * و الهرير و

الصياح * و الابرام والالحاح * يخطب سليطة اهلها * و شريطة بعلها * قَنْبَس * بنتَ ابي العَنْبَس * لما بلغه من التحافها بالحافها * و اسرافها في اسفافها * و انكماشها على معاشها * و التغاشها عند هواشها * و قد بذل لها من الصداق شلّاقاوعكّازا * و صقاعا و كُرازا * فانكحوه انكاح مثله * و صلوا حبلكم بحبله * و ان خفتم عيلةً فسوف يُغنيكم الله من فضله * اقول قولي هذا و استغفر الله العظيم لي و لكم * و اسأله ان يُكثّر في المَصاطب نسلكم * و يحرُسَ من المعاطب شملكم * فلما فرغ الشيخ من خطبته * و ابرَم للختن عقد خطبته * تساقط من النثار * ما استغرق حدّ الاكثار * و اغرى الشحيحَ بالايثار * ثم نهض الشيخ يسحب ذُلاذله * و يقدم اَرَاذله * قال الحارث بن همام فتبعتُه لانظر عُرْجَة القوم * و اُكمّل بَهْجَة اليوم * فعاج بهم الى سماط زيّنته طُهاته * و تناصفت في الحسن جهاته * فحين رمق كل شخص في رِبْقته * و طفق يرتع في روضته * انسللت من الصف * و فررت من الزحف * فحانت من الشيخ لَفْتة اليّ * و نظرة هجم بها طرفه عليّ * فقال الى ابن يا بَرَم * هلا عاشرتَ مُعاشرة من فيه كرَم * فقلت و الذي خلقها طباقا * و طبّقها اشراقا * لا ذُقتُ لَماقا * و لا لُستُ رُقاقا * او تُخبرني اين مذبّ صباك * و من اين مهبّ صباك * فتنفس الصّعداء مرارا * و ارسل البُكاء مدرارا * حتى اذا استنزف الدمع * و استنصت الجمع * قال لي اَرْعني السمع * نظم

مَسْقط الرأس سروج * و بها كنت اموج
بلدةٌ يُوجد فيها * كل شيء و يروج
ورد ها من سلسبيل * و صحاريها مروج

و بذوها و مَغـــانيـــهم نجـــوم و بُروجُ
حبذا نفحـــة ربّا * ها و مرآها البهيـــجُ
و اراهيـــر ربا ها * حين تنجاب الثلوجُ
من رآها قال مرسى * جنة الدنيـــا سروجُ
و لمن يبزاح عنهـــا * زَفرات و نشيـــجُ
مثلَ ما لاقيت مذ زَحْـزَحني عنها العُلوجُ
عبرة تَهمي و شجْـــو * كلما قرّ يهيـــجُ
و همـــوم كل يوم * خطبها خطب مريجُ
و مساع فى التَرجّي * قاصراتُ الخطو عُوجُ
ليت يومي حُمَّ لمّا * حُمَّ لي منها الخروجُ

قال فلما بيّن بلده * و رَعيت ما انشده * ايقنت انه علامتنا ابو زيد * و ان كان الهَرَم قد اوثقه بقيد * فبادرت الى مُصافحته * و اغتنمت مواكلته من صحفته * و ظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شُواظه * و احشو صدفتي من دُرَر الفاظه * الى ان نَعب بيننا غراب البين * نفارقته مفارقة الجفن للعين *

المقامة الحادية و الثلثون الرملية

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب * و رَيْعان العيش اللُّباب * اقاسي الاكتئاب بالغاب * اهوى الاندلاق من القراب * لعلمي ان السَّفر * ينفِّج السُّفر * و يُنتج الظفر * و معاقرة الوطن * تعقر الفطن * و تحقر من قطن * فاجلت قِداح الاستشارة * و اكتدحت زِناد الاستخارة * ثم استجشت جاشا اثبتَ من الحجارة * و اصعدت الى ساحل الشام للتجارة * فلما خيّمتُ

بالرملة * و القيت بها عصا الرحلة * صادفت بها ركابا تُعدُّ للسُّرى * و رحالا تُشدُّ الى أمّ القرى * فعصفت بي ريح الغرام * و اهتاج لي شوق الى البيت الحرام * فزممْتُ ناقتي * و نبذتُ مُلقي و علاقتي * نظم

و قلت للائمي اَقْصِرْ فاني * ساختارُ المقام على المقام
و أُنفق ما جمعت بارض جمع * و أسلو بالحَطيم عن الحُطام

ثم انتظمتُ مع رُفقة كنجوم الليل * لهم في السير جرية السيل * و الى الخير جري الخيل * فلم نزل بين ادلاج و تأويب * و ايجاف و تقريب * الى أن حبتنا أيدي المطايا بالتحفة * في ايصالنا الى الجحفة * فحللناها متاهبين للاحرام * متباشرين بادراك المرام * فلم يكُ الا ان انخنا الركائب * و حططنا الحقائب * حتى طلع علينا من بين الهضاب * شخص ضاحي الاهاب * و هو يُنادي * يا اهل ذا النادي * هلُمّ الى ما ينجي يوم التنادي * فانخرط اليه الحجيج و انضلتوا * و احتفوا به و انضتوا * فلما رأى تألفهم حوله * و استطعامهم(†) قوله * تسنّم احْدى الاكام * ثم تنحنح مُستفتحا للكلام * و قال يا معشر الحُجّاج * الناسلين من الفجاج * اتعقلون ما تُواجهون * و الى من تتوجّهون * ام تدرون على مَنْ تقدمون * و عَلامَ تُقدمون * اتخالون ان الحجّ هو اختيار الرَّواحل * و قطع المَراحل * و اتخاذُ المُحامل * و ايقار الزوامل * ام تظنون ان النُّسك هو نضو الاَرْدان * و انضاءُ الابدان * و مفارقة الاوطان * و التنائي عن البُلدان * كَلّا والله بل هو اجتناب الخطيّة * قبل اجتلاب المَطيّة * و اخلاص النيّة * في قصد

(†) استعظامهم *

تلك البنيّة * و امحاض الطاعة * عند وجدان الاستطاعة * و اصلاح المعاملات * امام اعمال اليعملات * فو الذي شرع المناسك * للناسك * و ارشد السالك * في الليل الحالك * ما يُنقّي الاغتسال بالذنوب * من الانغماس في الذنوب * و لا تعدل تعرية الاجسام * بتعبية الاجرام * و لا تغني لبسة الاحرام * عن المتلبّس بالحرام * و لاينفع الاضطباع بالازار * مع الاضطلاع بالاوزار * و لايُجدي التقرب بالحلق * مع التقلب في ظلم الخلق * و لا يرخص التنسك بالتقصير * دَرَن التمسك بالتقصير * و لايسعد بعرفة * غيرُ اهل المعرفة * و لا يزكو بالخيف * من يرغب في الحيف * و لا يشهد المقام * الا لمن استقام * و لا يحظى بقبول الحجّة * مَنْ زاغ عن المحجّة * فرحم الله امرأ صفا * قبل مسعاه الى الصفا * و ورد شريعة الرضا * قبل شروعه على الاضا * و نزع عن تلبيسه * قبل نزع ملبوسه * و فاض بمعروفه * قَبْل الافاضة من تعريفه * ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصمّ * و كاد يَزعزع الجبالَ الشُّمّ * و انشد * نظم

ما الحجّ سيرك تاويبا و إدلاجا * و لا اعتيامك أجمالا و أحداجا
الحجّ ان تقصد البيت الحرام على * تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
و تمتطي كاهل الانصاف متخذا * ردع الهوى هاديا والحقّ منهاجا
و ان تواسي ما أوتيت مقدرة * مَنْ مدّ كفّا الى جدوى محتاجا
فهذه ان حويتها حجّة كملت * و ان خلا الحج منها كان أخداجا
حسب المرائين عبئا انهم غرسوا * و ما جنوا و لقوا كدّا و ازعاجا
وانهم حرموا اجرا و محمدة * و الحموا عرضهم مَنْ غاب أوهاجا
أخيّ فابغ بما تبديه من قُرب * وجه المهيمن ولّاجا و خرّاجا
فليس تخفى على الرحمن خافية * ان اخلص العبد في الطاعات ارداجا

و بادر الموت بالحُسنى تُقدّمها * فما يُنهنهُ داعي الموت ان فاجا
و اقنَ التواضعَ خلقــا لا تُزايله * عنك الليالي ولا يَبْسنك التاجا
و لا تشمْ كلَّ حال لاح بارقه * و لو تراأى هتُون السَّكْب ثُجّاجا
ما كل داع باهل ان يُصاخ له * كم قد اصمَّ بنَعْي بعض مَن ناجا
و ما الاديب سوى من بات مُقتنعا * ببُلغة يُدرج الايام ادراجا
فكل كُثرٍ الى قُلٍّ مُغبّتُــهُ * و كل نازٍ الى لين و ان هاجا
قال الراوي فلما القح عُقم الافْهام * بسحر الكلام * استروحتُ ريحَ ابي زيد * و ماد بيَ الارتياح اليه ايَّ ميد * فمكثتُ حتى استوعبَ نَشَّ حكمته * و انحدرَ من اكَمته * ثم دَلفْتُ اليه لانصَفّح صفحاتِ مُحيّاه * و استشفَّ جوهرَ حِلاه * فاذا هو الضالة التي انشُدها * و ناظم القلائد اللاتي انشدّها * فعانقتُه عِناقَ اللام للالف * و نزّلته منزلة البُرء عند الدنف * و سألته ان يلزمني فلزم * او يزاملني فذبا * و قال آليت في حجّتي هذه ان لا احتقب * و لا اعتقب * و لا اكتسب * و لا انتسب * و لا ارتفق * و لا ارافق و لا اوافق * من يُنافق * ثم ذهب يُهرول * و غادرني اُولول * فلم ازل اقربه نظري * و ارُدّ لو يمشي على ناظري * حتى توقّل احدَ الاطواد * و وقف للحجيج بالمرصاد * فحين شاهد ايضاع الركبان * في الكُثبان * وقّع بالبَنان * على البنان * و اندفع ينشد * نظم

ليس مَنْ زار راكبا * مثلَ ساعٍ على القدمْ
لا و لا خادم اطا * ع كعاصٍ من الخَدَم
كيف يا قوم يستــوي * سعيُ بانٍ و من هدَمْ
سيُقيــم المفــرّطو * ن غدا مأتم النــدَمْ
و يقــول الذي تقــرّ * ب طوبى لمــن خدمْ

وَيْكِ يا نفسِ قدّمي * صالحا عند ذي القدمْ
وازدري زُخرُفَ الحيا * ةِ فوجْدانُه عدمْ
واذكري مَصرعَ الحما * م اذا خطبُه صدمْ
واندُبي فعلكِ القبيـ * ـح وسُحّي له بِدَمْ
واد بُغيه بتوبة * قبل ان يحلم الادمْ
فعسى الله ان يقيـ * ـك المعير الذي احتدمْ
يوم لا عذرة تُقا * ل ولا ينفع الندمْ

ثم انه اغمد عضب لسانه * وانطاق لشانه * فما زلت في كل صوب نرِدُه * ومُعرِس نتوسّده * اتفقده فافتقده * واستفجد بمن ينشده فلا يجده * حتى خلتُ ان الجنّ اختطفته * والارضَ ابتلعته * فما كابدت في الغربة * كهذه الكربة * ولا مُنيت في سفرة * بمثلها من زَفرة *

المقامة الثانية والثلثون الحربية

حكى الحارث بن همام * قال اجمعت حين قضيت مَناسك الحج * واممت وظائف الحجّ والثجّ * ان اقصد طيبة * مع رفقة من بني شيبة * لازور قبرَ المصطفى * واخرج من قبيل مَن حجّ وجفا * فارجف بان المسالك شاغرة * وغربُ الحرمين متشاجرة * فحرت بين اشفاق يُثبّطني * واشواق يُنشّطني * الى ان ألقي في رُوعي الاستسلام * وتغليب زيارة قبره عليه السلام * فاعتممتُ القُعدة * واعددتُ العُدّة * وسرت والرفقة * لاتلوي على عُرجة * ولا تَني في تأويب ولا دُلجة * حتى راعينا بني حرب * وقد آبوا من حرب * فارمعنا ان نقضي ذلّ اليوم * في حلّة القوم * وبينما نحن نتخيّر

المناخ * و نرود الورد الثقاخ * اذ رأيناهم يركضون * كانهم الى نصب يوفضون * فرابنا انتيالهم * و سألنا عما بالهم * فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب * فاهراعهم لهذا السبب * فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحي * لنتبين الرشد من الغي * فقالوا لقداسمعت اذدعوت * و نصحت و ما الوت * ثم نهضنا نتبع الهادي * و نؤم النادي * حتى اذا اظللنا عليه * و استشرفنا الفقيه المنهود اليه * الفيته ابا زيد ذا الشقر و البقر * و الفواقر والفقر * و قد اعتم القمداء * و اشتمل الصماء * و قعد القرفصاء * و اعيان الحي به محتفون * و اخلاطهم عليه ملتفون * و هو يقول سلوني عن المعضلات * واستوضحوا مني المشكلات * فوالذي فطر السماء * و علم آدم الاسماء * اني لفقيه العرب العربا * و اعلم من نحت الجربا * فصمد له فتى فتيق اللسان * جريء الجنان * و قال انمي حاضرت فقهاء الدنيا * حتى انتخلت منهم مائة فنيا * فان كنت ممن يرغب عن بذات غير * و يرغب منا في مير * فاستمع و اجب * لتقابل بما يجب * فقال الله اكبر * سيبين المخبر * و ينكشف المضمر * فاصدع بما تؤمر *

قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله * قال انتقض وضوءه بفعله * النعل الزوجة * قال فان توضأ ثم اتكأ البرد * قال يجدد الوضوء من بعد * البرد النوم * قال ايمسح المتوضي اذنيه * قال قد ندب اليه و لم يجب عليه * الاذنيان الاذنان * قال ايجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان * قال و هل انظف منه للعربان * الثعبان جمع ثعب و هو مسيل الوادي * قال ايستباح ماء الضرير * قال نعم و يجتنب ماء البصير * الضرير خرف الوادي و البصير الكاسب *

قال ا يحل الطوف في الربيع * قال يكره ذلك للحدث الشنيع * الطوف التغوط و الربيع النهر الصغير * قال ا يجب الغسل على من امنى * قال لا و لو تنى * امنى نزل منيّ * يقال منه منى و امنى و امتنى * قال فهل يجب على الجنب غسل فروته * قال اجل و غسل إبرته * الفروة جلد الرأس و الابرة عظم المرفق * قال فان اخل بغسل رأسه * قال هو كما لو الغى غسل رأسه * الرأس العظم المشرف على نقرة القفا * قال ما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا * قال بطل تيممه فليتوضأ * الروض ههنا جمع روضة و هي الصبابة تبقى في الحوض * قال ا يجوز ان يسجد الرجل في العذرة * قال نعم و ليجانب القذرة * العذرة فناء الدار * قال فهل له السجود على الخلاف * قال لا و لا على احد الاطراف * الخلاف الكم * قال فان سجد على شماله * قال لا بأس بفعاله * الشمال جمع شملة * قال فهل يجوز السجود على الكراع * قال نعم دون الذراع * الكراع ما استطال من الحرة * قال ا يصلي على رأس الكلب * قال نعم كسائر الضب * رأس الكلب ثنية معروفة * قال ما تقول فيمن صلى و عانته بارزة * قال صلاته جائزة * العانة الجماعة من حمر الوحش * قال فان صلى و عليه صوم * قال يعيد و لو صلى مائة يوم * الصوم ذرق النعام * قال فان حمل جروا و صلى * قال هو كما لو حمل باقلى * الجرو الصغار من القثاء و الرمان * قال ا تصح صلاة حامل القرورة * قال لا و لو صلى فوق المرورة * القرورة مبلغة الكلب * قال فان قطر على ثوب المصلي نجو * قال يمضي في صلاته و لا غرو * النجو السحاب الذي قد هرأق ماءه * قال ا يجوز ان يؤم الرجال مقنع * قال نعم و مدرع * المقنع لابس المغفر و المدرع لابس الدرع *

قال فان أمّهم من في يده وقف * قال يعيدون و لو انهم الف * الوقف السوار من العاج او الذبل * و اراد به انه لا يجوز للرجال الا يتمامّ بالنساء * قال فان أمّهم من فخذه بادية * قال صلاته و صلاتهم ماضية * الفخذ العشيرة و بادية يسكنون البدو و اختار بعضهم تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها و بين الفخذ من الاعضاء * قال فان امّهم الثور الاجمّ * قال صلّ و خلاك ذمّ * الثور السيد و الاجم الذي لا رمح معه * قال ايدخل العصر في صلاة الشاهد * قال لا و الغائب الشاهد * صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمى الشاهد * قال أ يجوز للمعذور ان يفطر في شهر رمضان * قال ما رخّص فيه الا للصبيان * المعذور المختون و هو ايضا المعذّر * قال فهل للمعرّس ان ياكل فيه * قال نعم بملأ فيه * المعرّس المسافر الذي ينزل في آخر ليلة ليستريح ثم يرتحل * قال فان افطر فيه العراة * قال لا تنكر عليهم الولاة * العراة الذين تاخذهم العراء و هي الحمّى بوعدة * قال فان اكل الصائم بعد ما اصبح * قال هو احوط له و اصلح * اصبح اى استصبح بالمصباح * قال فان عمد لان اكل ليلا * قال ليشمّر للقضاء ذيلا * الليل ولد الحبارى و قيل هو ولد الكروان (؟) قال فان اكل قبل ان تتوارى البيضاء * قال يلزمه و الله القضاء * البيضاء من اسماء الشمس * قال فان استثار الصائم الكيد * قال افطر و من احلّ الصيد * الكيد القئ و استثاره استدعاه * قال أ له ان يفطر بالحاح الطابخ * قال نعم لا بطاهى الطابخ * الطابخ الحمّى الصالب * قال فان ضحكت المرأة في صومها * قال بطل صوم يومها * ضحكت

(؟) الليل الانثى من فرخ الحبارى على ما ذكره ابن دريد و قيل هو ولد الكروان و الذكر ولد الحبارى •

فهذا اي حاضت و منه قوله تعالى فضحكت فبشّرناها باسحاق * قال فان ظهر الجدري على ضرتها * قال تنظر ان آفن بمضرتها * الضرة اصل الابهام و اصل الثدي ايضا * قال ما يجب في مائة مصباح * قال حقّان يا صاح * المصباح الناقة التي تُصبح في المبرك * قال فان ملك عشر خناجر * قال يُخرج شاتين ولا يُشاجر * الخناجر الذُّوق الغزار واحدتها خنجر و خنجور * قال فان سمح للساعي بحميمته * قال يا بشرى له يوم قيامته * الساعي جابي الصدقة و الحميمة خيار المال * قال ا يستحقّ حَمَلة الاوزار من الزكاة جُزا * قال نعم اذا كانوا غُزّى * الاوزار السلاح و غُزّى جمع غاز * قال الجوير للحاج ان يعتمر * قال لا ولا ان يختمر * الاعتمار لبس العمارة و هي العمامة * و الاختمار لبس الخمار * قال فهل له ان يقتل الشجاع * قال نعم كما يقتل السباع * الشجاع الحيّة * قال فان قتل زمّارة في الحرم * قال عليه بدنة من النّعم * الزمّارة النّعامة و اسم صوتها الزّمار * قال فان رمى ساق حُرّ مجدّاه * قال يُخرج شاةً بدله * ساق حُرّ ذكر القماريّ * قال فان قتل أمّ عوف بعد الاحرام * قال يتصدق بقبضة من طعام * ام عوف الجرادة * قال ا يجب على الحاج استصحاب القارب * قال نعم ليسوقهم الى المشارب * الحاج اسم للجمع و الواحد و القاربُ طالب الماء بالليل * قال ما تقول في الحرام بعد السبت * قال قد حل في ذاك الوقت * الحرام المُحرِم و السبت حلق الرأس و حلّ من تحليل الحج * قال ما تقول في بيع الكُمَيْت * قال حرام كبيع الميْت * الكُمَيْت الخمر * قال ايجوز بيع الخل بلحم الجَمَل * قال لا و لا بلحم الحَمَل * الخل ابن المخاض و لا يحل بيع اللحم بالحيوان

سواء كان من جنسه او من غير جنسه * قال ابحثْ بيع الهديّة * قال لا ولا بيع السبيّة * الهدية بالتشديد ما يُهدى الى الكعبة و يقال فيها هَدْية بتسكين الدال و تخفيف الياء و السبيّة الخمر * قال ما تقول في بيع العقيقة * قال محظور على الحقيقة * العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته * قال ا يجوز بيع الداعي على الراعي * قال لا ولا على السامي * الداعي بقية اللبن في الضرع و السامي جاي الصدقة * قال ابيع الصقر بالتمر * قال لا و مالك الخلق و الامر * الصقر القِبْس * قال ايشترى المسلمُ سَلَب المسلمات * قال نعم و يورث عنه اذا مات * السَلَبُ لحاءُ الشجر و هو ايضا خُوص الثُمام * قال فهل يجوز ان يُبتاع الشافع * قال ما يجوز ممن دافع * الشافع الشاة التي معها سَخْلَها * قال ابيّاع الابريق على بنى الاصفر * قال بكره كبيع المغفر * الابريق السيف الصقيل الكثير الماء و بنو الاصفر الروم * قال ايجوز ان يبيع الرجل صَيْفيّة * قال لا و لكن يبيع صَيْفيّة * الصيفيّ الولد على الكبَر * و الصفيّ الذاقة الغزيرة الدَرّ * قال فان اشترى عبدا فبان بأمّه جراحٌ * قال ما في رده جُناح * الأمّ مجتَمَع الدماغ * قال اتثبت الشُفْعة للشريك في الصحراء * قال لا و لا للشريك في الصفراء * الصحراء الاذان التي تُمازج بياضها غُبرة * قال ابحثْ ان نُحمّى ماء البئر و النخلا * قال ان كانا في النخلا فلا * نُحمّى بمنع و النخلا النخلاء * قال ما تقول في ميتة الكافر * قال حِلٌّ للمقيم و المسافر * الكافر البحر و ميتته السمك الطافي فوق مائه * قال ايجوز ان يُضحّى بالحُول * قال هو اجْدَر بالقبول * الحول جمع حائل * قال فهل يُضحّى بالطالق * قال نعم و يقرى

منها الطارق * الطالق الناقة تُرسَل تَرعى حيث شاءت * قال فان ضحّى قبل ظهور الغزالة * قال شاة لحم بلا مُحالة * الغزالة الشمس و قال بعضهم يقال طلعَت الغزالة و لا يقال غربت * قال ايحل الكسب بالطَّرْق * قال هو كالقمار بلا فرق * الطرق الضرب بالحصى و هو من افعال الكهنة * قال ايُسلِّم القائم على القاعد * قال محظور فيما بين الاباعد * القاعد التي قعدت عن الحيض و عن الازواج * قال ايقام العاقل تحت الرقيع * قال اَحْبِبْ به فى البقيع * الرقيع السماء و عنى بالبقيع بقيعَ المدينة * قال ايُمنَع الذمّيُّ من قتل العجوز * قال معارضته فى العجوز لا تجوز * العجوز الخمر و قتلها مَزجها * قال ايجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة ابيه * قال ما جُوِّز لخامل و لا نبيه * العمارة القبيلة * قال ما تقول فى التهود * قال هو مفتاح التزهّد * التَّهود التوبة و منه قوله تعالى إنَّا هُدْنَا اليك * قال ما تقول في صبر البليَّة * قال اَعْظِمْ به من خطيَّة * الصبر الحبس و البليَّة الناقة تُحْبَس عند قبر صاحبها فلا تُسقى و لا تُعلف الى ان تموت و كانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يُحْشَر عليها * قال ايحل ضرب السفير * قال نعم و الحَمْل على المُستشير * السفير ما تساقط من ورق الشجر و المستشير الجمل السَّمين و هو ايضا الجمل الذي يَعرِف اللاقحَ من الحائل * قال ايُعزِّر الرجل اباه * قال يفعله البَرُّ و لا اباه * التعزير التعظيم و النصرة * قال ما تقول فيمن افتقر اخاه * قال حبَّذا ما توخّاه * افقره اعاره ناقة يركب فقارها * قال فان اعرى ولده * قال يا حُسن ما اعتمده * اعراه اعطاه ثمرة نخله عاما * قال فان اصلى مملوكه النار * قال لا إثم عليه و لا عار * المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى قوي *

قال ا يجوز للمرأة ان تصرم بعلها * قال ما حظر احد فعلها * البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض * قال فهل تؤدب المرأة على الخجل * قال اجل * الخجل سوء احتمال الغني (§) قال ما تقول فيمن نحت اثلة اخيه * قال اثم و لو اذن له فيه * نحت اثلته اذا اغتابه و قدح في عرضه * قال ابحجر الحاكم على صاحب الثور * قال نعم ليأمن غائلة الجور * الثور الجنون * قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم * قال نعم الى ان يرشد و يستقيم * يقال ضرب على يده اذا حجر عليه * قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا * قال لا و لو كان له رضا * الربض الزوجة * قال فمتى يبيع بدن السفيه * قال حين يرى له الحظ فيه * البدن الدرع القصيرة * قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا * قال نعم اذا لم يكن مغشيا * الحش النخل المجتمع * قال ا يجوز ان يكون الحاكم ظالما * قال نعم اذا كان عالما * الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروب و يخرج زبده * قال ا يستقضى من ليست له بصيرة * قال نعم اذا حسنت منه السيرة * البصيرة ههنا التؤس * قال فان تعرى من العقل * قال ذاك عنوان الفضل * العقل ضرب من الوشي * قال فان كان له زهو جبار * قال لا انكار و لا اكبار * الزهو البسر المتلون و الجبار النخل الذي فات اليد و ضده القاعد (†) * قال ا يجوز ان يكون الشاهد مريبا * قال نعم اذا كان اريبا * المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب * قال فان بان انه لاط * قال هو كما لو خاط * لاط الحوض اذا طينه * قال فان عثر على

(§) الغني و منه قوله عليه السلام للنساء انكن اذا جعتن دفعتن و اذا شبعتن خجلتن *

(†) فات اليد و القاعد من النخل ضدها *

انه غَرِيل * قال تُرَدُّ شهادته و لاتُقبَل * غربل اى قتل * (§) قال فان وضح انه مائِنٌ * قال هو وصف له زائِنٌ * المائِنُ هٰهنا الذي يعول و يكفى المؤنة من مان يمُون * قال ما يجب على عابد الحق * قال يُحلَّف بالله الخلق * العابد هٰهنا الجاحد و الحق الدَّين * قال ما تقول في من فَقَأ عين بلبُل عامدا * قال تُفقَأ عينُه قولا واحدا * البلبُل الرجل الخفيف * قال فان جرح قطاةً امرأة فماتت * قال النَّفس بالنَّفس اذا فاتت * القطاة مابين الوَرِكَيْن * قال فان ألقت الحامل حشيشا من ضربه * قال لِيُكَفِّر بالاعتاق عن ذنبه * الحشيش الجنين المُلقى مَيتا * قال ما يجب على المختفي في الشرع * قال القطع لاقامة الردع * المختفي نَبَّاش القبور * قال فان سرق ثمينا من ذهب * قال لاقطع كما لو غصب * الثمين الثَّمن كما يقال في النصف نصيف و في السُّدُس سَديس * قال فان بان على المرأة السرق * قال لاحرج عليها ولافرق * السرق الحرير الابيض * قال اينعقد نكاح لم تشهده القَواري * قال لا و الخلاق البارى * القَواري الشُّهود لانهم يقرون الاشياء اى يتتبَّعونها * قال ما تقول في عَروس باتت بليلة حُرَّة * ثم رُدَّت في حافرتها (†) بسُحْرة * قال يجب لها نصف الصَّداق * و لا تلزمها عِدَّة الطلاق * يقال باتت العروس باليلة حُرَّةٍ اذا امتنعت على زوجها فان اقتضَّها قيل باتت بليلة شَيباءَ و الرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الاول و كُنِى به عن طلاقها و ردها الى اهلها * فقال له السائل لله دُرُّك من بَحر لايُعضغضُه الماتح * و حِبْر لايبلُغ مَدْحه

(§) قتل و منه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربلة *

(†) ثم ردت على حافرتها - ثم عادت على حافرتها *

العادح * ثم أطرق اطراق الحمى * و ارتمّ ارتمام العنّي * فقال له ابو زيد إيه يا فتى * فالى متى و الى متى * فقال انه لم يبق في كنانتي مرماة * و لا بعد اشراق صبحك مُماراة * فبالله اى ابن ارضٍ انتَ * فما احسن ما أبنتَ * فانشد باسان ذَلِق * و صوتٍ صَهصَلِق * نظم

أنا في العالم مُثلَه * و لاهل العلم قبلَه
غيرَ أنّي كلَّ يوم * بين تعريسٍ و رحلَه
و الغريب الدار لو حـ * ـلّ بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هُديَ و يهدي * فاجعلهم ممن يهتدي و يُهدي * فساق اليه القوم ذَوْدًا مع قَيْنة * و سألوه ان يزورهم الفَيْنَةَ بعد الفَيْنة * فنهض يُمنّيهم العود * و يُزجّي الامة و الذَّود * قال الحارث بن همام فاعترضته و قلت له عهدي بك سفيها * فمتى صرت فقيها * فظلّ هُنَيّةً يجول * ثم انشأ يقول * نظم

لبستُ لكل زمان لَبُوسا * و لابستُ صرفَيْه نُعمى و بُؤسا
و عاشرت كل جليس بما * يُلائمه لارِقّ الجليسا
فعند الرُّواة أدير الكلام * و بين السُّقاة أدير الكؤسا
وطورا بوَعْظي أسيل الدموع * و طورا بلَهْوي أسرُّ النفوسا
و اقرى المَسامع إمّا نطقت * بيانا يقود الحرُون الشموسا
و ان شئتُ أرْعفُ كفّي اليَراع * فساقط دُرًّا يُحلّي الطُّرسا
و كم مشكلات حَكَين السُّها * خَفاءً فصرن بكشفي شُموسا
و كم مُلَح لي خلَبْن العقول * و آسرن في كل قلب رسيسا
و عذراء قُهْتُ بها فانثنى * عليها الثناء طليقا حبيسا
طلى انني من زماني خُصِصْتُ * بكيد و لا كيد فرعون موسى

يُسعّرني كل يوم وغًا * اطا من اطا ها وطيسا وطيسا
و يطرقني بالخطوب التي * يُدبّن القُرى و يُشيبن الرؤسا
و يُدني الى البعيدَ البغيضَ * و يبعد عني القريب الانيسا
و لولا خساسةُ اخلاقه * لما كان حظّي منه خسيسا

فقلت له خفّض الاحزان * و لا تألم الزمان * و اشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس * الى مذهب ابن إدريس * فقال دع الهتار * ولا تهتك الاستار * و انهض بنا لنضرب * الى مسجد يثرب * فعسى ان نرحض بالمزار * درن الاوزار * فقلت هيهات ان اسير * او أفقه التفسير * فقال تالله لقد اوجبتَ ذمّا * و طلبت اذ طلبت أمّا * فهاكَ ما يشفي النفس * و ينفي اللّبس * قال فلما اوضح لي المُعمّى * و كشف عني الغُمّى * شددنا الاكوار * و سرت و سار * و لم ازل من مُسامرته * مدة مُسايرته * فيما انساني طعم المشقّة * و رددتُ معه بُعدَ الشُّقّة * حتى اذا دخلنا مدينة الرسول * و فُزنا من الزيارة بالمسئول * شأمَ و أعرقتُ * و غرّبَ و شرّقتُ *

المقامة الثالثة و الثلثون التفليسية

اخبر الحارث بن همام * قال عاهدتُ الله تعالى منذ يفعت * ان لا أؤخّر الصلاة ما ستطعت * فكنت مع جوب الفلوات * و لهو الخلوات * أراعي اوقات الصلوات * و أحاذر من مأثم الفوات * و اذا رافقت في رحلة * او حللت بحلّة * مرحّبت بصوت الداعي اليها * و اقتديت بمن يُحافظ عليها * فاتفق حين دخلت تفليس * ان صلّيت مع عصبة مفاليسَ * فلما قضينا

الصلاة * و آزمعنا الانفلات * بوز شبخ بادى اللّقوة * بالى الكسوة و القوة * فقال عزمت على من خُلق من طينة الحُرّية * و تفوّق دَرّ العصبية * إلّا ما تكلف لي لُبْثة * و استمع منّي ثلثة * ثم له الخيار من بعد * و بيده البذل و الرد * فعقد له القوم الحُبا * و رسوا امثال الرُّبا * فلما آنسَ حسنَ انصاتهم * و رِقّةَ حَصاتهم * قال يا أولى الابصار الرامقة * و البصائر الزّلقة * إنما يغني عن الخبر العيان * و يُنبئ عن النار الدخان * شَيْب لائح * و ضعف بائح * و وهن فادح * و داء واضح * و الباطن فاضح * و لقد كنت و الله ممن مَلك و مالَ * و ولِيَ و آلَ * و رفد و نال * و وصل و صال * فلم تزل الجوائح تُسْحِتُ * و النوائب تنحتُ * حتى الوكر قَفْر * و الكف صِفْر * و الشعار ضُرّ * و العيش مُرّ * و الصِّبية يتضاءون من الطّوى * و يتمنّون مُصاصَةَ النّوى * و لم اقُم هذا المقام الشائن * و اكشف لكم الدّفائن * الا بعد ما شقيت و لقيت * و شِبتُ مما لقيت * فايتني لم اكن بقيت * ثم تأوّه تأوّهَ الاسيف * و انشد بصوت ضعيف * نظم

اشكو الى الرحمٰن سبحانه * تقلّبَ الدهر و عُدوانه
و حادثات قرعت مروتي * و فوّضت سجدي و بُنيانه
واهتصرت عودي يا ويل من * تهتصر الاحداث اغصانه
و امحلت ربعي حتى جلت * من ربعى المُمحل جِرذانه
و غادرتني حائرا بائرا * أكابد الفقر و اشجانه
من بعد ما كنت اخا ثروة * يسحب في النعمة اردانه
يختبط العافون اوراقه * و يحمد السارون نيرانه
فاصبح اليوم كأن لم يكن * اعانه الدهر الذي عانه

و ازوّر من كان له زائرا * و عاف عافي العُرف عرفانه
فهل فتىً يحزنه ما يرى * من غرّ شيخ دهره خانه
فيفرج الهـمّ الذي همّه * و يصلح الشان الذي شانه

قال الراوي فصبّت الجماعة الى ان تستثبته * لتستنجش خبأته * و تستنفض حقيبته * فقالت له قد عرفنا قدر زنتك * و رأينا درّ مزنتك * فعرّفنا دوحة شعبتك * و احسر اللثام عن نسبتك * فاعرض اعراض من مُنِيَ بالاعنات * او بُشّر بالبنات * و جعل يلعن الضرورات * و يتأفّف من تغيّض المروّات * ثم انشد بلفظ صادع * و جَرس خادع * نظم

لَعَمرك ما كل فرع يدُل * جناه اللذيذُ على اصلـه
فكل ما حَلا حين تُوتى به * و لا تسأل الشهد عن نحله
وميّز اذا ما اعتصرت الكروم * سُلافَة عصـرك من خلّه
لتُغلي و تُرخص عن خبرة * و تشـري كلاً شرى مثله
فعارٌ على الفطن اللوذعي * دخول الغميزة في عقلـه

قال فازدهى القوم بذكائه و دهائه * و اختلبهم بحسن ادائه مع دائه * حتى جمعوا له خبايا الخبن * و خفايا التبن * و قالوا له يا هذا انك حُمْتَ على ركيّة بكيّة * و تعرّضت لخليّة خليّة * فخذ هذه الصبابة * و هبها الاخطاء و لا اصابة * فنزل قلبهم منزلة الكثر * و وصل قبوله بالشكر * ثم تولى يجرّ شقّه * و ينهب بالخبط طُرُقه * قال المخبر بهذه الحكاية * فصوّر لي انه مُعيل لحليته * متصنّع في مشيته * فرضتُ انهج منهاجه * و اقفوا دراجه * و هو يلحظني شزرا * و يوسعني هجرا * حتى اذا خلا الطريق * و امكن التحقيق * نظر الي نظر من هشّ و بشّ *

وماحَض بعد ما غشّ * وقال اني لاَخالك اخا غُربة * ورائد صحبة * فهل لك في رفيق يرفُق بك ويُرفق * ويُنفق عليك ويُنفق * فقلت له لو اتاني هذا الرفيق * لَوَاتاني التوفيق * فقال لي قد وجدتَ فاغتبط * واستكرمتَ فارتبط * ثم ضحك مَليًّا * وتمثّل لي بشرا سَوِيًّا * فاذا هو شيخنا السروجي لا قلبة بجسمه * ولا شُبهة في رسمه * ففرحت بلُقيته * وكَذب لَقوته * وهممت بملامته على سوء مقامته * فشجا فاه * وانشد قبل ان أنحاه * نظم

ظهرتُ ببرّتٍ لكيما يقال * فقير يزجّي الزمانَ المُزجّى
واظهرتُ للناس ان قد فُلجتُ * فكم نال قلبي به ما ترجّى
ولو لا الرثاثة لم يُرثَ لي * ولو لا التغالُج لم أَلقَ فُلجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مَرتع * ولا في اهلها مَطمع * فان كنت الرفيق * فالطريقَ الطريقَ * فسرنا منها متجرّدين * ورافقته عامين اجرَدَين * وكنت على ان اصحبه ما عشتَ * فابَى الدهرُ المُشتّ *

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية

حكى الحارث بن همام * قال لما جُبتُ البيدَ * الى زَبيدَ * صحبني غلام كنت رَبّيته الى ان بلَغ اَشُدّه * وثقّفته حتى اكمل رُشده * وكان قد آنس باَخلاقي * وخَبر مجالب رِفاقي * فلم يكن يتخطى مَرامي * ولا يُخطِىء في المرامي * لاجرم ان قُربه التاطَ بصفري * واخلصته لحضَري وسفري * فالوى به الدهر المُبيد * حين ضمّنا زَبيد * فلما شالت نعامَته * وسكنت نامته * بقيت

عاما * لا أسيغ طعاما * ولا أربغ غلاما * حتى الجأتني شوائب الوحدة * ومتاعب القومة والقعدة * الى ان اعتاض عن الدر الخرز * وارتاد من هو سداد من عوز * فقصدت من يبيع العبيد * بسوق زبيد * وقلت اريد عبدا يُعجب اذا قُلّب * ويُحمد اذا جُرّب * وليكن ممن خرّجه الاكياس * واخرجه الى السوق الافلاس * فاهتزّ كل منهم لمطلبي ووثب * وبذل تحصيله عن كثب * ثم دارت الاهلة دورها * وتقلّبت كورها وحورها * وما نجز من وعودهم بعد * ولا سمح لها رعد * فلما رأيت النخّاسين * ناسين او متناسين * علمت ان ليس كل من خلق يفري * وان لن يحكّ جلدي مثل ظفري * فرفضت مذهب التفويض * وبرزت الى السوق بالصفر والبيض * فاني لاستعرض الغلمان * واستعرف الاثمان * اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام * وقبض على زند غلام * وقال * نظم

من يشتري مني غلاما صنعا * في خلقه وخُلقه قد برعا
بكل ما نُطت به مُضطلعا * يشفيك ان قال وان قلتُ وعى
وان تصبك عثرة يقل لعا * وان تسمه السعي في النار سعى
وان تصاحبه ولو يوما رعى * وان تقنعه بظلف قنعا
هو على الكيس الذي قد جمعا * ما فاه قط كاذبا ولا ادعّى
ولا اجاب مطمعا حين دعا * ولا استجاز نثّ سرٍّ أو دعا
وطالما ابدع فيما صنعا * وفاق في النثر وفي النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا * وصبية اضحوا عُراةً جُوّعا
مابعتُه بملك كسرى اجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم * وحُسنه الصميم * خِلته من

ولدان جنة النعيم * و قلت ما هذا بشرا إن هذا الا مَلَك كريم *
ثم استنطقْتُه عن اسمه * لا لرغبة في علمه * بل لانظر اين فصاحته
من صباحته * و كيف لهجته من بهجته * فلم ينطق بحُلْوة
ولا مُرَّة * و لا فاه فَوهَةَ ابن أَمَةٍ و لا حُرَّة * فضربتُ عنه صفحا *
و قلتُ قُبْحا لعيْبك و شُقْحا * فغار في الضحك و انْجَدَ *
ثم انْغَض رأسه الي و انشد * نظم

يامن تلهَّبَ غيظُه أنْ لم ابُحْ * باسمي له ما هكذا مَن يُنصِفُ
ان كان لا يُرضيك الا كشفُه * فاصْخ له انا يُوسُف انا يوسفُ
ولقد كشفتُ لك الغطاء فان تكن * قَطَنًا عرفتَ و ما إخالُك تعرِفُ
قال فسرى عَتْبي بشعْره * و استبى لُبّي بسحْره * حتى شُدِهْتُ
عن التحقيق * و أُنسيْتُ قصّة يوسفَ الصدّيق * و لم يكن لي همٌّ
الا مُساومَةَ مولاه فيه * و استطلاعَ طِلْع الثمن لأُوفّيه * و كنت
احسبُ انه سينظر شزْرا الي * و يُغلي السِيْمَةَ عليّ * فما حلّق
الى حيث حلقتُ * و لا اعْتَلق بما به اعتَلَقْت * بل قال ان
العبد اذا نَزُرَ ثمنه * و خفَّتْ مُؤَنه * تبرّك به مولاه * و التحفَ
عليه هواه * و اني لأوثِر تحبيبَ هذا الغلام اليك * بان أُخفِّف
ثمنه عليك * فزِنْ مائتي درهم ان شئت * و اشكرلي ما حييْتَ *
فنقدته المبلغ في الحال * كما يُنقَد في الرخيص الحلال * و لم
يخطُر لي ببال * ان كل مُرخَص غال * فلما تحققت الصَّفْقة *
وحقّقت الفُرقة * هملَتْ عيناي الغلام * ولا همولَ دمع الغَمام * ثم
اقبل على صاحبه و قال * نظم

لحاك اللــهُ هل مثلي يُباع * لكيمــا تشبعَ الكَرِشُ الجياع
و هل في شِرْعة الانصاف اني * أُكلّـف خُطّـةً لا تُسـتطاع

وان أبلى بروع بعد رَوع * ومثلى حين يُبلى لا يُراع
اما جرّبتني فخبرت مني * نصائح لم يمازجها خداع
وكم ارصدتني شركا لصيد * فعدت وفي حبائلك السباع
ربطتُ بي المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
وآبيّ كريمة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لي فيه باع
وما ابدتْ لي الايام جرما * فيكشف في مصارمتي القناع
ولم تعذر بحمد الله مني * على عيب يكتّم او يُذاع
فانّي ساغ عندك نبذ عهدي * كما نبذتْ برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهاني * وان أشرى كما يشرى المتاع
وهلاّ مُنتَ عرضي عنه صوني * حديثك يوم جدّ بنا الوداع
وقلت لمن يساوم فيّ هذا * سكاب فما يعار ولا يباع
فما انا دون ذاك الطرف لكن * طباعك فوقها تلك الطباع
على اني سأنشد عند بيعي * اضاعوني و ايّ فتىً اضاعوا
قال فلما وعى الشيخ ابياته * وعقل مناغاته * تنفّس الصعداء * وبكى حتى ابكى البعداء * ثم قال لي إني أحلّ هذا الغلام محل ولدي * ولا أميّزه عن افلاذ كبدي * ولولا خلوّ مُراحي * وخُبُوّ مصباحي * لما درج عن عُشّي * الى ان يُشيّع نعشي * وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين * والمؤمن هيّن لين * فهل لك في تسلية قلبه * وتسرية كربه * بان تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلتُ * وان لا تستثقلني اذا ثقلت * ففي الاثار المنتقاة * المدوّنة عن الثقات * من اقال نادما بيعته * اقاله الله عثرته * قال الحارث بن همام فوعدته وعداً ابرزه الحياء * وفي القلب اشياء * فاستدنى حينئذ الغلام اليه * وقبّل مابين عينيه *

و انشد و الدمع يرفض من جفنيه * نظم

خفّض فدتك النفسُ ما تُلاقي * من بُرحاء الوجد و الْاشفاق
فما تطـــول مـــدةُ الفـــراق * و لا تَنـــي ركائبُ الـــتلاقي
بحُسن عون القادر الخـــلّاق

ثم قال له استودعُك مَنْ هو نعمَ المولى * و شمّر ذيله وولّى * فلبث الغلام في زفير و عويل * ريثما يُقطع مدى ميل * فلما استفاق * و كفكف دمعه المُهراق * قال اتدري لم اعولتُ * و علامَ عوّلتُ * فقلت اظُن فراق مولاك * هو الذي ابكاك * فقال انك لغوي واد * و انا في واد * و لكم بين مُريد و مُراد * ثم انشد * نظم

لم أبكِ و الله على إلفٍ نزح * و لا على فوت نعيـــم و فرح
و انما مدمعَ اجفاني سفح * على غبّي لحظه حين طمح
وَرْطه حتى تعدّى و اقتضح * وضيّع المنقوشة البيض الوضح
ويْكَ امانا جَتْك هاتيك المُلح * بانني حرٌّ و بيعي لم يُبح
اذ كان في يوسف معدّي قد وضح

قال فتمثّلتُ مقاله في مرأة المُداعب * و معرض المُلاعب * فتصلّبَ تصلّب المُحقّق * و تبرّأ من طينة الرقّ * فجُلْنا في مخاصمة اتصلتْ بملاكمة * و افضت الى محاكمة * فلما اوضحنا للقاضي الصورة * و تلونا عليه السورة * قال الا ان من انذر * فقد اعذر * و من حذّر * كمن بشّر * و من بصّر فما قصّر * و ان فيما شرحتُماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبّهك فما آرعويْتَ * و نصح لك فما وعيْت * فاستُرداء بَلَهك و اكتُمه * و لُمْ نفسك و لا تُلمه * و حذار من اعتلاقه * و الطمع في استرقاقه * فانه جُرّ الديم *

غير معرّض للتقويم * و قد كان ابوه احضره امس * قُبيل أفول الشمس * و اعترف بانه فرعه الذي انشاه * و أنْ لا وارث له سواه * فقلت للقاضي او تعرف اباه * اخزاه الله * فقال وهل يُجهل ابو زيد الذي جُرحُه جُبار * و عند كل قاض له إخْبار و أخْبار * فتحرّقتُ حينئذ و حَولقتُ * و افقتُ و لكن حين فات الوقت * و ايقنت ان لثامه كان شَرك مَكيدته * و بيت قصيدته * فنكّس طرفي ما لقيت * و آليت ان لا أعامل متلثّما ما بقيتُ * و لم ارَ اتأوه لخُسر صفقتي * و الافتضاح بين رُفقتي * فقال لي القاضي * حين راى امتعاضي * و تبين حرّ ارتماضي * يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك * و لا أجرم اليك من ايقظك * فاتّعظ بما نابك * و كانم اصابك ما اصابك * و تذكّر ابدا ما دهمك * لتقيَ الذكرى دراهمك * و تخلّق بخُلق من ابتُلي فصبَر * و تجلّت له العبَر فاعتبر * فودّعتُه لابسا ثوب الخَجل و الحزن * ساحبا ذيلَ الغبْن و الغَبَن * و نويتُ مكافئة ابي زيد بالهجر * و مُصارمته يدَ (†) الدهر * فجعلت اتنكّب عن ذراه * واتجنّب ان اراه * الى ان غشيَني في طريق ضيّق * فحيّاني تحيّة شَيّق * فما زدتُ على ان عبَست * و ما نبَست * فقال ما بالك شامخا (§) بانفك * على إلفك * فقلت انسيت انك احتلْتَ و ختلْتَ * و فعلت فعلتك التي فعلت * فاضرَط بي مُتهازيا * ثم انشد مُتلافيا * نظم

يا من بدا منه صُدو * دُ مُوحش و تجهُّم
و غدا يريش مُلاومًا * من دُونهن الاسهُم

(†) مدى (§) بالك شمخت بانفك *

ويقول هل حُرٌّ يُباع الأنْعُم
أقصِرْ فما انا فيه بِدْ * عاً مثلَ ما تتوهّم
قد باعت الاسباط قبـ * ـلي يوسفا وهُمُ هُم
هذا و أُقسم بالتي * يُسْري اليها المُنْعِم
و الطائفين بها و هم * شُعْثُ النواصي سُقَّم
ماقمت ذكَ الموقف المـ * ـخزي و عندي درهم
فاعذر اخاك وكُفَّ عنـ * ـه ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتي فقد لاحت * و اما دراهمك فقد طاحت * فان كان أَفْشعراركَ منّي * و ازْورارك عني * لفرط شَفقتك * على عُبَّر نفقتك * فلست ممن يلسع مرتّين * و يوطِئ (‡) على جمرتَيْن * و ان كنت طويت كَشْحَك * و اطعت شُحَّك * لتستنقذ ما علق بأشراكي * فلتبْك على عقلك البواكي * قال الحارث بن همام فاضطرّني بلفظه الخالب * و سحره الغالب * الى ان عُدتُ له صِفياً * و به حفِيًّا * و نبذت فعلتَه ظِهْرِيًّا * و ان كانت شيأ فريًّا *

المقامة الخامسة و الثلثون الشيرازية

روي الحارث بن همام قال مررت في تَطْوافي بشيراز * على نادٍ يعتوقف المُجتاز * و لو كان على اوفاز * فلم أَستطع تعدّيه * و لا خَطَت قدمي في تخطّيه * فعُجْت اليه لأسْبك (§) سرّ جوهره * و انظر

(‡) ممن يسلع من حجر مرتين * و يوطا على جمرتين * وفي بعض النسخ ولا يوطي * (§) لاسبر *

كيف ثمره من زهره * فاذا اهله آفراد * و العائج اليهم مُفاد * و بينما نحن في نكاهة اطرب من الاغاريد * و اطيب من حلب العقاقيد * اذ احتفّ (†) بذا ذو طمرين * قد كاد يُناهز العُمْرين * فحيّى بلسان طليق * و بيان ابانة منطيق * ثم احتبى حَبْوة المتئدين * و قال اجعلنا اللهم من المهتدين * فاذراه القوم لطمْرَيه * و نسوا ان المرء باصغريه * و اخذوا يتداعون فصلَ الخطاب * و يعتدّون عُودَه من الاحطاب * و هو لا يُفيض (‡) بكلمة * و لا يُبين عن سمة * الى ان سَبَر قرائحهم * و خبر شائلهم و راجحهم * فحين استخرج دفائنهم * و استنثل كنائنهم * قال يا قوم لو علمتم ان وراء الغدام * صفو المُدام * لما احتقرتم ذا اخلاق * و قلتم ما له من خلاق * ثم فجّر من ينابيع الادب * و النُّكت النُّخَب * ما جلب به بدائعَ العجَب * و استوجب ان يُكتب بذَوْب الذهب * فلما خلَب كل خِلْب * و قلَب اليه كل قلب * تململ * ليرحل * و تأهب * ليذهّب * فعلقت الجماعة بذيله * و عاقت مَسْرَب سيله * و قالت له قد اريتنا وَسم قِدْحك * فخبّرنا عن قَيضك و مُحكّك * فصمت صُموتَ من أفحم * ثم أعول حتى رُحم * قال الراوي فلما رأيت شوب ابي زيد و ريبه * و أساوه المألوف و صوبه * تأمّلت الشيخ على سُهومة مُحيّاه * و سُهوكة رِيّاه * فاذا هو إيّاه * فكتمْتُ سرّه كما يُكتم الداء الدخيل * و سترتُ مكره و ان لم يكن يُخيل * حتى اذا نزع عن إعواله * و قد عرف عُذوري على حاله * رمقني بعين مضحاك * ثم طفق ينشد بلسان متباك * نظم

(†) اذ عتف * (‡) يفيض *

استغفـــر الله و اعذُـــوله * من فرطاتٍ اثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الاوصاف في الاندية
قتلتهـــا لا اتّقـــي وارثا * يطلـــب مني قودا اوديه
و كلما استذنبتُ في قتلها * احلت بالذنب على الاقضيه
و لم تزل نفسيَ في غيّهـــا * و قتلها الابكارَ مستشـــريه
حتى نهاني الشَيْبُ لما بدا * في مَفْرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرِق منذ شاب فودي دَما * من عاتقٍ يوما و لا مُصْبِيه
و ها انا الان على ما يرى * مني و من حرفتي المُكديه
أرُبَّ بِكْـرٍ طال تعنيسُهـــا * و حُجْبُها حتى عن الاَهْويه
و هي على التعنيس مخطوبة * كخطبة الغانيـــة المُغنيه
و ليس يكفيني لتجهيزها * على الرضا بالدون الا مئه (†)
و اليد لا تُوكي على درهم * و الارض قَفْر والسماء صُحيه
فهل مُعين لي على نقلها * مُصْحوبـــةً بالقينـــة المُلهيه
فيغســـل الهمَّ بصـــابونه * و القلب من افكاره المُضنيه
و يقتني مني الثناء الذي * تضوع ريّاه مع الاَدْعيه (‡)

قال فلم يبق في الجماعة الا من نديَتْ له كَفُّه * و انباعَ اليه عُرفه * فلما نجحت بغيْته * و كملت مئته * اخذ يثني عليهم بصالح * و يُشمّر عن ساق سارح * فتبعته لاستعرف ربيبة خدره * و من قتل في حِدْثان امره * فكانّ وشك قيامي * مثّل له مرامي * فاردلف مني * و قال افقه عني * نظم

قتل مثلي يا صاحِ مَزج المُدام * ليس قتلي بلهذَمٍ او حُسام
و التي عُنّست هي البِكْر بنت الـــكرم لا البكر من بنـــات الكرم

(†) مائه * (‡) على الادعيه * مع الاذديه *

و لتجهيز ما الى الكاس و الطاس قيامي الذي ترى و مُقامي
فتفهَّم ما قلته و تحكَّم * في التغاضي ان شئت او في الملام
ثم قال انا عريد * و انت رِعْديد * وبيننا بَوْنٌ بعيد * ثم
ردَّعني و انطلق * و زَرَدني نظرةً من ذي علَق *

المقامة السادسة والثلثون الملطية

اخبر الحارث بن همام قال انَخْت بمَلْطِيَّة مَطِيَّة البين * و حقيبتي
مَلْأى من العين * فجعلت هجّيراي * مذ القيت بها عصاي *
ان اتورد مُوارد المرح * و اتصيَّد شَوارِد المُلَح * فلم يَفُتني بها منظر
و لا مسمع * ولا خلا مني ملعب و لا مَرْتع * حتى اذا لم يبق
لي فيها مأرَب * و لا في الثواء بها مَرْغَب * عمدتُ لانْفاق الذهب *
في ابتياع الاهَب * فلما اكملت الاعْداد * و تهيَّأ الظعن منها
او كاد * رأيت تسعة رهط قد سبأوا قهوة * و ارتبأوا زِبرةً *
و دمائثُهم قيد الالحاظ * و نكاهتهم حلْوة الالفاظ * فنحوتهم طلبا
لمُدامتهم * لا لمُدامتهم * و شعفا بممازجتهم * لا بزُجاجتهم * فلما
انتظمت عاشرهم * و اضحيت مُعاشرهم * القيتهم ابناء علّات *
و قذائف فلوات * الا ان لُحمة الادب * قد الّفت شملهم ألفة
النسب * و سارت بينهم في الرتَب * حتى لاحوا مثل كواكب
الجوزاء * و بدَوْا كالجملة المتناسبة الاجزاء * فابهجني الاهتداء
اليهم * و احمدت الطالع الذي اطلعني عليهم * و طفقت أفيض
بقدحي مع قداحهم * و أستشفي برياحهم لا براحهم * حتى
ادَّتنا شُجون المفارضة * الى التحاجي بالمقايضة * كقولك اذا
عنَيْت به الكرامات * ما مثل النوم فات * فانشأنا نجلو السُّها

و القمر * و نَجْنى الشوك و الثمر * و بينا نحن نَنشُرُ القَشيب و الرَّثّ * و ننشُل السمين و الغثّ * طلع علينا شيخ قد ذهب جِبره و سِبره * و بقي خُبره و سَبْره * فمَثَل مُثولَ من يسمع و ينظر * و يلتقط ما ننثُر * الى ان نُفضت الاكياس * و حَصْحَصَ الياسُ * فلما رأى إجبال القرائح * و إكداء الماتح و المائح * جمع اذياله * و ولّانا قذاله * و قال ما كل سوداء تمرة * و لا كل صهباء خمرة * فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالاعواد * و ضربنا دون وجهته بالاسداد * و قلنا له إن دواء الشَّقّ ان يُحاص * و الا فالقصاص القصاص * فلا تطمَع في ان تجرَح * و تُنفِر الفتق و تسرح * فلوى عنانه راجعا * ثم جَثَم بمكانه راصعا * و قال اما اذا استنزلتموني بالبحث * فساحكم حكم سليمان فى الحرث * اعلموا يا ذوي الشمائل الادبيَّة * و الشَمول الذهبيَّة * ان وضع الاُحجيَّة * لامتحان الالمعيَّة * و استخراج الخبيَّة الخفيَّة * و شرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقيَّة * و الفاظ معنويَّة * و لطيفة ادبيَّة * فمتى نافت هذه النَّمط * فاهت السقَط * و لم تدخل السفَط * و لم اركم حافظتم على هذا الحدود * و لا ميزتم بين المقبول و المردود * فقلنا له صدقتَ فكلْ لذا من لُبابك * و افض علينا من عُبابك * فقال افعل لئلا يرتاب المُبطلون * و يُظنُّوا بي الظنون * ثم قابل ناظُورة القوم و قال * نظم

يا من سما بذُكاء * في الفضل وارى الزِّناد
ما ذا يماثل قولي * جُوع أُمدَّ بزاد

ثم ضحك الى الثاني و انشد * نظم

يا ذا الذي فاق فضلا * و لم يبدِّنسه شَين

ما مثل قول المحاجي * ظهر اصابته عين

ثم لحظ الثالث وانشا يقول * نظم

يا من نتائج فكره * مثل النقود الجائزه
ما مثل قولك للذي * حاجيت صادف جائزه

ثم أتلع الى الرابع وقال * نظم

ايا مستنبط الغامض * من لغز و اضمار
الا اكشف لي ما مثل * تناول الف دينار

ثم رمى الخامس ببصره وانشد * نظم

يا ايها الالمعي * اخو الذكاء المنجلي
ما مثل اهمل حلية * بين ثديت وعجل

ثم التفت لفت السادس وقال * نظم

يا من تقصر عن مدا * ه خطا مجاريه وتضعف
ما مثل قولك للذي * اضحى يحاجيك اقفف اقفف

ثم خاج السابع بحاجبه وانشد * نظم

يا من له فطنة تجلت * ورتبة في الذكاء جلت
بين فمارلت ذا بيان * ما مثل قولي الشقيق اقلت

ثم استنصت الثامن وانشد * نظم

يا من حدائق فضله * مطلولة الازهار غضه
ما مثل قولك للمحا * جي ذي الحجى ما اختار فضه

ثم حدج التاسع ببصره وقال * نظم

يا من يشار اليه في * القلب الذكي وفي البراعه
اوضح لنا ما مثل قو * لك للمحاجي دس جماعه

قال الراوي فلما انتهى الي * هز منكبي * وقال * نظم

يا من له النكت التي * يُشجى الخصوم بها ويبكت
انت المبين فقل لنا * ما مثل قولي خالي اسكت

ثم قال قد انهلتكم و امهلتكم * وان شئتم ان اعلّكم علالتكم * قال فالجانا لهبُ العلل * الى استسقاء العلل * فقال لستُ كمن يستأثر على نديمه * ولا ممن سئمه في اديمه * ثم كرّ على الاول وانشد * نظم

يا من اذا اشكلَ المعمّى * جلّته افكاره الدقيقه
ان قال يوما لك المحاجي * خُذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثاني و قال * نظم

يا من بدا بيانه * عن فضله مُبيّنا
ما ذا مثال قولهم * حمارُ وحشٍ زُيّنا

ثم آوحى الى الثالث بلحظه و قال * نظم

يا من غدا في فضله * و ذكائه كالاصمعي
ما مثل قولك للذي * حاجيت انفق تقمعَ

ثم حملق الى الرابع و قال * نظم

يا من اذا ما غوّص * دجا انار ظلامه
ما ذا يماثل قولي * استنشِ ريحَ مُدامه

ثم أومض الى الخامس وانشد * نظم

يا من تنزّه فهمه * عن ان يُروّى او يشكّى
ما مثل قولك للذي * اضحى لحاجي غطّ هلكى

ثم اقبل قِبَل السادس و انشأ يقول * نظم

يا اخا الفطنة التي * بانَ فيها كماله
سار بالليل مدةً * ايُّ شئ مثاله

ثم نحا بصره الى السابع و قال * نظم

يا من تحلّى بفهم * اقام فى الناس سوقه
لك البيان فبيّن * ما مثل احببَ فروقه

ثم قصد قصد الثامن و انشد * نظم

يا من تبوّء ذروةً * فى الفضل فاقت كل ذروه
ما مثل قولك اعط ابـ * ـريقا يلوح بغير عُروه

ثم ابتسم الى التاسع و قال * نظم

يا من حوى حُسنَ الدرا * يةِ و البيان بغيرشك
ما مثل قولك للمُحا * جي ذي الذّكاء الدّورُ ملكي

ثم قبض بجُمعه على رُدني و قال * نظم

يا من سما بثقوب فطنته * فى المشكلات و نور كوكبه
ما ذا مثال صفيرَ جحفلة * بيّنه تبيانا يتمّ به

قال الحارث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه * و طالبنا بكشف معناه * قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان * و لا لنا بحلّ هذه العُقد يدان * فان ابنتَ * منّت * و ان كتمتَ * غممت * فظل يُشاور نفسه * و يُقلّب قدحيه * حتى هانَ بذل الماعون عليه * فاقبل حينئذ على الجماعة و قال سأعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون * و لا ظننتم انكم تُعلّمون * فأوكُوا عليه الاوعية * و روّضوا به الاندية * ثم اخذ في تفسيرٍ صَقَل به الاذهان * و استفرغ معه الاردان * حتى آضت الافهام انورَ من الشمس * و الاكمام كان لم تغنَ بالامس * و لما هم بالمفرّ * سُئل عن المَقرّ * فتنفّس * كما تتنفّس الثكول * ثم انشأ يقول * نظم

كل شِعب لي شِعبُ * و به ربعي رحبُ

غيـــرَ اني بسَـــروجٍ * مســـتهام القلب صَبُّ
هي ارضى البكـــرو الجـــوّ الذي منـــه المَهَبُّ
و الى روضتهـــا الغـــنّاء دون الروض اَصبُـــو
ما حلا لي بعدها حُـــلو و لا اعذَوذبَ عَذْب

قال الراوي فقلت لاصحابي * هذا ابو زيد السروجي * الذي ادنى مُلَحه الاَحاجي * اخذتُ اَصفُ لهم حسن تَوشيَته * و انقيادَ الكلام لمشيَّته * ثم التفتُّ فاذا به قد طمَر * و نآء بما قمَر * فعجبنا مما صنَع * و لم ندرِ اَين سكَع و صقَع *

تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة

اما جُوعٌ اَمدَّ بزاد فمثله طَوامير * و اما ظَهر اصابته عين فمثله مَطاعين * و اما صادَف جايزة فمثله الفاصلة * و اما تناوَل اَلْف دينار فمثله هاديه * و اما اهمَل حلية فمثله الغاشيه * و اما اكفُف اُكفُف فمثله مَهْمَه * و اما الشقيق افلتَ فمثله الاَخطار * و اما ما اختار فضة فمثله ابارِقَة لان الرِقَةَ من اسماء الفضة و قد نطق بها النبيُّ صلى الله عليه و سلم فقال في الرِقَة رُبع العُشر * و اما دُسّ جماعةً فمثله طافيه * و اما خاليّ اسكُت فمثله خالصه لانك اذا ناديتَ مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء و اثباتها ساكنةً و متحركةً و قد حذف هاهنا حرف النداء كما حذفهَ في اصل الاُحجِيَّة * وَصه بمعنى اُسكتْ * و اما خُذ تلك فمثله(†) هاتيك * و اما حمار وحش زِيَنًا فمثله فرازين لان الفرا حمار الوحش و منه الخبَر كل الصيد في جوف الفرا * و اما قوله انفق تقَمَّع فمثله منتقم لان الامر من مانَ يمُون مُن و مضارع وَقَمت تَقِم * و اما

(†) فمعناه *

استنشِ ريح مدامة فمثله رَحراح لان الامر من استدعاء الرائحة رَحْ * و اما غَطّ هلكى فمثله صُنْبُور لان البُور هُم الهلكى و فى القرآن كنتم قوما بُورا * و اما سار بالليل مدة فمثله سراحِين * و اما أحبب فرُوقة فمثله مقلاع لان الامر من رَمِق يَمِق مِق و اللاع الجبان يقال فلان هاعٌ لاعٌ اذا كان جبانا جَزُوعا * و اما اعَطِ ابريقا يلوح بغير عُروة فمثله أسكُوب لان الأوس العطاء و الامر منه أسْ و الكُوب الابريق بغير عُروة * و اما التور ملكي فمثله اللآلي لان اللأى طى وزن القنا هو ثور الوحش * و اما صفير جحفلة فمثله مُكاشفة لان المُكا الصفير قال الله تعالى و ما كان صلواتُهم عند البيت الا مُكاءً و تصديةً و الاصل فى المُكا المدّ و لكنه قصره في هذه الأحجيّة كما حذف همزة الفرا في أحجيّته و كلا الامرين من قصر الممدود و حذف همزة المهموز جائز *

المقامة السابعة و الثلثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال أصعدتُ الى صعدةَ * و انا ذو شَطاط يحكى الصعدةَ * و اشتداد يبدُر بنات صعدة * فلما رأيت نضرتها * و رَيعتُ خُضرتَها * سألت نَحارير الرواة * عمن تحويه من السراة * و معادن الخيرات * لاتخذه جِذْوةً فى الظُّلمات * و نجدةً فى الظلامات * فنُعتَ لي قاضٍ بها رَحيب الباع * خَصيب الرِّباع * تميميٌّ النسَب و الطباع * فلم ازل اتقرَّب اليه بالالمام * و اتنفَّق عليه بالاجمام * حتى صرتُ صدى صوته * و سلمانَ بيته * و كنت مع اشتيار شهده * و انتشاق رَنْده * اشهد مَشاجِر الخُصوم * و آسفريين المعصوم منهم و الموصوم * فبينما القاضي جالس للاسجال * في

يوم المحفل والاحتفال * اذ دخل شيخ بالي الرياش * بادي الارتعاش * فتبصّر المحفل تبصّر نقّاد * ثم زعم أنّ له خصما غير مُنقاد * فلم يكن الا كضوء شرارة * اووحي اشارة * حتى أُحضر غلام * كأنه ضِرغام * فقال الشيخ ايّد الله القاضي * وعصمه من التغاضي * ان ابني هذا كالقلم الرديّ * والسيف الصدئ * يجهل اوصافَ الانصاف * ويرضع (†) اَخلاف الخلاف * ان اقدمتُ أحجم(‡) * واذا اعريت أعجم * وان أذكيتُ أخمدَ * ومتى شويت رَمَد * مع اني كفلته مُذ دَبّ * الى ان شبّ * وكنت له الطف مَن ربّى وربّ * فاكبر القاضي ما شكا اليه * واطرف به من حواليه * ثم قال انهد ان العُقوق احد الثُكلَين * ولَرُبّ عُقْم اقرّ للعين * فقال الغلام * وقد اَمعضه هذا الكلام * والذي نصّب القضاة للعدل * وملّكهم أعنّة الفضل والفصل * انه ما دعا قط الا امّنتُ * ولا ادعى الا آمنت * ولا لبّى الا وأحرمت * ولا أورى الا و اَضرمت * بيدٍ اده كمن يبغي بَيض الانوق * ويطلب الطيران من النوق * فقال له القاضي وبم أعنتك * وامتحن طاعتك * قال انه مذ صفر من المال * ومُنيَ بالاعتال * يسومني ان التمّظ بالسؤال * واستمطر سُحب النوال * ليفيض شربه الذي غاض * ويُنجبر من حاله ما انهاض * وقد كان حين اخذني بالدّرس * وعلّمني ادب النفس * اشرب قلبي ان الحرص مَتعبة * والطمع معيبة (§) والشره مَتخمة * والمسئلة ملأمة * ثم انشدني من فلق فيه * ونحت قوافيه * نظم

ارضَ بادنى العيش واشكر عليه * شكـــرَ مَن القُلّ كثيـرٌ لديه

(†) يرتضع (‡) اجحم (§) معتبة *

و جانب العرض الذي لم يزل * يحطّ قدر المتراقي اليه
و حام عن عرضك و استبقه * كما يحامي الليث عن لبدتيه
و اصبر على ما ناب من فاقة * صبر أولى العزم و أغمض عليه
و لا تسرق ماء المحيّا و لو * خوّلك المسئول ما في يديه
فالحرّ من ان قذيت عينه * أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
و من اذا اخلق ديباجه * لم ير ان يخلق ديباجتيه
قال فعبس الشيخ و اكفهرّ * و اندرأ على ابنه و هرّ * و قال له صه
يا عُقق * يا من هو الشجى و الشرق * ويلك اتعلّم أمّك البضاع *
و ظئرك الارضاع * لقد تحكّكت العقرب بالافعى * و استنّت
الفصال حتى القرعى * ثم كانه ندم على ما فرط من فيه * و حدته
المقة على تلافيه * فرنا اليه بعين عاطف * و خفض له جناح
مُلاطف * و قال ويک يا بُنيّ ان من أمر بالقناعة * و زُجر عن
الضراعة * هم ارباب البضاعة * و اولو المكسبة بالصناعة * فاما
ذوو الضرورات * فقد استثنيَ بهم في المحظورات (†) * و هَبْک
جهلت هذا التاويل * و لم يبلغک ما قيل * الست الذي
عارض اباه * اذ قال و ما حاباه * نظم

لا تقعدنّ على ضُرّ و مَسغبة * لكي يقال عزيز النفس مُصطبرُ
و انظر بعينک هل ارض مُعطّلة * من النبات كارض حقّها الشجرُ
فعدّ عما يُشير الاغبياء به * فاي فضل لعود ما له ثمرُ
و ارحل ركابک عن رَبع ظمئت به * الى الجناب الذي يهمي به المطرُ
واستنزل الريّ من درّ السحاب فان * بُلّت يداک به فليهنک الظفرُ
و ان رُددت فما في الرد منقصة * عليک قد ردّ موسى قبل و الخضرُ

(†) فقد سوغوا المحظورات *

فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى و فعله * و تحلّيه بما ليس من اهله * نظر اليه بعين غضبى * و قال اتميميًّا مرة و قيسيًّا اخرى * اُفٍّ لمن ينقض ما يقول * و يتلوّن كما يتلون الغول * فقال الغلام و الذي جعلك مفتاحا للحق * و قفّاحا بين الخلق * لقد انسيتُ منذ اسيتُ * و صدئ ذهني منذ صديتُ * على الله اين الباب المُفتَح * و العطاء السَّرِح * و هل بقي من يتبرّع باللُّها * و اذا استُطعِم يقول ها * فقال له القاضي مه فمع الخواطئ سَهم صائب * و ما كل برق خالب * فميز البروق اذا شِمتَ * و لا تشهد الا بما علمتَ * فلما تبين للشيخ ان القاضي قد غضب للكرام * و اعظم تبخيل جميع الانام * علم انه سينصر كلمتَه * و يُظهِرُ اكرومتَه * فما كذّب ان نصَب شبكتَه * و شوى في الحريق سمكتَه * و انشاء يقول * نظم

يا ايها القاضي الذي علمه * و حلمه ارسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله * ان ليس في الدنيا اخو جدوى
و ما درى انك من معشر * عطاءهم كالمَنّ و السلوى
فجُد بما يثنيه مستخزيا * مما افترى من كذب الدعوى
و انثني جَذلانَ اُثني بما * اوليت من جدوى و من عدوى

قال فهش القاضي لقوله * و اجزل له من طوله * ثم لفَتَ وجهه الى الغلام * و قد نصَل له اسهُمَ الملام * و قال له اَرأيت بُطْلَ زعمك * و خطأَ وهمك * فلا تعَجْل بعدَها بذم * و لا تنحَت عودا قبلَ عجْم * و اياك و تأنيبك * عن مطاوعة ابيك * فانك ان عدت تعُقّه * حاق بك منّي ما تستحقّه * فسُقِطَ الفتى في يده * و لان بحقو والده * ثم نهض يُحفِد * و تبِعَه الشيخُ يُنشِد * نظم

من ضاعه او ضاره دهره * فليقصد القاضي في بعده
سماحه ازرى بمن قبله * و عدله اتعبَ من بعده

قال الراوي فحرتُ بين تعريف الشيخ و تنكيره * الى ان احرورف لمسيره * فداجيت النفس باتباعه * و لو الى رباعه * لعلّي اظهر على اسرارة * و اعرف شجرة ناره * فنبذت العلق * و انطلقت حين انطلق * و لم يزل يخطو و اعتقب * و يبعد و اقترب * الى ان ترأى الشخصان * و حق التعارف على الخلصان * فابدى حينئذ الاهتشاش * و رفع الارتعاش * وقال من كاذب اخاه فلا عاش * فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة * و لا حُوِّل حالة * فبادرت اليه لاصافحه * و استعرف سالمه و بارحه * فقال درنك ابن اخيك البرّ * و تركني و مرّ * فلم يَعُدْ الفقير ان افتّر * ثم فركما فرّ * فعدت و قد استبنتُ عينهما * و لكن اين هما *

المقامة الثامنة و الثلثون المروية

حكى الحارث بن همام قال حُبِّبَ الي منذ سعتْ قدمي * و نفَشَ قلمي * ان اتخذ الادب شرعة * و الاقتباس منه نجعة * فكنت اتقبّ عن اخباره * و خزنة اسراره * فاذا الفيت منهم بُغية الملتمس * و جذرة المقتبس * شددت يدي بغرزه * و استنزلت منه ركوة كنزه * على اني لم القَ كالسروجي في غزارة السَّحب * و وضع الهناء مواضع النَّقب * الا انه كان اسير من المثل * و اسرح من القمر في الدُّقل * و كنت ابوئ ملاقاته * و استحسان مقاماته * ارغب في الاغتراب * و استعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب * فلما تطوَّحتُ الى مرو * و لا غرو * بشّرني بملقاه

زجر الطير * و الفال الذي هو يريد الخير * فلم ازل انشده في المحافل * و عند تلقي القوافل * فلا اجد عنه مخبرا * و لا ارى له اثرا و لا عِثْيَرا * حتى غلب اليأس الطمع * و انزوى التأميل و انقمع * فاتّى لذات يوم بحضرة والي مَرو * و كان ممن جمع الفضل و السرو * اذ طلع ابو زيد في خَلَق مملاق * و خُلُق مَلّاق * فحيّى الوالي تحية المحتاج * اذا لقِيَ ربَّ التاج * ثم قال له اعلم رُقيت الذم * و كُفيت الهم * أن من عُذقت به الاعمالُ * أعلقتْ به الامالُ * و من رُفعت له الدرجات * رُفعت اليه الحاجات * و ان السعيد من اذا قدَرَ * و واتاه القَدَرُ * ادّى زكوةَ النِّعم * كما يؤدّي زكوةَ النَّعم * و التزم لاهل الحُرم * كما يلتزم للاهل و الحرم * و قد اصبحتَ بحمد الله عميدَ مصرك * و عمادَ عصرك * تُزجى الركائبُ الى حرمك * و تُرجي الرغائب من كرمك * و تُنزل المطالب بساحتك * و تُستنزَلُ الراحة من راحتك * و كان فضلَ الله عليك عظيما * و احسانه لديك عميما * ثم اني شيخ تَرِبَ بعدَ الاتراب * و عدم الاعشابَ حين شاب * قصدتك من مَحْلة نازحة * و حالة رازحة * آمُلُ من بحرك دُفعة * و من جاهك رِفعة * و التأميل افضل و سائل السائل * و نائل النائل * فاوجب لي ما يجب عليك * و احسن كما احسن الله اليك * و اياك ان تلويَ عذارك * عمّن ادارك * و أمّ دارك * او تقبض راحك * عمن امتاحك * و امتار سماحك * فوالله ما مَجَدَ من جمد * ولا رشد من حشد * بل اللبيب من اذا وجدَ جاد * و إن بدأ بعائدة عاد * والكريم من اذا استُوهبَ الذهب * لم يهَبْ ان يهَبَ * ثم امسك يرقب أكل غرسه * و يرصد مطيبة نفسه * واحبَّ الوالي

ان يعام هل نُطفتَه ثمَد * ام لقريحته مدد * فاطرق يروّي في
استيراء زنده * و استشفاف فرنده * و التبس على ابي زيد سرّ
صَمْتَته * و سببُ ارجاء صلته * فتوغّر غضبا * و انشد مُقتضبا * نظم
لا تحقرنّ ابَيْتَ اللعنَ ذا ادبٍ * لان بدا خلَقَ السربال سُبْرُوتا
و لا تُضع لاخي التاميل حرمتَه * اكان ذا لَسَنٍ ام كان سكّيتا
و انفخ بعُرفك من وافاك مُختبطا * وانعش بغوثك من الفيت منكوتا
فخيرُ مال الفتى مالٌ اشادَ له * ذكرا تناقَلَه الركبانُ او صيتا
و ما على المشتري حمدا بموهبة * غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا
لولا المُروّةُ ضاق العذرُ عن نطقٍ * اذا اشرأبّ الى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد و من * حُبّ السماح ثنى نحو الغنى ليتا
و ما تنشّق نشرَ الشكر ذو كرم * الا و ازري بنشر المسك مفقوتا
والحمد والبخل لم يُقضَ اجتماعهما * حتى لقد خيل(†) ذا ضبّا و ذا حوتا
والسمح في الناس محبوب خلائقُه * و الجامد الكف ما ينفك ممقوتا
و للشحيح على امواله علـل * يوسعنَـه ابـدا ذمّا و تبكيتا
فجُد بما جمعتْ كفّاك من نشب * حتى يُرى مجتدي جدواك مبهوتا
و خُذ نصيبك منه قبلَ رائعةٍ * من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر انكد من ان تستمرّ به * حالٌ تكرّهتَ تلك الحال ام شئتا
فقال له الوالي تالله لقد احسنت * فاي ولد الرجل انت *

فنظر اليه عن عُرْض * ثم انشد و هو مُغْضٍ * نظم

لاتسـأل المرءَ مَن ابوه و زُرْ * خلائه ثم صلْـه او فاصْرِم
فما يشين السلائف حين حلا * مذاقُها كونُها ابنَه الحِصْرِم

قال فتنبّه الوالي لبيانه الفاتن * حتى احلّه مقعد الخاتن *

(†) لقد قيل *

ثم فرض له من سيوب ذيله * ما آذن بطول ذيله * و قصر ليله * فنهض عنه بردن ملان * و قلب جذلان * و تبعته حاذيا حذوه * و قافيا خطوه * حتى اذا خرج من بابه * و فصل عن غابه * قلت له هنيئا بما اوتيت * و مليئا بما اوليت * فاسفر وجهه و تلالا * و والى شكرا لله تعالى * ثم خطر اختيالا * و انشد ارتجالا * نظم

من يكن نال بالحماقة حظا * او سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعت لابفضولي * و بقولي ارتفعت لا بقيولي

ثم قال تعسا لمن جدب الادب * و طوبى لمن جد فيه و دأب * ثم ودعني وذهب * و اودعني اللهب *

المقامة التاسعة والثلثون العمانية

حدث الحارث بن همام قال لهجت منذ اخضر ازاري * و بقل عذاري * بان اجوب البراري * على ظهور المهاري * انجد طورا * و اسلك تارة غورا * حتى فليت المعالم و المجاهل * و بلوت المنازل و المناهل * و ادميت السنابك و المناسم * و انضيت السوابق و الرواسم * فلما مللت الاصحار * و قد سنح لي ارب بصحار * ملت الى اختبار القيار * و اختيار الفلك السيار * فنقلت اليه اسوادي * و استصحبت زادي و مزودي * ثم ركبت فيه ركوب حاذر نافر * عاذل لنفسه و عاذر * فلما شرعنا في القلعة * و رفعنا الشرع للشرعة * سمعنا من شاطئ المرسى * حين دجي الليل و اغسى * هاتفا يقول يا اهل ذا الفلك القويم * المزجى في البحر العظيم * بتقدير العزيز العليم * هل ادلكم

على تجارة تُنجيكم من عذاب اليم * فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل * و ارشدنا كما يرشدُ الخليلَ الخليل * فقال أتستصحبون ابنَ سبيل * زادُه في زَبيل * و ظلُّه غيرُ ثقيل * ما يبغي سوى مقيل * فاجعلنا على الجنوح اليه * و ان لانبخل بالماعون عليه * فلما استوى على الفُلك * قال اعوذ بمالك الملك * من مسالك الهُلك * ثم قال انا رُوينا في الاخبار * المنقولة عن الاحبار * ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا * حتى اخذ على العلماء ان يعلموا * و إنَّ معي لعُوذة * عن الانبياء ماخوذة * و عندي لكم نصيحة * براهينها صحيحة * و ما وسعني الكتمان * و لا من خيمي الحرمان * فتدبَّروا القولَ و تفهَّموا * و اعملوا بما تُعلَّمون و علِّموا * ثم صاح صيحة المُباهي * و قال اتدرون ماهي * هي و الله حِرزُ السَّفْر * عند مسيرهم في البحر * و الجُنَّةُ من الغم * اذا جاش موج اليَمّ * و بها استعصم نوحٌ يوم الطوفان * و نجا و من معه من الحيوان * علي ما صَدَعَتْ به آيُ القرآن * ثم قرأ بعد اساطير تلاها * و زخارفَ جلاها * و قال اركبوا فيها * بسم الله مُجْراها و مُرساها * ثم تنفَّس تنفُّسَ المغرمين * اوعباد الله المكرمين * و قال اما انا فقد قمتُ فيكم مقام المُبلِّغين * و نصحتُ لكم نُصح المبالغين * و سلكت بكم (†) محجة الراشدين * فاشهد اللهم و انت خير الشاهدين * قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه البادي الطَّلارة * و عجَّتْ له اصواتنا بالتلارة * و آنس قلبي من جَرْسه * معرفةَ عين شمسه * فقلتُ له بالذي سخَّر البحر اللُّجّي * السَتَ السروجي * فقال الي بلى * و هل يخفي ابن جلا * فاحمدت حينئذ

(†) ودعوتكم الى *

السفر * وسفرتُ عن نفسي اذ سفر * ولم نزل نسير و البحر زهو * و الجو صحو * و العيش صفو * و الزمان لهو * و انا اجد للقيانه * وجد المُذري بعقيانه * و افرح بمناجاته * فرح الغريق بمُنجياته * الى ان عصفت الجَنوب * وعسّفت الجُنوب * و نسيَ السفرُ ما كان * و جاء هم الموج من كل مكان * فمالنا لهذا الحدث الثائر * الى احدي الجزائر * نُريح و نستريح * ريثما تواتي الريح * فتمادى (†) اعتياصُ المسير * حتى نفدَ الزادُ غير اليسير * فقال لي ابو زيد انه لن يُحرز جَنى العُود بالقُعود * فهل لك في استثارة السُّعود بالصُّعود * فقلت له اني لك لاتبع من ظلك * و اطوع من نعلك * فنهضنا الى الجزيرة * على ضعف من المريرة * لنركضَ في امتراء المِيرة * وكلانا لا يملك (‡) فتيلا * و لا يهتدي فيها سبيلا * فاقبلنا (§) نجوس خلالها * و نتفيأ ظلالها * حتى افضينا الى قصر مشيد * له باب من حديد * و دونه زُمرة من عبيد * فناسمناهم لنتخذهم سُلّما الى الارتقاء * و ارشيةً للاستقاء * فالفينا كلامنهم في مسك كسير * و كرب اسير * فقلنا ايتها الغلمة * لِمَ هذي الغُمّة * فلم يُجيبوا النداء * ولا فاهوا ببيضاءَ ولا سوداء * فلما رأينا نارهم نار الحُباحب * و خبرَهم كسراب السباسب * قلنا شاهت الوجوه * و قبح اللُّكَعُ و من يرجوه * فابتدر خادم قد علته كبرة * و عرته عبرة * فقال يا قوم لا توسعونا سبًّا * و لا توجعونا عتبا * فانا لفي حزن شامل * و شغل عن الحديث شاغل * فقال له ابو زيد نفّس خناق البثّ * و انفثْ ان قدرت على النفث * فانك ستجد مني عَوّانا كافيا * و وصّافا شافيا * فقال اعلم ان رب هذا القصر هو

(†) وتمادى (‡) و ما فيها من يملك (§) فلم نزل *

نطبُ هذه البقعة * و شاهُ هذه الرُّقعة * إلا انه لم يخلُ من كمّد * لخلوه من ولد * و لم يزل يستكوم المغارس * و يتخير من المفارش (§) النفائس * الى ان بُشّر بحمل عقيلة * و آذنتْ رَقْلَتُه بفسيلة * فنُذِرت النذور (†) * و أحصيت الايام و الشهور * و لما حان النتاج * و صيغ الطوق (‡) و التاج * عسُر مخاض الوضع * حتى خيف على الاصل و الفرع * فما فينا من يعرفُ قرارا * و لا يطعَم النوم الا غرارا * ثم اجهَشَ بالبكاء و اعول * و ردد الاسترجاع و طوّل * فقال له ابو زيد اسكن يا هذا و استبشر * و ابشر بالفرج و بَشّر * فعندي عزيمه الطّلق * التي انتشر سمعُها في الخلق * فتبادرت الغلمة الى مولا هم * متباشرين بانكشاف بلوا هم * فلم يكن الا * كلا و لا * حتى برز مَن هلّم بنا اليه * فلما دخلنا عليه * و مَثَلْنا بين يديه * قال لابي زيد ليهنك مذالُك * ان صَدق مقالُك * و لم يفِل فالُك * فاستحضر قلما مبريا * و زَبَدا بحريا * و زعفرانا قد دِيفَ * في ماء ورد نظيف * فما ان رجع النفس * حتى احضر ما التمس * فسجد ابو زيد و عفّر * و سبّح و استغفر * ثم اخذ القلم و استحفر * و كتب على الزَّبَد بالمزعفر * نظم

أيُّهذا الجنينُ اني نصيح * لك والنصح من شروط الدين
انتَ مستعصمٌ بكنٍّ كنينٍ * و قرارٍ من السكون مكين
ماترى فيه ما يروعك من الـ * ـف مُداج و لا عدُوٍّ مبين
فمتى ما برزتَ منه تحولـ * ـت الى منزل الاذى والهُون
و ترا أي لك الشقاء الذي تلـ * ـقى فتبكى له بدمع هَتُون
فاستدم عيشك الرغيدَ وحاذر * ان تبيع الحقوق بالمظنون

(§) و يتخير المفارش * (†) فنذرت له النذور * (‡) و صيغ له الطوق *

و احترس من مُخادع لك يَرقيـ*ـك ليُلقيك في العذاب المُهين
و لَعمْرى لقد نصحتُ و لكن * كم نصيح مشبَّـــهٍ بظنين

ثم انه طمَسَ المكتوب على غفلة * و تَفَل عليه مائة تفلة * و شد الزَّبَدَ في خرقة حرير * بعد ما ضمخها بعبير * و امر بتعليقها على فخذ الماخض * و ان لا تعلَق بها يدُ حائض * فلم يكُ الا كذُراق شارب * او فُواق حالب * حتى اندلَق شخصُ الولد * لِخصِّيصَي الزَّبد * بقدرة الواحد الصمد * فامتلا القصرُ حُبورا * و استُطير عميده و عبيدُه سُرورا * و احاطت الجماعة بابي زيد تُثني عليه * و تُقبِّل يديه * و تتبرَّكُ بمساس طمريه * حتى خُيِّلَ الىَّ انه القرنيُّ اويس * او الاسديُّ دُبيس * ثم انثال عليه من جوائز المجازاة * و رسائل الصِّلات * ما قيَّضَ له الغنى * و بيَّضَ وجهَ المُنى * و لم يخلُ ينتابه(†) الدخْل * مذ نُتِجَ السَّخْل * الى ان اعطى البحرُ الامان * و تسنَّى الاتمامُ الى عُمان * فاكتفى ابو زيد بالنُّقلة * و تأهَّب للرحلة * فلم يسمح الوالي بحركته * بعد تجربة بركته * بل اوعز بضمة الى خزانته * و ان تُطلق يدُه في خزانته * قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال * الى حيث يكتسب المال * انحيت عليه بالتعنيف * و هجَّنتُ له مُفارقة المألف و الاليف * فقال اليك عني * و اسمع مني * نظم

لا تصـبُـوَنَّ الى وطـنْ * فيـــه تُضـــام و تمتهَـــنْ
و ارحَل عن الدار التي * تُعلـــي الوهادَ على القُنن
و اهرَبْ الى كِنٍّ يقي * و لو انه حِضْنـــا حَضَـــن
و اربأ بنفسك ان تقيـ*ـم بحيـثُ يَغشاك الدَّرن

(†) و لم يخل من ان ينقابه *

وجُب البلاد فأيّها * ارضاك فاختره وطن
ودع التذكّر للمعا * هد والحنينَ الى السكن
واعلم بان الحرَّ في * اوطانه يلقى الغبن
كالدر في الاصداف يسـ * ـتزرى ويُبخَس في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت * وحبّذا انت لو اتبعت * فارضحت له معاذيري * وفلت له كن عذيري * فعذر واعتذر * وزوّد حتى لم يذر * ثم شيّعني تشييع الاقارب * الى ان ركبت في القارب * فودعته وانا اشكو الفراق واذمّه * واودّ لو كان هلك الجنين وامّه *

المقامة الاربعون التبريزية

اخبر الحارث بن همام قال ازمعت التّبريزَ * من تَبْريزَ * حين نبتْ بالذليل والعزيز * وخلَتْ من المُجير والمُجيز * فبينا انا في اعداد الاهبة * وارتياد الصحبة * لقيت ابا زيد السروجي ملتفًّا بكساء * ومحتفًّا بنساء * فسالته عن خَطْبه * الى اين يسرُبُ مع سِرْبه * فأومأ الى امرأة منهنّ باهرةِ السُّفور * ظاهرةِ النُّفور * وقال تزوجتُ هذه لتؤنسني في الغربة * وترخّص عني قَشَفَ العُزْبة * فلقيتُ منها عَرَقَ القِربة * تمطلُني بحقّي * وتكلفني فوق طوقي * فانا منها نِضْو رجيً * وحِلْف شجوٍ وشجيً * وها نحن قد تساعينا الى الحاكم * ليضرب على يد الظالم * فان انتظم بيننا الوفاق * والا فالطلاق والانطلاق * قال فملتُ الى انْ اَخبُرَ لمن الغلب * وكيف يكون المنقلب * فجعلت شغلي دَبْرَ اُذني * وصِحْبتُهما وان كنتُ لا اُغني * فلما حضرا القاضيَ وكان ممن يرى فضلَ الامساك * ويَضِنُّ بنُفاثةِ السِّواك * جثا

ابو زيد بين يديه * و قال أيَّد الله القاضي و احسن اليه * ان مطيَّتي هذه ابيَّةُ القياد * كثيرة الشِّراد * مع اني اطوَعُ لها من بَنانها * و احنى عليها من جَنانها * فقال لها القاضي ويحكِ ا ما علمتِ ان النشوز يُغضب الربَّ * و يوجبُ الضرب * فقالت انه ممن يدور خَلْف الدار * و ياخذ الجارَ بالجار * و ليس لي على ذلك اصطبار * فقال له القاضي تَبًّالك ا تبذُر في السِّباخ * و تستفرخُ حيثُ لا إفراخ * أغْرُبْ عني لا نعمَ عَوْنُك * و الا آمن خوفُك * فقال ابو زيد انها و مرسِل الرياح * لاكذَبُ من سَجاح * فقالت بل هو و من طرَّق الحمامة * و جنَّح النَّعامة * اكذَبُ من ابي ثُمامة * حين مَخْرَق باليمامة * فزفَر ابو زيد زفيرَ الشُّواظ * و استشاط إستشاطَة المغتاظ * و قال لها ويلك يا دَفارِ * يا فجارِ * يا غُصَّةَ البَعْل و الجار * ا تعمِدينَ في الخلوة لتعذيبي * و تُبدينَ في الحَفْلة تكذيبي * و قد علمتِ انى حين بَنَيتُ عليكِ * و رنوتُ اليكِ * الفيتُكِ اقبحَ من قِرْدة * و ايبَسَ من قِدَّة * و اخشنَ من لِيفَة * و انتنَ من جيفة * و اثقَل من هَيضَة * و اقذَر من حَيضَة * و ابرز من قِشرة * و ابرَد من قِرَّة * و احمقَ من رِجلَة * و اوسعَ من دِجلة * فسترتُ عُوارَكِ * و لم أبدِ عارَكِ * على انَّه لو حبَتْكِ شيرينُ بجمالها * و زُبيدةُ بمالها * و بِلْقيسُ بعَرْشها * و بُوزانُ بفَرْشها * و الزَّبَّاء بمُلكها * و رابعةُ بنُسْكها * و خِندَفُ بفخرها * و الخَنْساءُ بشعرها في صَخْرها * لانفتُ ان تكوني قعيدةَ رَحْلي * و طَرُوقةَ فحلي * قال فتذمَّرت المرأةُ و تذمَّرتْ * و حسَرتْ عن ساعدها و شمَّرت * و قالت له يا ألأمَ من مادِر * و آشأمَ من قاشر * و اجبنَ من صافر * و أطيشَ من طامرِ * ا ترميني بشنارِك * و تُفري

عرضي بشفارك * و انت تعلم انك احقر من قُلامة (†) *
و اعيب من بغلة ابي دُلامة * و افضح من حبقة في حَلْقَة *
و احير من بَقّة في حُقّة * و هَيْك الحَسَن في لفظه و وعظه *
و الشَّعبيّ في علمه و حفظه * و الخليل في عروضه و نحوه *
و جَريراً في غزله و هجوه * و قُسّاً في فصاحته و خطابته * و عبدَ
الحميد في بلاغته و كتابته * و ابا عمرو في قراءته و اعرابه * و ابنَ
قُريب في روايته عن اعرابه * ا تظُنّني ارضاك امامًا لمحرابي *
و حُساما لقرابي * لا و الله و لا بوّابا لبابي * و لا عصًا لجرابي *
فقال لهما القاضي اراكما شَذًا و طَبَقَة * و حِدادةً و بُنْدُقة * فاتركْ
أيُّها الرجل اللدد * و اسلُك في سبيل الجَدَد * و اما انتِ
فكُفّي عن سبابه * و قَرّي اذا اتى البيتَ من بابه * فقالت
المرأة و الله ما اسجُنُ عنه لساني * الا اذا كساني * و لا ارفع
له شِراعي * دون اشباعي * فحلف ابو زيد بالمُحرِجات (§)
الثلث * انه لا يملك سوى اطمار الرِّثاث * فنظر القاضي في
قَصصهما نظَر الالمعي * و افكر فكرة اللوذعي * ثم اقبل عليهما
بوجه قد قَطّبه * و مِجَنّ قد قلّبه * و قال ا لم يكفكما التسافُهُ في
مجلس الحُكم * و الاقدامُ على هذا الجرم * حتى ترافيتما من
فُحش المُقاذعة * الى خبث المخادعه * و ايمُ الله لقد اخطأت
استُكُما الحُفرة * و لم يُصِبْ سهمكما الثُّغرة * فانّ اميرالمؤمنين *
اعز الله ببقائه الدين * نصبني لاقضي بين الخُصَماء * لا لاقضي دين
الغرماء * و حق (‡) نعمته التي احلّتني هذا المحل * و ملّكتني
العقد و الحلّ * لئن لم توضحا لي جليّة خطبكما * و خبيّة خبّكما *

(†) احقر من قلامة فى قمامة (§) بالمُحرِجات (‡) و حق *

لأندّدنّ بكما في الامصار * و لاجعلنكما عبرة لاولى الابصار * فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع * ثم قال له سماعٍ سماع * نظم

انا السروجي و هذي عِرسي * و ليس كفوٌ البدر غير الشمس
و ما تنافى أنسها و انسي * و لا تناءى ديرها عن قسّي
و لا عدتْ سُقياي ارضَ غرسي * لكننا منذُ ليال خمس
نُصْبِحُ في ثوب الطوى و نُمسى * لا نعرف المضغ و لا التحسّي
حتى كانّ لخفوت النفس * اشباحُ موتى نُشروا من رمس
فحين عز الصبر و التأسي * و شَفّنا الضُرّ الاليم المسّ
قمنا لسعد الجدّ او للنحس * هذا المقام لاجتلاب فلس
و الفقرُ يلجى الحرّ حين يُرسي * الى التحلي في لباس اللّبس
فهذه حالي و هذا درسي * فانظر الى يومي و سل عن امسي
و امُر بجبري ان تشأ او حبسي * ففي يديك صحّتي و نُكسي
فقال له القاضي ليثُب أنسُك * و لتطب نفسك * فقد حق لك ان تُغفر خطيئتُك * و توفر عطيتُك * فثارت الزوجة عند ذلك و استطالت * و اشارت الى الحاضرين و قالت * نظم

يا اهلَ تبريز لكم حاكم * اوفى على الحكام تبريزا
مافيه من عيب سوى انه * يوم الندى قسمتُه ضيزى
قصدته و الشيخَ نبغي جنىً * عُودٍ له ما زال مهزوزا
فسرّح الشيخَ و قد نال من * جدواه تخصيصا و تمييزا
و ردّني اخيبَ من شائم * برقا خفا في شهر تمّوزا
كانه لم يدر اني التي * لقّنتُ ذا الشيخَ الاراجيزا
و انني ان شئتُ غادرتُه * اضحوكةً في اهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما * و انصلاتَ لسانهما * علم

انه قد مُنِيَ منهما بالداء العياء * والداهية الدهياء * وانه متى منَحَ احدَ الزوجين * وصرف الاخَرَ صَفْر اليدين * كان كمن قضى الدين بالدين * او صلى المغربَ رَكعتين * فطَلْسَم وطَرْسم * واِخرَنْطَمَ وبَرْطم * وهمهم وغمغم * ثم التفتَ يَمنة وشأمة * وتململ كأبة وندامة * واخذ يذُمّ القضاء ومتاعِبَه * ويُعدّد شوائبَه ونوائبه * ويُفَنِّد طالبَه وخاطبَه * ثم تنفَّسَ كما يتنفس الحريب * وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب * وقال ان هذا لشيءٌ عجيب * آرشق في موقفٍ بسهمين * ألزَم في قضيَّة مغرمين * اُطيق ان أرضي الخصمين * ومن اين * ومن اين * ثم عطف الى حاجبه * المُنفِّذ لمآربه * وقال ما هذا يوم حكم وقضاء * وفصل وامضاء * هذا يوم الاغتمام * هذا يوم الاغترام * هذا يوم البُحران * هذا يوم الخُسران * هذا يوم عصيب * هذا يومٌ نُصاب فيه ولا نُصيب * فارحني من هذين المِهذارين * واقطع لسانهما بدينارين * ثم فَرِّق الاصحاب * واغلِق الباب * واشِعْ انه يومٌ مذموم * وان القاضي فيه مهموم * لئلا يحضُرني خُصوم * قال فامَّنَ الحاجب على دعائه * وتباكى لبكائه * ثم نقد ابا زيد وعرّسه المتقالين * وقال اشهد انكما لاحيلُ الثقلين * لكن احترِما مجالس الحكام * واجتنبا فيها فُحشَ الكلام * فما كل قاض قاضي تبريز * ولا كل وقت تُسمع الاراجيز * فقالا له مثلك من حجب * وشكرك قد وجب * ونهضا وقد حُظيا بدينارين * واصابا قلبَ القاضي نارين *

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله لقيت منها عَرَق القِربة - هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة

في الامر الذي يزاوله كما ان حامل القربة يلقى جَهدا حتى يعرق * و قوله جعلته دَبر أُذني - يعني اطّرحتُه و هو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم * و قوله أكذب من سجاح - يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب * و سارت اليه لتناظره و تختبره * ثم آمنت به و وهبت نفسها له * و هذا الاسم مبني على الكسر مثل حَذام و قَطام لكونه من الاسماء المعدولة و اشتقاقه من السجاحة و هي السهولة و منه قولهم ملكت فاسجح * و قولها اكذب من ابي ثُمامة - هذه كنية مُسيلمة الكذاب و كان تنبأ باليمامة و مَخرَق بها الى أن سار اليه خالد بن الوليد و قتله * و قوله لانعَم عوفُك - العوف الحال و هو ايضا الذكر * و يدعى للباني على أهله فيقال له نعم عَوفُك * و قوله يا دفارِ و يا فجارِ - هذان الاسمان معدولان عن دَفِرَةٍ و فاجرة و الدفر النتن و به سميت الدنيا أُمّ دفر و كل ما سمي بصفة غالبة ثم عُدِلَ بها الى فَعالِ بني على الكسر عند النداء كقولك يا لَكاعِ يا خَباثِ يا دفارِ يا فجارِ و لا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر * نظم

أَطوِّف ما أُطوِّف ثم آوي * الى بيت قعيدتُه لَكاعِ

و اما قوله احمقُ من رِجلة - فهي ضرب من الحمض تنبتُ في مجاري السيل فيجترفها * و اما قولها الأَم من مادر - فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رُويتْ سلّح فيه و مدره بسلحه لئلا يُنتفع به من بعده (†) * و اما قولها اشأم من قاشر - فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق ابلا الا ماتت * و قيل المراد به العام المُجدِب و سمي قاشرا

(†) يَنتفع به مَن بعدَه .

لقشرة وجه الارض من النبات * و اما قولها أجبن من صافر - فقد اختُلف في تفسيره قال بعضهم عُني به كل ما يصفِرُ من الطير * و خُصَّ بالجُبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو و مصائد الارض * و قيل انه طائر بعينه اذا جنَّهُ الليل تعلق ببعض الاغصان و لم يزل يصفِرُ طول ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ * و قيل انه الذي يصفِرُ بالمرأة لريبة فهو يجبُنُ وقت صفيره مخافة ان يُظْهَرَ على امره * و قيل إن المراد به في المثل المصفور به و هوالذي يُنذَر بالصفير ليهرُبَ فعلى هذا القول فاعل هيذا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اى مدفوق و كقولهم راحلة بمعنى مرحولة و هو كثير في كلامهم و قد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا * و اما قولها الطيش من طامر - فالمراد به البُرْغُوث و يسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه * و اما قول القاضي ارائما شَنًّا و طَبَقَة و حدأة و نُدُقه - فانه اراد به ان كلا منكما كفو لصاحبه و مقاوم له و لكل من المثلين تفسير مختلف فيه * اما شَنٌّ و طَبَقَة فان العلماء مختلفون في معني قولهم وافق شَنٌّ طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن أفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن اسد بن رَبيعة بن نِزار * و طبقةُ حيٌّ من إيادٍ و كانت طبقةُ لانطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها * و قال بعضهم كان شَنٌّ رجلا من دُهاة العرب و كان الزم نفسه ألَّا يتزوج الا بامرأة ثلاثة فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره فلما اخذ منهما السير قال له شَنٌّ ا تحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكبُ الراكبَ فامسك و سارا حتى اتيا على زرع فقال له شَنٌّ ا ترى هذا الزرع قد أكل ام لا فقال له يا جاهل

اما تراه في سُذْبُله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن ا ترى صاحبها حيًّا ام لا فقال له ما رأيت اجهل منك اتراهم حَمَلوا الى القبر حيًّا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله و كانت له بنت تسمى طَبَقَة فاخذ يُطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب و لا استفهمك الا عما يُستَفهَم عن مثله اما قوله اتحملني ام احملك فانه اراد ا تحدثني ام أُحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث و اما قوله ا ترى هذا الزرع أكل ام لا فانه اراد هل استسلف اهله(†) ثمنه ام لا و اما استفهامه عن صاحب الجنازة(‡) فانه اراد اخلف عَقِبًا يحيى ذكره به ام لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه و خَبِروا ما فيها من الدهاء و الفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا * و حكى ان الاصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال اظُنُّ الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتُّخذ له غطاء وافقه ضُرب فيه هذا المثل * و اما حِدأة و بُندُقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يفزَع بعده او يُبلى بنظيره حِدأ حِدأ وراءك بُندقةُ و كان الاصل حِدأة باثبات الهاء فرُخِّم في النداء و قد اختُلِفَ في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف و بُندقةُ الرامي و قيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حِدأة و كانت تنزل بالكوفة على بندقة و كانت تنزل باليمن فذلت منهم ثم كرت بُندقةُ على حِدأة فانحت عليهم و روى بعضهم هذا المثل حِدا حِدا غير مهموز على مثال عصا و قفا * و زعم انه اسم القبيلة * و اما قوله اخطأت استُكما الحفرة فانه مثل يضرب لمن يُخطئ في مقصده

(†) اربابه (‡) الجنازة اعنى هو فانه *

و يضع الشيء في غير موضعه * و اما قوله طَلْسَمَ و طَرْسَمَ - فمعنى طلسم كَرَهَ وجهه و معنى طرسم اطرق * و قوله اِخْرَنْطَمَ و برطم - اى غضب و قطّب و قيل معنى اخرنطم اى غضب مع تكبر و معنى برطم اى غضب مع تعبّس * و قوله همهم و غمغم - اى لم يبين الكلام *

المقامة الحادية و الاربعون التنيسية

حدث الحارث بن همام قال اطعتُ دواعي التصابي * في غُلواء شبابي * فلم ازل زبرا للغيد * و أُذُنا للاغاريد * الى ان رافني النذير * و ولّى العيش النضير * فقرِمتُ الى رُشد الانتباه * و ندمت على ما فرّطت في جنب الله * ثم اخذت في كَسْع الهنات بالحسنات * و تلافي الهفوات قبل الفوات * فملت عن مغاداة الغادات * الى ملاقاة التقاة * و عن مُقاناة القَيذات * الى مُداناة اهل الديانات * و آليت ان لا اصحب الا من نزع من (†) الغيّ * و فاء منشره الى الطيّ * و ان الفيتُ من هو خليع الرَسَن * مديد الوسن * انأيت داري عن داره * و فررت من عره و عاره * فلما القتني الغربة بتنيْس * و احلّتني مسجدها الانيس * رأيت به ذا حلقة مُلتحمة * و نظارة مزدحمة * و هو يقول بجاش متين * و لسان مُبين * مسكين ابن آدم و اىّ مسكين * ركن من الدنيا الى غير ركين * و استعصم منها بغير مكين * و ذُبح من حبها بغير سكّين * يُكلّف بها لغباوته * يُكلّب عليها لشقاوته * و يعتدّ فيها

(†) عن *

لمفاخرته * ولا يتزود منها لاخرته * أقسمُ بمن مرج البحرين *
و نوّر القمرين * و رفع قدر الحجرين * لو عقلَ ابنُ آدم * لما نادم *
و لو افكر فيما قدّم * لبكى الدّم * ولو ذكر المكافاة * لاستدرك
ما فات * ولو نظر فى المآل * لحسّنَ قُبحَ الاعمال * يا عجبا كلّ
العجب * لمن يقتحم ذات اللهب * فى اكتناز الذهب * و خزن
الخشب * لذوى النسب * ثم من البدع العجيب * ان يعظك
وخطُّ المشيب * و تؤذنَ شمسُك بالمغيب * ولستَ ترى ان
تُذيب * و تُهذّب المعيب * ثم اندفع يُنشد * إنشاد من يرشد * نظم

يا ويحَ من انذره شيبُـــه * و هو على غيّ الصّبا منكمشْ
يعشو الى نار الهوى بعد ما * اصبح من ضعف القوى يرتعشْ
و يمتطى اللهـو و يعتـدُّه * اوطأ ما يفترشُ المفترشْ
لم يهب الشيب الذي مارأى * نجومه ذو اللب الا دُهشْ
و لا انتهى عما نهـاه النُّهى * عنه ولا بالى بعرضٍ خُدِشْ
فذاك ان مات فسُحْقا له * و ان يَعِشْ فهو كمن لم يعشْ
لا خيرَ في محيا امرئ نشره * كنشر ميّتٍ بعد عشرٍ نبشْ
و حبذا مَن عرضهُ طيّبٌ * يروقُ حُسنا مثلَ بُرد رُقشْ
فقل لمن قد شاكه ذنبُهُ * هلّكتَ يا مسكينُ او تنتقشْ
فاخلصِ التوبةَ تطمئنْ بها * من الخطايا السود ما قد نقُشْ
و عاشر الناسَ بخُلق رضًا * و دارِ مَن طاشَ و مَن لم يَطشْ
و رِشْ جناحَ الحُـرِّ ان حَصَّهُ * زمانُهُ لا كان من لم يُرِشْ
و انجد الموتورَ ظلما فان * عجزتَ عن انجاده فاستجشْ
و انعَشِ إذا ناداك ذو كربة * عساك في الحشر به تنتعشْ
وهاكَ كاسَ النُّصح فاشرب وجُدْ * بفضلة الكاس على من عطشْ

قال فلما فرغ من مبكياته * و قضى إنشاد ابياته * نهض صُبَيٌّ قد شَدَن * و اعرى البدن * وقال يا ذرى الحَصاة * و الانصات الى الوَصاة * و قد وعيتم الانشاد * وفقهتم الارشاد * فمن نوى منكم ان يقبل * و يُصلح المستقبل * فليُبِن ببرّي عن فيته * و لايعدل عني بعطيته * فوالذي يَعلَم الأسْرار * و يَغفر الإصْرار * إنّ سري لكما تَرون * و ان وجهي ليستوجب الصَّون * فاعينوني رُزِقْتم العون * قال و اخذ الشيخ فيما يَعطف عليه القلوب * و يستّي له المطلوب * حتى انبط حفرة (†) * و اعشوشب قفرة * فلما ان ترع الكيس * انصلت يميس * و بحمدُ تنّيس * و لم يحل للشيخ المقام * بعدما انصاع الغلام * فاسترفع الايدي للدعاء * ثم نحا نحو الانكفاء * قال الراوي فارتحت الى ان اعْجمه * و احُلّ مترجمه * فتبعته و هو يشتدّ في سَمْته * و لا يَفتُق رَتْق صَمْته * فلما أمن المُفاجئ * و امكن التناجي * لفت جيده الىّ * و سلم تسليم البشاشة طىّ * ثم قال اراقك ذكاء ذاك الشُوَيْدن * فقلت اى و المؤمن المُهَيْمن * قال إنه فتى السروجي * و مُخرج الدُّر من اللجي * فقلت اشهد انك لشجرةٌ ثمرته * و شُراظٌ شرَرَته * فصدّق كهانتي * و استحسن ابانتي * ثم قال هل لك في ابتدار البيت * لنتنازع كاس الكُميت * فقلت له ويحك اتامُرون الناس بالبر و تنسَوْن انفسكم * فافترّ افترار متضاحك * و مرّ غير مُماحك * ثم بدا له ان تراجع الىّ * و قال احفظها عني و طى * نظم

اصرف بصرف الراح عنك الاسى * و روّح القلب و لا تكتئبْ
و قل لمن لامك فيمـــا به * تدفع عنك الهم قَدْك اتّئب

(†) جفرة *

ثم قال اما انا فسانطلق * الى حيث اصطبح و اغتبق * و اذا كنت لا تصحب * و تلائم من يطرب * فلست لي برفيق * و لاطريقك لي بطريق * فخل سبيلي و نكب * و لا تنقر عني و لا تنقب * ثم راى مدبرا و لم يعقب * قال الحارث بن همام فالتهبت وجدا عند انطلاقه * و وددت لو لم ألقه *

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى * و مساري الهوى * الى ان صرت ابن كل تربة * و اخا كل غربة * الا اني لم اكن اقطع واديا * و لا اشهد ناديا * الا لاقتباس الادب المسلي عن الاشجان * المغلي قيمة الانسان * حتى عرفت لي هذه الشنشنة * و تناقلتها عني الالسنة * و صارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة * و الشجاعة بآل ابي صفرة * فلما القيت الجران بنجران * و اصطفيت بها الخلان و الجيران * تخذت اندیتها معتمري * و موسم فكاهتي و سمري * فكنت اتعهدها صباح مساء * و اظهر فيها طي ما سر و ساء * فبينما انا في ناد محشود * و محفل مشهود * اذ جثم لدينا هم * عليه هدم * فحييّ تحية ملق * بلسان ذلق * ثم قال يا بدور المحافل * و بحور النوافل * قد بيّن (†) الصبح لذي عينين * و ناب العيان مناب عدلين * فماذا ترون فيما ترون * اتحسنون العون * ام تنأون اذ تدعون * فقالوا تالله لقد غظت * و رمت ان تنبط فغضت * فناشدهم الله عما ذا صدهم * حتى استوجب ردهم * فقالوا كذا نتناضل بالالغاز * كما يتناضل يوم البراز * فما تمالك ان شعث من المنضول * و الحق هذا الفضل

(†) تبين *

بنمط الفضول * فلسنه لسن القوم * ووخزه باسنة اللوم * و اخذ هو يتنصل من هفوته * و يتندم على فوهته * و هم مضبون على مواخذته * و ملبون داعي مثابذته * الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع * فعدوا من اللذع و القذع * ثم هلم الى ان نلغز * و نحكم المبرز * فسكن عند ذلك توقدهم * و انحلت عقدهم * و رضوا بما شرط عليهم و لهم * و اقترحوا ان يكون اولهم * فامسك ريثما يعقد شسع * او يشد نسع * ثم قال اسمعوا وقيتم الطشر * ، ملتيم العيش * و انشد ملغزا في مروحة الخيش * نظم

و جارية في سيرها مشمعلة * و لكن على اثر المسير تقولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تعطف بالندى * و يبدو اذا ولى المصيف تحولها

ثم قال و هاكم يا اولى الفضل * و مراكز العقل * و انشد ملغزا في حامول النخل * نظم

و منتسب الى امّ * تنشأ اصله منها
يعانقها و قد كانت * نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني * و لا يلحى و لا ينهى

ثم قال و دونكم الخفية العلم * المعتكرة الظلم * و انشد ملغزا في القلم * نظم

و ماموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صاد * و يسكن حين يعروه الاوام
و يذري حين يستسعى دموعا * يرقن كما يرق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل * الفاضحة ما قيل * و انشد ملغزا في الميل * نظم

و ما ناكح اُختين جهرا و خفية * و ليس عليه فى النكاح سبيلُ
متى يغش هذي يغشَ فى الحال هذه * و ان مال بعل ام تجده يميلُ
يزيدهما عند المشيب تعهُّدا * و برًّا و هذا فى البُعول قليـــلُ

ثم قال و هذه يا ذوى الالباب * معيار الاداب * و انشد ملغزا فى الدولاب * نظم

و جاف وَهْوَ موصول * وصول ليس بالجـافي
غـــريق بارز فاعجب * له من راسب طاف
يَسُـــحُّ دُموعَ مهضوم * ويَهضِـــم هَضم متلاف
و يُخشى منـــه حدتهُ * و لكـــن قلبـــه صاف

قال فلما رَشَق * بالخمس التي نَسَق * قال يا قوم تدبَّروا هذه الخمس * و اعقدوا عليها الخمس * ثم رأيكم و ضمّ الذيل * او الازدياد من الكيل * قال فاستفزّت القومَ شهوةُ الزيادة * على ما أشربوا من البلادة * فقالوا له ان وقوفنا دون حدّك * ليفيمنا عن استيراء زَنْدك * فان اتممتَ عَشرا فمن عندك * فاهتزّ اهتزازَ من فلج شهمهُ * و انخزل خصمه * ثم افتتح النطق بالبَسْمَلة * و انشد ملغزا فى المُزمِّلة * نظم

و مسرورةٍ مغمومةٍ طولَ دهرها * و ما هي تدري ما السرورُ و لا الغمُّ
تُقرَّب احيانا لاَجل جنينهـــا * و كم ولد لـــولاه طُلّـــقت الاُمُّ
و تُبعَدُ احيانا و ما حال عهدُها * و ابعادُ مَن لم يستحل عهدُه ظلمُ
اذا قَصُر الليلُ استلذَّ وصالهـــا * و ان طال فالاعراض عن وصلها نُعْمُ
لها ملبس بادٍ انيقٌ مُبطَّنٌ * بما يُزدرى لكن لما يزدرى الحكمُ

ثم كَشَر عن انيابه الصُّفْر * و انشد ملغزا فى الطُّفْر * نظم

و مرهوبِ الشـــبا نامٍ * و ما يرعى و لا يَشرَبْ

يُرى في العشر دون النحـ*ـر فاسمع وصفه و اعجبْ

ثم تَخازَر تَخازُر العفريت * و انشد ملغزا في طاقة الكبريت * نظم

و ما محقـورة تُدنى و تُقصى * و ما منهـا اذا فكّـرت بُدُّ

لهـا رأسان مشتبهـان جِدًّا * و كل منهمـا لاخيـه ضـدُّ

تُغَبَّب ان همـا خُضِبا و تُلغى * اذا عَدِما الخضـابَ ولا تُعَـدُّ

ثم تَخَبَّط تَخَبُّط القَرْم * و انشد ملغزا في حَلَب الكَرْم * نظم

و ما شيء اذا فسدا * تحوّل غيّـه رشـدا

و ان هو راق اوصافا * اثار الشرّ حيث بدا

زكيُّ العـرق والدُّهُ * و لكن بئس ما ولَدا

ثم اعتضد عصا التَّسْيار * و انشد ملغزا في الطَّيّار * نظم

و ذي طيشـة شقّـه مائل * و ما عابَـهُ بهمـا عاقـلُ

يُرى ابـدا فـوق عِلّيَّـة * كما يعتلي الملك العـادلُ

تساوى لديه الحَصا و النُّضار * و ما يستوى الحـقُّ و الباطل

و اعجبُ اوصافه ان نظـرت * كمـا ينظر الكَيِّسُ الفـاضل

تراضى الخصوم به حاكمـا * و قد عَرفوا أنّـه مائـل

قال فظلّت الافكار تهيم في اودية الاوهام * و تجول جولان المستهام *

الى ان طال الأَمَد * و حصحص الكَمَد * فلما رأَهم يَزدادون ولا سَنا *

و يُقَضُّون النهار بالمنى * قال يا قوم إلامَ تَنْظُرون * و حَتّامَ تَنْظُرون *

الم يأن لكم استخراج الخبيّ * او استسلام الغبي * فقالوا له

تالله لقد اعوَصْت * و نصَبْت الشرَك فقَنَصْتَ (§) * فتحكم كيف

شئت * و حُزِ الغَنْم و الصّيت * نفرض عن كل معمى فَرْضا *

و استخلصه منهم نَضّا * ثم فتح الاقفال * و رسم الاغفال * و حاول

(§) فاقتنصت .

الاجفال * فاعتلق به مدرةُ القوم * و قال له لا لُبسةَ بعد اليوم * فاستُنسب قبل الانطلاق * و هَبْها مُتْعَةَ الطَّلاق * فاطرق حتى قلنا مُريب * ثم انشد و الدمع مجيب * نظم

سِرَجُ مَطلِـــعُ شمسي * و رَبْعُ لهوي و أُنسي
لكـــن حُرِمت نعيمي * بها و لـــذّةَ نفسي
و اعتضتُ عنها اغترابا * امرّ يومي و امسي
ما لـــي مَقَـــرٌ بارض * و لا قـــرار لعَنْســـي
يوما بنجـــدٍ و يـــوما * بالشام أضحي و أمسي
أزجى الـــزمان بقوت * منغّـــصٍ مستخـــسّ
و لا ابيت و عنـــدي * فلس و من لي بفلس
و من يَعِشْ مثل عيشي * باعَ الحياة ببخـــس

ثم انه اختَبَن خلاصة النَّصّ * و بدر ضاربا في الارض * فناشدناه ان يعود * و اسنينا له الوُعود * فلا و ابيك ما رجع * و لا الترغيب له نجع *

المقامة الثالثة و الاربعون البدوية المعروفة بالبكر و الثيب

اخبر الحارث بن همام * قال هفا بي البين المطوِح * و السير المبرِح * الى ارض يَضِلُّ بها الخِرِّيت * و تَفرق فيها المصاليت * فوجدت ما يجد الحائر الوحيد * و رأيت ما كنت منه أحيد * الا اني شجّعتُ قلبي المزؤود * و نسأتُ نضوي المجهود * و سرت سيرَ الضارب بقدحين * المستسلم للحين * و لم ازل بين رَخْد

ودَميل * واجارة ميل بعد ميل * الى ان كادت الشمسُ تجبُ * والضياء يحتجب * فارتعتُ لاظلال الظلام * واقتحام جيش حام * ولم ادرِ اكفت الذيل وارتبط * ام اقتحمد الليل واختبط * وبينا انا اقلب العزم * وامتخض الجزم * ترا أى لي شَبَحٌ جمل * مستأنِسٍ بجبل * فترجيته قعدة مريح * وقصدته قصدَ مُشيح * فاذا الظن كهانة * والركوبة عَيرانة * والمُريحُ قد ازدمَلَ بجاده * واكتحل بُرقاده * فجلستُ عند رأسه * حتى هبَّ من نُعاسه * فلما ازدهر سراجاه * واحسَّ بمن فاجأه * نفركما ينفرُ المريب * وقال اخوك ام الذيب * فقلت بل خابطُ ليل ضلَّ المسلك * فاضِئ لي اقدَحْ لك * فقال ليسرُ عنك هُنَك * فربَّ اخ لم تلده أمُّك * فانسرى عند ذلك إشفاقي * وسرى الوسَنُ الى آماقي * فقال عند الصباح يحمَد القومُ السُّرى * فهل ترى كما ارى * فقلت اني لك لاطوع من حذائك * واوفقُ من غدائك * فصدَع بمحبَّتي * وبخبخ بصحبتي * ثم احتملنا مجدِّين * وارتحلنا مُدلجَيْن * ولم نزل نعانى السُّرى * ونعاصى الكرى * الى ان بلغ الليلُ غايتَه * ورفع الفجرُ رايته * فلما اسفر الفاضح * ولم يبق الا واضح * توسمتُ رفيق رحلتي * وسمير ليلتي * فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد * ومَعلَم الراشد * فتهاديا تحيَّة المحبَّين * اذا التقيا بعد البَيْن * ثم تباثثنا الاسرار * وتناثثنا الاخبار * وبعيري ينحطُ من الكلال * وراحلتُه تزفُّ زفيفَ الرأل * فاعجبني اشتداد اسرها * وامتداد صبرها * واخذت استشفُّ جوهرها * واسأله من اين تخيرها * فقال ان لهذه الناقة * خبرا حلوَ المذاقة * مليحَ السياقة * فان احببت استماعه فانخ *

وان لم تشأ فلا تُصغ * فانحتُ لقوله نضوي * و اهدفتُ السمعَ لما يروي * فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموتَ * و كابدت في تحصيلها الموت * فما زلت اجوب عليها البلدان * و اطسُ باخفافها الظِّران * الى ان وجدتها عُبْرَ اسفار * و عُدَّةَ فرار * لا يلحقُها العناء * و لا تواهقها وَجْناء * و لاتدرى ما الهناء * فارصدتها للخير و الشر * و احللتها محل البَرّ السَّر * فاتفق ان ندَّتْ مذ مُدَّة * و مالي سواها قُعْدة * فاستشعرتُ الاسف * و استشرفت التلف * و نسيتُ كلَّ رُزْءٍ سَلَف * و مكثتُ ثلثا * لا استطيع انبعاثا * و لا اطعم النومَ الا حثاثا * ثم اخذت في استقراء المسالك * و تفقد المسارح و المَبارك * وانا لا استنشي منها ريحا * و لا استغشي يأسا مُريحا * وكلما اذكرت مضاءها في السير * و انبراءها لمباراة الطير * لاعني الاذكار * و استهوتني الافكار * فبينما انا في حواء * بعض الاحياء * اذ سمعت من شخص مُبتعد * و صوت منجَرد * مَن ضلَّت له مطية * حضرميةٌ رطيَّة * جلدها قد وُسِم * و عرُّها قد حُسِم * و زمامها قد ضُفر * و ظهرُها كان قد كُسِر ثم جُبِر * تزين الماشيةَ * وتُعين الناشية * و تقطع المسافة النائية * و تظلُّ ابدا لك مُدانية * لا يعتورها الونى * و لايعترضها الوجى * و لا تُحوجُ الى العصا * ولا تعصي فيمن عصى * قال ابو زيد فجذبني الصوتُ الى الصائت * و بشَّرني بدرك الفائت * فلما افضيت اليه * و سلَّمت عليه * قلت له سَلْم المَطيّة * و تسلَّم العطيَّة * فقال و ما مطيَّتك * غُفرت خطيئتك * قلت ناقة جُذَّتها كالهَضْبة * و ذُروتها كالقُبّة * و حَلَبُها ملأ العُلبة * وكنت اعطيت بها عشرين * اذ حللت يَبْرين * واستزدت الذي اعطى * و دريت انه اخطأ *

قال فاعرض هين سمع صفقتي * و قال لست بصاحب لقطتي * فاخذت بتلابيبه * و اصررت على تكذيبه * و هممت بتمزيق جلابيبه * و هو يقول ياهذا ما مطيتني بطلبك * فاكفف من غربك * و عد عن سبك * و الا فقاضني الى حكم هذا الحي * البري من الغي * فان اوجبها لك فتسلم * و ان زواها عنك فلا تتكلم * فلم ار دواء قصتى * و لا مساغ غصتي * الا ان آتى الحكم * ولو لكم * فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة * انيق العصبة * يونس منه سكون الطائر * و ان ليس بالجائر * فاندرأت اتظلم و اتالم * و صاحبي مرم لايترمرم * حتى اذا انتلت كنانتي * وقضيت من القصص لبانتي * ابرز نعلا رزينة الوزن * محذورة لمسلك الحزن * و قال هذه التي عرفت * و اياها وصفت * فان كانت هي التي اعطى بها عشرين * و ها هو من المبصرين * فقد كذب في دعواه * و كبر ما افتراه * اللهم إلا ان يمد قذاله * و يبين مصداق ما قاله * فقال الحكم اللهم غفرا * و جعل يقلب النعل بطنا و ظهرا * ثم قال اما هذه النعل فنعلي * و اما مطيتك ففي رحلي * فانهض لتسلم ناقتك * و اجعل الخير بحسب طاقتك * فقمت و قلت * نظم

اقسم بالبيت العتيق ذى الحرم * و الطائفين العاكفين فى الحرم
إنك نعم من اليه يحتكم * و خير قاض فى الاعاريب حكم
فاسلم و دم دوم النعام و النعم *

فاجاب من غير روية * و لا عقد نية * و قال * نظم

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم * اذ لست استوجب شكرا يلتزم
شر الانام من اذا استقضى ظلم * ثم من استرعي فلم يرع الحرم
فذان و الكلب سواء فى القيم

ثم انه نفذ بين يدي * من سأم الذاقة اليّ * و لم يمتنّ عليّ * فرحتُ اجرّ ذيلَ الطرب * و اقول يالله العجب * قال الحارث بن همام فقلت له تالله لقد اطرفتَ * و هرفتَ بما عرفتَ * فناشدتُك اللهَ هل لقيتَ اسحر منك بلاغة * و احسن للفظ صياغة * فقال اللهم نعم * فاسمع و انعم * كنتُ عزمتُ * حين اتهمْتُ * على ان اتخذ ظعينة * لتكون لي معينة * فحين تعين الخطب * و كاد الامر يستتبُّ * افكرتُ فكر المتحرّز من الوهم * المتأمّل كيف مسقطُ السهم * و بتُّ ليلتي أناجي القلبَ المعذَّب * و اقلّبُ العزمَ المُذبذَب * إلى ان اجمعتُ على ان اُسحرَ * و اُشاورَ اول من أبصر * فلما قوّضت الظلمةُ اطنابها * و ولّت الشُّهبُ اذنابها * غدوت غدو المتعرف * و ابتكرت ابتكار المتعيّف * فانبرى لي يافع * في وجهه شافع * فتيمّنتُ بمنظره البهيج * و استقدحت رأيه في التزويج * فقال او تبغيها عَوانا * ام بكرا تُعانى * فقلت اخترلي ما ترى * فقد القيت اليك العُرى * فقال اليّ التبيين * و عليك التعيين * فاسمع انا افديك * بعد دفن اعاديك * اما البكر فالدرة المخزونة * و البَيضة المكنونة * و الثمرة الباكورة * و السُّلافة المذخورة * و الروضة الانف * والطوق الذي ثمن و شَرُفَ * لم يدنسها لامس * ولا استغشاها لابس * ولا مارسها عابث * ولا ركسها طامث * ولها الوجه الحيي * و الطرف الخفي * و اللسان العيي * و القلب النقي * ثم هي الدُّمية الملاعبة * و اللعبةُ المُداعبة * و الغَزالة المُغازلة * و الملحةُ الكاملة * و الوشاح الطاهرُ القَشيب * و الضجيع الذي يُشبُّ ولا يُشيب * واما الثيّبُ فالمطيّةُ المذلّلة و اللُّهنةُ المعجّلة * و البغيةُ المسهّلة * والطُّبةُ المعلّلة *

و القرينة المتحبّبة و الخليلة * المتقربة * و الصناع المدّبرة * و الفطنة المختبرة * ثم انها عجالة الراكب * و أنشوطة الخاطب * و قعدة العاجز * و نهزة المبارز * عريكتها ليّنة * و عقلتها هيّنة * و دخلتها متبينة * و خدمتها مُزيّنة * و أقسم لقد صدقت في النعتين * و اجليت المهاتين * فبأيتهما هام قلبك * و طى ايتهما قام زبك * قال ابو زيد فرأيته جذلة يتّقيها المراجم * و تدمى منها المحاجم * الا اني قلتُ له كنتُ سمعتُ ان البكر اشدُّ حبًا * و اقلّ خبًا * فقال قد لعمري قيل هذا * و لكن كم قولٍ آذى * ويحك اما هي المهرةُ الابيّةُ العنان * و المطية البطيةُ الاذعان * و الزندةُ المتعسّرةُ الاقتداح * و القلعة المستصعبةُ الافتتاح * ثم ان مئونتها كثيرة * و معونتها يسيرة * و عشرتها صَلِفَة * و دالّتها مكلّفة * و يدها خرقاء * و فتنتها صَمّاء * و عريكتها خشناء * و ليلتها ليلاء * و في رياضتها عَناء * و على خبرتها غشاء * و طالما اخزت المُنازل * و فركت المَغازل * و احنقت الهازل * و اضرعت الفنيق البازل * ثم انها التي تقول انا البِسُ و اجلِسُ * فاطلب من يُطلِق و يحبِسُ * فقلت له فما ترى في الثيب * يا ابا الطيب * فقال ويك ا ترغب في فضالة المآكل * و ثمالة المنهل * و اللباس المستبذَل * و الوعاء المستعمَل * و الذرّاقة المُتطرِقة * و الخرّاجة المتصرّفة * و الوقاح المتسلّطة * و المُحتكرة المتسخطاة * ثم كامّتها كنتُ و صرتُ * و طالما بغي عليّ فنُصرتُ * و شتان بين اليوم و امس * و اين القمر (ا) من الشمس * و ان كانت الحذّانة البُروك * او الطمّاحة الهلوك *

(ا) وهيهات القمر *

فهي الغُلّ القَمِلُ * و الجُرحُ الذي لايندمل * فقلتُ له هل ترى ان اترهّب * و اسلُكَ هذا المذهب * فانتهرني انتهار المؤدّب * عند زلّة المتأدّب * ثم قال ويلك ا تقتدي بالرّهبان * و الحقّ قد استبان * افّ لك ولوهن رايك * وتبّا لك و لارلئك * اَ تُراك ما سمعتَ بان لا رُهبانية في الاسلام * و لا حُدّثتَ بما نكّح نبيّك عليه السلام * ثم ما تعلم ان السكن الصالحة تربّ بينك * وتُلبّي صوتك * و تغضّ طرفك * و تُطيّبُ عرفَكَ * و بها ترى قُرّةَ عينك * و رُحانة انفك * و فوحةَ قلبك * و تعلّةَ يومك و غدك * فكيف رغبتَ عن سنّة المرسلين * و مُتعة المتاهّلين * و شرعة المُحصنين * و مَجْلبة المال و البنين * والله لقد ساءني فيك * ما سمعتُ من فيك * ثم اعرضَ اعراضَ المُغضَب * و نزا نزوان العُنْظب * فقلت له قاتلك الله انطلق متبختزا * و تدعُني متحيرا * فقال اظُنّك تدعى الحيرة * لتجلد عُميرة * و تستعنى عن المُهيرة * فقلت له قبّح الله ظنّك * و لا اشبّ قرنَك * ثم رُحتُ عنه سراح الخَزبان * و ثَبتُ من مُشاورة الصبيان * قال الحارث بن همام فقلت له أُقسم بمن انبت الأيك * إنّ الجدل مذكّ و اليك * فاغرَبَ في الضحك * و طرب طَربةَ المتهتّك * ثم قال إلعَق العسَل * ولا تسَل * فاخذت اسهبُ في مدح الادب * و افضّل ربّه على ذى النشَب * و هو ينظر الي نظر المستجهل و يغضى عني اغضاء المُمهل * فلما اسرفتُ في العُصبية * للعصبة الادبية * قال لي صَهْ * واسمع مني وافقه * نظم

يقولون إنّ جمـــالَ الفتى * و زينَـــته ادبٌ راسخُ
و ما ان يزين سوى المكثرين * و مَن طَودُ سُؤدده شامخُ

فاما الفقير فخير له * من الادب القرص و الكسخ

و اي جمال له ان يقال * اديب يعلّم او ناسخ

ثم قال سيضح لك صدق لهجتي * و استنارة حجّتي * و سرنا لا نالوا جُهدا * و لا نستفيق جَهدا * حتى أدانا السير * الى قرية عزب عنها الخير * فدخلناها للارتياد * و كلانا منفضٌ من الزاد * فما ان بلغنا المحط * و المُناخ المختَطّ * ار لقينا غلام لم يبلغ الحنث * و على عاتقه ضغث * فحيّاه ابوزيد تحيّة المُسلم * و سأله وقفة المُفهم * فقال و عمّ تسأل وفّقك الله * قال ا يباعُ ههنا الرُّطب * بالخُطب * قال لا و الله * قال و لا البَلَحُ * بالمُلَح * قال كلا و الله * قال و لا الثمرُ * بالسَّمَر * قال هيهات و الله * قال و لا العصيدة * بالقصيدة * قال أسكت عافاك الله * قال و لا الثرائد * بالفرائد * قال اين يُذهَبُ بك ارشدك الله * قال و لا الدقيق * بالمعنى الدقيق * قال عُدّ عن هذا اصلحك الله * و استحلى ابو زيد تراجع السوأل و الجواب * و التكأيل من هذا الجراب * و لمَح الغلامُ ان الشوط بَطين * و الشيخ شُيَيطين * فقال له حسبُك يا شيخُ قد عرفتُ فنّك * و استبنتُ أنّك * فخُذ الجواب صُبرة * و اكتف به خبرة * اما بهذا المكان فلا يُشترى الشّعرُ بشعيرة * و لا النثرُ بنُثارة و لا القصص بقُصاصة * و لا الرسالة بغُسالة * و لا حُكْمُ لُقمان بلقمة * و لا اخبارُ الملاحم بلَحمة * و اما جيلُ هذا الزمان فما فيهم من يمدح * اذا صِيغَ له المديح * و لا من يُجيز * اذا أُنشد له الاراجيز * و لا من يُغيث * اذا اطربه الحديث * و لا من يَميرُ * و لو انه أميرٌ * وعندهم ان مثل الاديب * كالرَّبع الجديب * ان لم تجد الربع ديمة * لم تكن له قيمة * و لا دانَتْه

بهيمة * وكذا الادب * ان لم يعضده نَشَب * فدرسه نَصَب * وحزبه حصب * ثم انسدر يعدو * ولى يحدو * فقال لي ابوزيد اعلمتَ ان الادب قد بار * ولّت انصارهُ الادبار * فبُؤتُ له بحسن البصيرة * وسلمت بحكم الضرورة * فقال دعنا الان من المصاع * وخُضْ في حديث القصاع * واعلم ان الاسجاع * لا تُشبع من جاع * فما التدبير فيما يُمسك الرمق * ويطفى الحرق * فقلت الامر اليك * والزمام بيدنك * فقال ارى ان ترهن سيفك * لتشبع جوفك وضيفك * فذار لذيه واقم * لانقلبَ اليك بما تلتقم * فاحسنت به الظن * وقلدته السيفَ والرَّهن * فما لبثَ ان ركِبَ الناقة * ورفض الصدق والصداقة * فمكثت مَليًّا اترقبه * ثم نهضت اتعقّبه * فكنتُ كمن ضيَّع اللبن فى الصَّيف * ولم ألقَهُ ولا السيف *

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية وتعرف باللغزية

حكى الحارث بن همام * قال عشوت في ليلة داجية الظُّلَم * فاحمة اللّمم * الى نار تُضرمُ على علَم * وتخبر عن كرم * وكانت ليلة جوّها مقرور * وجيبها مزرور * ونجمها مغموم * وغيمها مركوم * وانا فيها اصرَدُ من عين الحرباء * والعَنْز الجَرْباء * فلم ازل انُصُّ عَنْسي * واقول طوبى لك ولنفسي * الى ان تبصَّرَ الموقدَ آلى وتبين ارقالي * فانحدرَ يعدو الجَمَزى * ويُنشد مرتجزا * نظم حُيِّيتَ من خابط ليلٍ ساري * هداه بل أهداه ضوءُ النـار

الى رحيب الباع رَحْب الدار * مُرحَّبٍ بالطـارق المُمْتـار
ترحابَ جعدِ الكفِّ بالـدينار * ليـس بمـزوَّر عن الزُّوَّار
و لا بمعتـام القِرى متخـار * اذا اقشعرَّتْ تُـرَبُ الاقطـار
و ضنَّت الانـواءُ بالامطـار * فهو طلى بؤس الزمان الضَّاري
جـمُّ الرماد مُرهَفُ الشَّفـار * لم يخلُ في ليـل و لا نهـار
من نَحْرِ وارٍ و اقتداح وارِي

ثم تلقّاني بمُحيَّا حييّ * و صافحني براحة ارْيحيّ * و اقتادني الى بيت عشارُه تخور * و آعشارُه تفور * و ولائدُه تمور * و موائدُه تدور * و باكسارِه اضيافٌ قد جلَبهم جالبي * و قُلِبُوا فى قالبي * و هم يجتنُون فاكهةَ الشتاء * و يمرَحون مرَحَ ذوي الفَتاء * فاخذت مأخذهم فى الاصطلاء * و وجدت بهم وجْدَ الثَّمِل بالطِّلاء * و لما ان سرى الحَصَر * و انسري الخَصَر * أتينا بموائدَ كالهالات دَورا * والروضات نَورا * و قد شُحِنَّ باطعمة الولائم * و حُفِينَ من العائب و اللائم * فرفضنا ما قيل فى البطْنة * و رأينا الامعانَ فيها من الفطنة * حتى اذا اكتلنا بصاع الحُطَم * و اشفينا على خطَر التُّخَم * تعاورنا مشُوشَ الغَمَر * ثم تبوَّأنا مقاعدَ السَّمَر * واخذَ كلٌّ منا يشُولُ بلسانه * يذشُرُ ما فى صوانه * ماعدا شيخا مشتهبا فَوْداه * مُخلولقاً بُرداه * فانَّه ربَض حَجْرةً * و اوسَعنا هجرة * فغاظنا تجنُّبُه * الملتبسُ موجبُه * المعذور فيه مؤنّبُه * الا انا آلَينا له القول * و خشينا فى المسئلة العَوْل * و كلما رُمْنا ان يفيض كما فضْنا * او يُفيض فيما افضنا * اعرَض اعراضَ العِلْية من الارذَلين * و تلا ان هذا الا اساطير الاولين * ثم كأنَّ الحَمِيَّةَ هاجته * و النفسَ الابيَّة فاجَته * فدلَف و ازدلَف * و خاع الصَّلَف * و بذَل ان يتلافى

ما سلف * ثم استرعى سمعَ السامر * واندفع كالسَّيل الهامر * وقال نظم

عندي اعاجيبُ اروِيها بلا كذب * عن العيان فكنْوني آبا العجب
رأيتُ يا قوم أقواما غذاؤهـــم * بَولُ العجوز وما اعنى ابنةَ العِنَب

بول العجوز لبن البقرة و العجوز ايضا من اسماء الخمر *

و مُسنِتين من الاعراب قُوتُهم * ان يشتووا خِرقةً تُغني من السَّغَب

الخرقة القطعة من الجَراد (†) *

و كاتبين و ما خطَّتْ أناملهم * حرفا و لا قرأوا ما خُطَّ في الكُتُب

الكاتبون الخرَّازون – يقال كتَب السِّقاء و المزادة اذا خَرَزهما و كتب البَغلةَ و الناقةَ اذا جمَع بين شُفْريهما و خاطهما *

و قادرين متى ما سا صنعهم * او قصَّروا فيه قالوا الذنب للحَطَب

القادر الطابخ في القِدْر و القدير المطبوخ فيها *

و تابعين عُقابا في مسيـــرهم * على تميمهم في البيض و اليَلَب

العقاب الراية – و كانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العُقاب (‡) *

و مُنتدين ذوي نُبْلٍ بدت لهُـمُ * نبيلةٌ فانثنوا منها إلى الهرب

النبيلة الجيفة – و منه تنبَّل البعير اذا مات و أروح *

و عُصبة لم تر البيت العتيق و قد * حجَّت جُثيًّا بلا شك على الرُّكَب

(†) الجراد و السغب الجوع (‡) العقاب و اليلب ما كان من جلد الجلود و قيل اليلب البولاد *

معنى حَجّت جُثيًّا اى غلبت بالحجة -
مجادلين جاثين على الرُّكب - و جثيٌّ
جمع جاث *

و نسوة بين ما ادلجن من حلب * ضُبّحن كاظمة من غير ما تعب
كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ *

و مدلجين سَرَوْا من ارض كاظمة * واصبحوا حين لاح الصبح في حَلَب
اى اصبحوا (†) يحلبون اللبن *

و يافعا لم يُلامس قطُّ غانية * شاهدته و له نسل من العَقِب
اليافع الذي قد ترعرع و ناهز البلوغ و النسل
ههنا العَدو و منه قوله تعالى من كل حَدَب
يَنسلون و العَقِب مؤخر القَدم *

و شائبا غير مُخْفٍ للمَشيب بدا * في البدو وهْو فَتِيُّ السِّن لم يَشِب
الشائب ههنا مازج اللَبن - و المشيب
اللبن الممزوج يقال فيه مشوب و مشيب *

و مُرْضَعا بلبان لم يفِهْ فمهُ * رأيته في شِجار بيّن السبب
الشجار المحَفَّة ما لم تكن مظلّلة فان ظُلّلت
فهو الهودج - و السبب ههنا الحَبْل و منه
قوله تعالى فليمدُد بسبب الى السماء *

و زارعا ذُرَّة حتى اذا حُصدت * صارت غُبَيْرآء يَهواها اخو الطرب
الغبيرآء السُّكر المتخذ من الذُّرَّة - و في
الحديث اياكم و الغبيرآء فانها خَمرُ العالم
و تسمى السُّكُرُكَة ايضا *

(†) كاظمة *

و راكضا وهو مغلولُ على فرس * قد غُلَّ ايضا و ما يَنفكُّ من خَبَب

المغلول ههنا العشطان - و غُلَّ اى عَطِش *

و ذا يدٍ طُلُقٍ يَقتـــاد راحلةً * مستعجلا وهو مأسور اخو كُرَب

الماسور الذي يَجد الاسر و هو احتباس البَوْل *

و جالسا ماشيا تهوي مَطِيَّتُه * به و ما فى الذي اوردتُ من رِيَب

الجالس الاتي نَجَدا والماشي الذي كَثُرت

ماشيته و عليه فسّر بعضهم قول الله تعالى

ان امشوا كانه دعاء لهم بالنماء و كَثْرة الماشية *

و حائكا اجْذَم الكفّين ذا خَرَس * فان عجبتم فكم فى الخلق من عجب

الحائك ههنا الذي اذا مشى حَرَّك مَنْكِبَيْه

و فَجَّج بين رُكبَتَيْه *

و صادعا بالقنا من غير ان علقت * كَفّـــاه يوما برُمْح لا و لم يِنْب

القنا ارتفاع الانف و تَحدُّبُ وسطه و صدع به اى كشفه *

و ذا شَطاط كصدر الرُّمْح قامته * صادفته بمنّي يشكو من الحَدَب

الحدب ما ارتفع من الارض *

و ساعيا في مَسَرّات الانام يرى * افراحهم مأثما كالظلم و الكَذِب

افراحهم اثقالهم بالدَّيْن و منه قوله عليه السلام

لا يُترَك فى الاسلام مُفرَح اى مُثقَل *

و مغرَما بمناجاة الرجال له * و ماله في حديث الخلق من ارب

الخلق ههنا الكذب و منه قوله تعالى ان هذا

الا خُلُق الاولين *

و ذا ذِمام وَفَتْ بالعهد ذمّته * و لا ذمام له في مذهَب العرب

الذمام الاول العهد و الثاني جمع ذمة و هي

البئر القليلة الماء و عنى بالمذهب المسلك
اى ما له فى البدو آبار قليلة الماء *
و ذا قُوىً ما استبانت قطُّ لينَتُه * و لينُه مستبين غير محتجب
اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم
من لينة *
و ساجدا فوق فَحْل غير مكترث * بما اتى بل يراه افضل القُرَب
الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل *
و عاذرا مؤلما مَن ظَلَ يَعذِره * مع التلطف و المعذور في صُحُب
العاذر الخاتن و المعذور المختون *
و بلدة ما بهـــا ماءٌ لمغترف * و الماء يَجري عليها جَرْيَ مُنسَرب
البلدة الفرجة بين الحاجبين و تسمى ايضا البُلْجَة *
و قرية دون أفحُوص القَطا شُحنت * بدَيْلم عيشهم من خُلْسة السَّلَب
القرية بيت النَّمْل و الديلم النمل الكثير *
و كوكبا يتـــوارى عند رؤيته * الانسان حتى يُرى في امنع الحُجَب
الكوكب النُّكتة من البياض التي تَحْدُث فى
العين - و الانسان هاهنا انسان العين *
و روثة قُوِّمت مالا له خطـــر * و نفس صاحبها بالمال لم تَطِب
الروثة مقدم الانف *
و صَحْفة من نُضار خالص شُرِبَت * بعد المكاس بقيراط من الذهب
النضار ههنا شجر النَّبْع و اياه عنى ابرهيم
النَخَعيّ بقوله لا بأس بان يُشرَب في قدَح
النُّضار *
مستجيشا بخشخاش ليَدفَع ما * اظلّه من اعاديه فلم يُخِـب

الخشخاش الجماعة عليهم دُرُوع واسلحة *

و طالما مرّ بي كَلْب و في فَمِه * ثَوْر و لكنّه ثور بلا غَبَب

الثور القطعة من الاقط *

و كم رأى ناظري فيلا على جَمَل * و قد تَوَرّك فوق الرَحْل و القَتَب

الفيل الرجل الفائل الرأى *

و كم رأت(†) مقلتي عينين مآقيهما * يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مَجْرَى الدمع والعينان ههنا المقلتان

و حلب البلدة المعروفة *

و كم لقيت بعُرْض البَيْد مشتكيا * و ما اشتكى قط في جِدٍّ و لا لَعِب

المشتكي المتخذ شَكوة و هي القِرْبة الصغيرة *

كنت ابصرت كرّازا لراعية * بالدَّوِّ يَنظُر من عينين كالشُّهُب

الكرّاز الكَبْش الذي يُحمل عليه الراعي اداته *

و كم نزلت بارض لا نخيل بها * و بعد يوم رأيت البُسْر في القُلُب

البُسر جمع بَسرة و هي الماء الحديث

العهد بالمطر و القلب جمع قليب *

و كم رأيت باقطار الفَلا طَبَقا * يَطير في الجو منصبّاً الى صَبَب

الطَّبَق القطعة من الجَراد *

و كم مشائخ في الدنيا رأيتهم * مُخَلَّدين و من ينجو من العَطَب

المخلد الذي ابطأ شيبه (‡) *

و كم بدا لي وحش يشتكي سَغَبا * بمنطق ذَلِق امضى من القُضُب

الوحش الرجل الجائع *

و كم دعاني مستَنْجِدٍ فحادثني * و ما اخَلّ و لا اخللت بالادب

(†) و عاينت (‡) و كذلك المُخْلَد و المخلد

المستنجي الجالس على نجوة و هي المكان المرتفع (†) *

و كم انخت قلوصي تحت جُنْبُذة * تُظِلّ ما شئت من عُرْب ومن عُرُب

الجُنْبُذة القُبّة و العُرُب جمع عَروب و هي المرأة

المتحببة الى زوجها *

و كم نظرت الى من سُرّ ساعته * و دمعه مستهلّ القَطْر كالسُّحُب

سُرّ اى قُطع سَرَره و يسمى ما يبقى بعد القطع السُّرّة *

و كم رأيت قميصا ضرّ صاحبه * حتى انثنى واهى الاعضاء والعَصَب

القميص الدابّة الكثيرة القماص *

و كم ازار لوان الدهر أتلفه * لجَفّ لَبْد حثيث السير مضطرب

الازار المرأة و منه قول الشاعر-ع

فدي لك من اخي ثقة ازاري (§)

هذا و كم من افانين معجّبة * عندي ومن مُلَح تُلهى ومن نُخَب

فان فطنتم للحن القول بان لكم * صدقي و دلكم طلعي على رطبي

و ان شُدِهْتم فان العار فيه على * من لا يميز بين العود و الخشب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه * و تاريل

معاريضه * و هو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي * و يقول ليس

بعُشّك فادرجي * الى أن تعسّر النتاج * و استحكم الارتتاج *

فالقينا اليه المقادة * و خطبنا منه الافادة * فوقفنا بين الطمع

و اليأس * و قال الايناس قبل الابساس * فعلمنا انه ممن

يَرغب في الشكم * و يرتشي في الحكم * و سآء ابا مثوانا ان نُعرّض

للغُرْم * او نُخيّب بالرَّغْم * فاحضر ناقة عيدية * و حُلّة سعيدية * و قال

له خذهما حلالا * و لا توزأ اضيافي زيالا * فقال اشهد انها شنشنة

(†) وهى المكان المرتفع الذي تظن انه نجارك (§) و قيل عني به نفسه *

اخزميّة * و اريحيّة حاتميّة * ثمّ قابلها بوجه بشره يشفّ * و نضرته ترفّ * و قال يا قوم ان الليل قد اجلوّذ * و النعاس قد استحوذ * فافزعوا الى المراقد * و اغتنموا راحة الراقد * لتشربوا نشاطا * و تبعثوا نشاطا * فتعوا ما أفسّر * و يتسهّل لكم المتعسّر * فاستصوب كل ما رآه * و توسّد وسادة كراه * فلما وسنت الاجفان * و اغفت الضيفان * وثب الى الناقة فرحلها * ثم ارتحلها و رحّلها * و قال مخاطبا لها * نظم

سروج يا ناق فسيري و خدي * و ادلجي و آوبي و اسئدي
حتي تطأخفّاك مرعاها الندي * فتنعمي حينئذ و تسعدي
و تأمني ان تتهمي ارتجدي * ايه فدتك الفرق جدّي واجهدي
و افري اديم فدفد فدفد * و اقتنعي بالقشح عند المورد
و لاتحطّي دون ذاك المقصد * فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد * انك ان احللتني في بلدي
حللت مني بمحلّ الولد

قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع انباع * و اذا ملأ الصاع انصاع * و لما انبلج صباح اليوم * و هبّ النوّام من النوم * اعلمتهم ان الشيخ حين اغشاهم السبات * طلّقهم البتات * و ركب الناقة و فات * فاخذهم ما قدم و ما حدث * و نسوا ما طاب منه بما خبث * ثم انشعبنا في كل مشعب * و ذهبنا تحت كل كوكب * قال القاسم بن علي رضي الله عنه قد فسّرت سرّ كل لغز تحته * و لم أبعد على من يقرأه كشفه * و قد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فاحببت ايضاحها له ليكفى حيرة الشبهة * و كلفة الفكرة *

و وصمة البَحث و المسئلة * و بالله تعالى الاستعانة و القوة * قوله عشوتُ الى نار – يعني تذورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى و من يعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا اي و من يُعرض * و قوله اذا فيها اصَرَّد من عين الحرباء و العنز الجرباء – هذان مثلان يُضربان لمن يبلُغ منه البرد و ذلك لان الحرباء يدور ابدا مع الشمس و تستقبلُها بعينه و لذلك شبَّه ابنُ الرومي الرقيبَ بالحرباء في قوله * نظم

ما بالها قد حُسِّنَت و رقيبُها * ابدا قبيحٌ قُبِّحَ الـرُّقباء
ما ذاك الا انها شمس الضحى * ابدا تكون رقيبها الحـرباء

و العنز الجرباء لاتدفؤ في الشتاء لقلة شَعرها * و ذكر بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول * و قوله نحر وار – يعني الجمل المُكتنِزَ شحما الكثيرَ سُخًا * و قوله عشاره تخُورُ و أعشارهُ تفور – العشارُ النُّوقُ الحوامل واحدتُها عُشراء و هي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضَعَ و الاعشار البُرْمةُ العظيمةُ كأنها شُعِّبت لعِظَمها يقال بُرمةٌ أعشارٌ و جَفنةٌ أكسارٌ و ثوبٌ اسمالٌ و بُردٌ اخلاقٌ و حَبْلٌ أرمامٌ و وصفُ الجماعة منها كوصف الواحد * و قوله فاكهةَ الشتاء – كنى بها عن النار و منه قولُ بعض المحدثين * نظم

النار فاكهة الشتاء فمن يُرِدْ * اكلَ الفواكه شاتياً فَلْيَصْطَلِ
إنَّ الفواكهَ في الشتاء شهيَّةٌ * و النارُ للمقرور افضلُ مأكل

و قوله موائد كالهالات – يعني دارات القمر واحدها هالة و دارةُ الشمس تُسمَّى الطَّفاوة * و قوله مَشوشَ الغَمر – يعني المنديل يقال مَشَّ يدهُ بالمِنديلِ اى مسحها و منه قول امرء القيس * نظم

نُمُشُّ بأعراف الجيادِ أكفَّنا * اذا نحن قمنا عن شواءٍ مُضَهَّبِ

و قوله مُشتهبا فوداه - اى صار من الشيب في لون الاشهب و منه قول امرء القيس ايضا * نظم

قالت الخنساء لمَّا جئتُها * شاب بعدي رأسُ هذا واشتهبْ

و قوله ربضَ حجرةً - يعني ناحيةً و يقال فى المثل لمن يُشارك في الرخاء و يُجانب عندَ البلاء يرتعَ وسطا و يربضُ حجرة * و قوله فاستمرعى سمعَ السامر - يعنى السُّمَّار لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحيّ النازلين على الماء و كالباقر اسم لجماعة البقر و قال بعض اهل اللغة هو اسم للبَقَر مع رُعاتها و اشتقاق السامر من السَّمَر و هو ظل القمر ماخوذ من السُّمْرة فلما كان غالب احوال السُّمَّار انهم يتحدَّثون في ظل القمر اشتُقَّ لهم اسم منه و الى هذا يرجع قولهم لا أكلّمه القمر و السمر * و قوله ليس بعشّك فادرُجي - هذا مثل يُضرَب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له و العُشّ ما يكون في شجرة فان كان في حائط اوكَهْف جبل فهو وَكْر * و قوله الايناس قبل الابساس - هذا مثل ايضا و معناه انه ينبغي ان يُؤنَس الانسان ثم يُكلَّفَ و اصله أنَّ حالب الناقة يُؤنسها حين يروم حلبها ثم يبُسُّ بها للحلَب و الابساس ان يقول لها بُسْ بُسْ لتسكن و تُدِرَّ و تسمى الناقة التي تَدُرُّ على الابساس البَسُوسَ * و قوله يُرغَب فى الشُّكْم - الشُّكْم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان أعطيته مبتدئا فهو الشُّكْد * و قوله ساء أبا مثوانا - يعني المضيفَ الذي أَوَوا اليه و ثَوَوْا عنده * و قوله ناقة عيدية - قيل انها منسوبة الى فَحل مُنجب اسمه عيدٌ و قيل انها منسوبة

الى فخذ من مُهْرَةَ و اسمه عبد (†) بن مَهرةَ و كانت مهرةُ و عبدٌ تتخذان نجائب الابل فنسبت اليهما * و قوله حُلَّةٌ سعيديَّةٌ - هي منسوبة الى سعيد بن العاص و كان رسول الله صلى عليه و سلم كساه و هو غلامٌ حُلَّةً فنسب جنسها اليه * و قوله لاترزأ اضيافي زبالا - اى لاترزاهم شيأ و ان قلَّ و الاصل فى الزبال ما تحمله النملة بفيها * و قوله شِنْشِنة اَخزميَّة - اشار به الى المثل الذي ضربه جدُّ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج بن آخزَم الطائي حين نشأ حاتم و تقيَّلَ اخلاقَ جده اَخزمَ فى الجود فقال شِنْشِنة اعرفُها من اَخزَمَ - و تمثل عُقيل بن عُلَّفَةَ به حين قال * نظم

اِنَّ بَنَيَّ ضرَّجوني بالـدم * من يلقَ آسادَ الرجال يُكْلَم
شِنْشِنةٌ اعرِفُها اَخزِم

و من ادعى ان المثل له فقد سها فيه * و قوله اِجلَوَّذ-اى اسرع فى الذهاب و مثله اِخروَّطَ * و قوله وثب الى الناقة فرحلها يعني شدَّ عليها الرحلَ و به سميت الراحلة لانها فاعلة في معنى مفعولة كقوله تعالى في عيشةٍ راضيةٍ اى مرضية و من ماء دافق اى مدفوق و الراحلة تقع على الناقة و الجمل و دخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية و راوية * و قوله اِرتحلها اي ركبها و فى الحديث ان النبي صلى الله عليه و سلم سجد فركبه الحسن رضي الله عنه فابطأ في سجوده فلما قضى صلوته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اُعجله * و قوله و رحَّلها - اى ازعجها و اشخصها و اجدَّ بها في الرحيل و منه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قَعْرِ عَدَنَ تُرحِّلُ الناس * و قوله فادلِجي و ابي و اَسْدي - الادلاج ان تسير الليلَ

(†) و اسمه عبد بن الاعرج على وزن العاصي بن مهرة *

كله و الاسم منه الدَّلْجَة بفتح الدال و الادلاج بالتشديد ان تسير من آخره و الاسم منه الدُّلْجة بضم الدال و قيل ان الدلجة بفتح الدال و ضمها بمعني واحد * و التاويب سير النهار وحده * و الاسآد ان تسير ليلا و نهارا * و النشج ان تشرَبَ دون الرِّيّ * و قوله فاخذهم ما قَدُمَ و ما حَدُثَ يقال ذلك لمن تستولى الهمومُ عليه و تتلاعب به و تُضمّ الدَّالُ من حَدُثَ في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظَ قَدُمَ فان أُفرد حدث عن قدُم وجب فتح الدال من حدث و مثله قولهم هنأني و مرأني بحذف الالف من أمرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردتَه وجب ان تقول أمرأني الشيءُ و كذلك يقولون رِجْسٌ نَجْسٌ فيكسرون النون من نَجِس و يُسكنون الجيم ليزاوج لفظةَ رِجْسٍ فان أُفرِدَ قيل نَجِسٌ بفتح النون و الجيم كما قال الله تعالى انما المشركون نَجَسٌ * و قوله ذهبنا تحت كل كوكب - هذا مثل يُضرَبُ لمن يختلفُ في السفر طرقُهم و تتباينُ سبلُهم *

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت أخذتُ عن أُولى التجاريب * ان السفر مرأة الاعاجيب * فلم ازل اجوبُ كلَّ تنوفة * و اقتحم كلَّ مخوفة * حتى اجتليت كل اطرفة * فمن احسنِ ما لمحتُه * و اغربِ ما استملحتُه * اني حضرتُ قاضي الرَّمّانة * و كان من ارباب الدولة والصولة * و قد تراقع اليه بالٍ في بالٍ * و ذاتُ جمال في

أسمال * فهمّ الشيخ بالكلام * و تبيان المرام * فمنعته الفتاة من الافصاح * و خسأته عن الفباح * ثم نضت عنها فضلة الوشاح * و أنشدت بلسان السليطة الوقاح * نظم

يا قاضيَ الرملة يا ذا الذي * في يده الثمرة و الجمرة
اليك اشكو جورَ بعلي الذي * لم يحجج البيت سوى مرّة
و ليته لمّا قضى نسكه * و خفّ ظهرا اذ رمى الجمرة
كان على رأي ابي يوسف * في صلة الحجّة بالعمرة
هذا على أني منذ ضمّني * اليه لم اعص له امرة
فمرة إما ألفة حلوة * ترضي و أما فرقة مرّة
من قبل ان أخلع ثوب الحيا * في طاعة الشيخ ابي مرّة

فقال له القاضي قد سمعتُ ما عزتك اليه * و توعدتك عليه * فجانب ما عرّك * و حاذر أن تفرك و تعرك * فجثا الشيخ على ثفناته * و فجّر ينبوع نعثاته * و قال *

نظم

إسمع عداك الذمّ قولَ امرئ * يوضح فيما رابها عذرة
و الله ما اعرضتُ عنها قلىً * و لا هوى قلبي قضى نذرة
و انما الدهر عدا صرفه * فابتزّنا الدرّة و الذرة
فمنزلي قفرٌ كما جيدها * عطل من الجزعة و الشذرة
و كنتُ من قبلُ أرى في الهوى * و ديده رأي بني عذرة
فمذ نبا الدهر هجرتُ الدمى * هجران عفّ آخذ حذرة
و ملتُ عن حرثي لا رغبةً * عنه و لكن اتقي بذرة
فلا تلم من هذه حالُه * و اعطف عليه و احتمل هذرة

قال فالتظت المرأة من مقاله * و انتضت الحجج لجداله *

و قالت له ويلك يا مَرْقعانُ * يا مَن هو لا طعامٌ و لا طعانْ (§) *
اتضيق بالواد ذرعا * و لكل أُكولة مرعى * لقد ضلَّ فهمُك و اخطأ
سهمُك * و سَفِهَتْ نفسُك * و شقِيَتْ بك عرسُك * فقال لها
القاضي أمَّا انتِ فلو جادلتِ الخَنساء * لانثَنَتْ عنك خَرساء *
و امَّا هو فان كان صدق في زُعمه * و دعوي عُدْمه * فله في هِمَّ قبقبه *
ما يشغَلهُ عن ذَبْذَبه * فاطرقتْ تنظُرُ أَوزارا * و لاترجعُ حِوارا *
حتى قلنا قد راجعها الخَفَر * او حاق بها الظفر * فقال لها الشيخ
نعساً لكِ إن زخرَفْتِ * او كتمتِ ما عرفتِ * فقالت ويحك
و هل بعد المنافرة كتم * او بقي لنا على سرٍّ ختم * و ما فينا الا من
صدَق * و هتَك صونَه اذ نطَق * فليتَنا لافيْنا البَكَم * و لم نلق
الحَكَم * ثم التفعتْ بوشاحها * و تباكَتْ لافتضاحها * و جعل
القاضي يعجَبُ من خَطْبهما و يُعجِّبُ * و يلومُ الدهرَ لهما
و يُؤَنِّبُ * ثم احضَر من الورق الفيْن * و قال ارضيا بهما الاجوفَيْن *
و عاصيا الفارغَ بين الالفَيْن * فشكراهُ على حسن السَّراح * و انطلقا
و هما كالماء و الراح * و طفِق القاضي بعدُ مَسرَحهما * و تدائي
شَبَحهما * يُثْني على آدبهما * و يقول هل من عارفٍ بهما *
فقال له عينُ اعوانه * و خالصةُ خُلْصانه * اما الشيخ فالسروجيُّ
المشهود بفضله * و اما المرأة فقعيدة رَحْله * و امَّا تحائُمهما
فمكيدة من فِعْله * و أُحبولة من حبائل خَتْله * فاحفَظَ
القاضيَ ما سَمِعَ * و تلهَّبَ كَيْفَ خُدِعَ * ثم قال للواشي بهما *
قم فرُدْهُما * ثم اقصِدْهُما و صِدْهُما * فنهَض ينفُضُ مِذْرَوَيْه * ثم
عاد يضربُ أَصْدَرَيْه * فقال له القاضي اظهِرْنا على ما نبثتَ *

(§) لاطعام عنده و لا طعان .

و لا تُخف عدًا ما استخبثتَ * فقال ما زلتُ استقرى الطُّرق * و استفتحُ الغُلق * الى ان ادركتُهما مُصحرين * و قد زمَّا مطى البين * فرغَّبتُهما في العَلَل * و كفلتُ لهما بنَيْل الامل * فأشرب قلبُ الشيخ ان ييأسَ * و قال الفرارُ بقرابِ اكيَسُ * و قالت هي بَل العَودُ احمدُ * و الفروقةُ يكمدُ * فلما تبيَّن الشيخُ سَفَهَ رأيها * و غَرَرَ اجترائها * امسك ذَلاذلَها * ثم انشأ يقول لها * نظم

دونك نصحي فاقتفي سُبْلَه * و اغني عن التفصيل بالجُمله
طيري متى نَقَرتِ من نخلةٍ * و طَلقيها بَتَّةً بتْلَه
و حاذري العَودَ اليها و لو * سبَّلها ناطورُها الابلَه
فخيرُ ما للّصِّ ان لا يُرى * ببُقعةٍ فيها له عمْلَه

ثم قال لي لقد عُنيتَ بما وُلّيت * فارجع من حيثُ جئتَ *

و قل لمسلك ان شئت * نظم

رويدك لا تعقب جميلك بالذى
فتضحى و شملُ المال و الحمد مُنصدعْ
و لا تتغضَّبْ من تزيُّد سائل
فما هو في صَوغ اللسان بمُبتدعْ
و ان تكُ قد ساءتْك مني خديعةٌ
فقبلك شيخُ الاشعريّين قد خُدعْ

فقال القاضي قاتله الله فما احسن شُجُونه * و املحَ فُنُونه * ثم انه اصحب رائدُه بُردَين * و صُرَّةً من العين * و قال له سِرْ سَيرَ من لا يرى الالتفات * الى ان ترى الشيخَ و الفتاة * فبُلَّ يدهما بهذا الحباء * و بيّنْ لهما انخداعي للادباء * قال الراوي فلم ار في الاغتراب * كهذا العُجاب * و لا سمعتُ بمثله ممن جال و جاب *

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حدث الحارث بن همام قال نزع بي الى حلب * شوق غلب * وطلبٌ نابه من طلب * وكنتُ يومئذٍ خفيفَ الحاذ * حثيثَ القَفاذ * فاخذت اهبة السير * وخففتُ نحوها خُفوف الطير * ولم ازل مُذ حللتُ رُبُوعها * وارتبعتُ ربيعها * أُفاني الايام * فيما يشفي الغَرام * ويُرْدي الأُوام * الى ان اقصر القلبُ عن وَلُوعه * واستطار غُرابُ البين بعد وُقُوعه * وغرائي البالُ الخلو * والمَرَحُ الأحلى * بان اقصد حمص لاعطاف بُقْعتها * واسبُرَ رَقاعةَ اهل رُقعتها * فاسرعتُ اليها إسراعَ النجم * اذا انقضَّ للرَّجم * فحين خيَّمتُ برسُوعها * ووجدتُ روحَ نسيمها * لَمَح طرفي شيخا قد اقبل هَوبَرُه وادبر غريرُه * وعنده عشرةُ صبيان * صِنوانٌ وغيرُ صِنوان * فطاوعتُ في قصدة الحرص * لاخبُرَه أدباءَ حمْص * فبَشَّ (†) بي حين رأيتُه * وحيَّا (‡) باحسن مما حيَّيته * فجلستُ اليه لابلُوَ جني نطقه * وانتَنَه كُنهَ حُمقه * فما لبث ان اشار بعُصَيَّته * الى كُبْر اُمَيْنِيَته * وقال له انشد الابيات العواطل * واحذران تُماطلَ * فجثا جِثْوةَ ليث *

وانشد من غير ريث * نظم

اعدد لحُسّادك حدَّ السِّلاح * واورِدِ الآمالَ وِرْدَ السَّماح
وصارِمِ اللهو وصَلْ الهَوى * واعمِلِ الكُومَ وسُمَّرَ الرِّماح

(†) فهش (‡) حباني *

واسعَ ادراك محـــلّ سما * عمـادُه لا لادّراع المـــراح
و الله ما السودَدُ حسوُ الطّلا * و لا مُرادُ الحَمد رُدُّ رَداح
راهاً لحُـــرٍّ صدرُه واســـعٌ * و همّه ما سرَّ اهلَ الصلاح
مورده حلـــوٌ لسُـــوّاله * و ماله ما سألوه مُطـــاح
ما اســـمعَ الآملَ ردّاً و لا * مناطلَه و المطلُ لومٌ مُراح
و لا اطاعَ اللهـــوَ لمّا دنا * و لا كسا راحاً له كاسَ راح
سوّده اصـــلاحُـــه ســـرَّه * و ردّعه اهواءه و الطّمـــاح
و حصّـــلَ المدحَ له علمه * ما مُهر العُرْ مُهورَ الصحاح

فقال له احسنت يا بُدَير * يا راسَ الدّير * ثم قال للّوه * المشتبه بصنوه * أدنُ يا نُوبرةُ * يا قمر الدّوبرة * فدنا و لم يتباطأ * حتى حلّ منه مقعد المُعاطى * فقال له أجلُ الابيات العرائس و ان لم يكن نفائس * فبرى القلمَ و قطّ * ثم احتجر اللوح و خطّ * نظم

فتَنتني فَجَنّتني تجنّي * بتجنٍّ يفتّنّ غبّ تجنّي
شغفتني بجفن ظبي غضيض * غنج يقتضي تغيُّض جفني
غشيتني بزينتبـــن فشقّتـــني بزيّ يشفّ بين تثنّي
فتظنّيتُ تجتبيني فتجزيـــني بنفث يشفي فخيّب ظني
ثبّتت فيّ غشّ جيب بتزيـــن خبيث يبغي تشقّي ضغني
فنزت في تجنّبي فتنتني * بنشيج يُشجي بفنٍّ ففنّ

فلما نظر الشيخ الى ما حبّره * و تصفح ما زبّره * قال له بورك فيك من طلا * كما بورك في لا و لا * ثم هتف أقرِبْ * يا قُطرُبُ * فاقترب منه فتىً يحكي نجمَ دُجية * او تمثال دمية * فقال له ارقم الابيات الاخياف * و تجنّب الخلاف * فاخذ القلم * و رقم * نظم

اسمح فبثُّ السّماح زينُ * و لا تخبْ آملاً تضيّفْ

و لا تُجـــز ردَّ ذي سؤال * فَنَّ ام فى السوال خَفَّف
و لا تظنّ الدهورَ تُبقى * مالَ ضنين ولو تقشَّف
و احلُمْ فجفنُ الكرام يُغضي * و صدرُهم في العطاء نَفْنَف
و لا تخُنْ عهدَ ذي ود * ثبت و لا تبغ ما تزيَّف

فقالَ له لا شلَّتْ يداك * و لا كُلَّتْ مُداك * ثم نادى يا غَشْمَشُم * يا عِطرَ مَنْشَم * فلبّاهُ غلامٌ كدُرَّةٍ غوّاص * و جُؤذر قنّاص * فقال له اكتُبِ الابيات المتقدّم * و لا تكن من المشائيم * فتناولَ القلمَ المثقّفَ * و كَتَب و لم يتوقّف * نظم

زُيّنتْ زينتُ بقــدٍّ يُقــدُّ * و تلاهُ وَيْــلاهُ نَهْــدٌ يُهــدُّ
جِيدُها جِيدُها و ظرفٌ و ظرفٌ * ناعسٌ ناعسٌ بخــدٍّ يُخُدُّ
قدُّها قدُّها و تاهَتْ و باهَتْ * و اعتَدَتْ و اغتَدَتْ بخدٍّ يُخُدُّ
فارقتني فارقتنــي و شطَتْ * و سَــطَتْ ثم ثَمَّ وجدٌ و جَدُّ
دنَتْ نَدَيَتْ و حنَّتْ و حَيَّتْ * مُغضَبــاً مُغضَبــاً يَوَدُّ يَوَدُّ

فطفق الشيخ يتأمّلُ ما سطَره * و يقلّبُ فيه نظَرَه * فلما استحسَنَ خطَّه * و استصحَّ ضبطَه(†) * قال له لا شلَّ عُشرُك * و لا استخبث نشرُك * ثم اهابَ بفتىً فتّانٍ * يسفرُ عن ازهار بستان * فقال له انشد البيتين المطرفين * المشتبهى الطرفين * اللذين اسكتا كلَّ ناطق * و امنا ان يُعزّزا بثالث * فقال له اسمع لا وُقِرَ سمعك * و لا هُزِمَ جمعك * و انشد من غير ثلبٍ و لا تردُّد * نظم

سِمْ سِمَةً نحسُــنُ آثارها * و اشكرُ لمن اعطى و لو سمسمَهْ

(†) و استصح شكله و ضبطه و في بعض النسخ فلما استملح خطه و ارتضى شكله و ضبطه *

والمكر مهما استطعت لا تاته * لتقتني السودد و المكرمة

فقال له احسنت يا زعلول * يا ابا الغلول (†) * ثم نادى ارضح يا ياسين * ما يشكل من ذوات السين * فنهض و لم يتأن * و انشد بصوت اغن * نظم

نقس الدواة و رسخ الكف مثبتة * سينـــاهما خطـــا وان درسا

و هكذا السين في قسب و باسقة * والسفح والبخس واقسر واقتبس قبسا

و في تقسست بالليل الكلام و في * مسيطر و شموس و اتخذ جرسا

و في قريس و برد قارس فخذ الصـ * ـوب مني كن للعلم مقتبسا

فقال له احسنت يا نغيش * يا صاحة الجيش * ثم قال ثب يا عنبسة * و بين الصادات الملتبسة * فوثب وثبة شبل مذار * و انشد (‡) من غير عثار * نظم

بالصاد يكتب قد قبضت دراهما * باناملي و اصخ لتستمع الخبر

و بصقت ابصق والصماخ وصحة * و القص و هو الصدر و اقتص الاثر

و بخصت مقلته و هذي قرصة * و قد ارعدت منه الفريصة للخور

و قصرت هذا الى حبست وقددنا * قصح النصارى و هو عيد منتظر

و قرصته و الخمـــر قارصة اذا * حذت اللسان و كل هذا مستطر

فقال له رعيا لك يا بني * فلقد اقررت عيني * ثم استنهض ذا جثة كالبيدق * ونغشة كالشوذق * و امره بان يقف (§) بالمرصاد * و يسرد ما اجري على السين و الصاد * فنهض يسحب بردية * ثم انشد مشيرا بيديه * نظم

ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه * و ان تشأ فهو بالصادات يكتتب

مغس و نقس و مسطار و مملس * و سالغ و سراط الحق و السقب

(†) يا ابا الغول (‡) ثم انشد (§) و امره ان يقف *

المغس الوجع المعترض في الجوف و هو مسكّن الغين و القمس نقس البيضة * و المُسطار الخمرة المرة و يقال لها المسطارة ايضا * و المماس الذي يسقط من يديك و لا تشعر به * و السالغ آخر أسنان ذوات الظّلف * و السقب القرب * نظم

و السامغان و سقرُ والسويق و مِشْـلاقٌ و عن كل هذا تُفصح الكتب السامغان جانبا الفم * و المسلاق الشديد الصوت * و منه قوله تعالى سَلَقُوكم بألسنة حداد * فقال له احسنت ياحبقةُ * يا عين بقّة * ثم نادى يا دُغفَل * يا ابا زَنْفَل * فلباه فتًى احسنُ من بَيْضة * في روضة * فقال له ماعقد هجاء الافعال * التي آخرها حرف الاعتلال * فقال له اسمع لاصَمَّ صداك * و لا سمعتْ عداك * ثم انشد * و(†) ما استرشد * نظم

إذا الفعلُ يوما غَمَّ عنك هجاؤه * فالحق به تاءَ الخطاب و لا تقف فانن و قبل التاء ياءً فكتبُـه * بياء و الا فهو يُكتب بالالف و لا تحسب الفعل الثلاثي والذي * تعدّاه و المهموز في ذا ك يختلف فطَرِبَ الشيخ لما ادّاه * ثم عوّده وفدّاه * ثم قال هلمّ يا قعقاعُ * يا باقعةَ البقاع * فاقبل فتىً احسنُ من نار القرى * في عين ابن السُّرى * فقال له إصدَعْ بتمييز الظاء من الضاد * لتصدع اكباد الاضداد * فاهتزّ لقوله و اهتَشّ * ثم انشد بصوت اجَشّ * نظم

ايها السائلي عن الظاء و الضا * د لكيما تُضلّـهُ الألغـاظ انّ جغظ الظاءات يُغنيك فاسـ*ـمعها استماع امرئ له إستيقاظ هي ظَمياءُ و المَظـالم و الاظـ*ـلام و الظلـم و الظّبى و اللحاظ

(†) بعد •

و العظا و الطليم و الظَّبي و الـ*ـشيظم و الظَّل و اللَّظى و الشُّواظ و التَّظَنِّي و اللَّغظ و النظم و الدَّ*ـريظ و القيظ و الظماء و اللمـــاظ و الحظي و النظير و الظُّرو الجـ*ـاحظ و النـــاظرون و الايقـــاظ و التشظِّي و الظِّلْف و العظم و الظُّفـ*ـبوب و الظهر و الشظى و الشِّظاظ و الاظافيـــر و المظفـــر و المحـ*ـظور و الحافظون و الاحفاظ (*) و الحظيـــرات و المظنة و الظفـ*ـة و الكاظمـــون و المغـــتاظ و الوظيفات و المواظب و الكظَّـ*ـة و الانتظـــار و الالظـــاظ و نظيـــف و ظالع و عـــظيم * و ظبيـــر و الغظ (†) و الاغـــلاظ و نظيف و الظَّرف و الظَّلف الظا * هر ثم الغظيع (‡) و الوَعْظ و عُكاظ و الظعن و المَظّ و الحنـ*ـظـــل و القـــارظان و الارشاظ المظ رُمّان البَرّ * و القارظ جاني القرظ و هو النبات المدبوغ به * و الاوشاظ الاَخلاط و الجماعات * نظم

و ظراب الظران و الشَّظف الباسـ*ـهظ و الجَعْظَـــري و الجَوّاظ الظراب الرُّبا الصغار واحدها ظرب * و الظِّرّان الحجارة المحدَّدة واحدها ظرِر * و الشظف البؤس و سوء العيش * و الباهظ المثقل * و الجعظري المتنفخ (||) بما ليس عنده * و الجواظ الفاجر و قيل الاَكول المختال * نظم

و الظرابين و الحناظب و العُنْـ*ـظُب ثم الظيَّان و الارعاظ الظرابين جمع ظَرِبان و هي دابّة لا يُطاق نَسْوُها و تُجمَع ايضًا على ظَرابي بحذف النون و على ظِرْبى و هو شاذ (§) و لم يجئ على فعلى الا هذا و حِجْلى جمع حَجَل * و الحناظب ذُكور الخنافس *

(*) الاحفاظ (†) الفظ (‡) الفظيع (||) المنتفخ (§) و هو جمع شاذ *

و العُنْظُبُ ذكر الجراد * و الظَّيان ياسمين البر * و الاعاظ جمع عِنْظ و هو مدخل النصل في السهم * نظم

والشناظي والداظر(¶)والظأب والظبظاب و العُنْظُوان و الجِنْعاظ الشناظي نواحي الجبل * و الداظ الدفع * و الظأب الصخب($) و قد تُبدل الباء منه ميما و قيل ان الظاب و الظأم اسمان لسلف الرجل * و العُنْظُوان نَبت * و الظبظاب الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قَلَبة * و الجنعاظ الاحمق و قيل المتسخط عند الطعام * نظم

و الشناظير و التعاظُل و العِظْلِم و البَظْر بعدُ و الانعاظ الشناظير جمع شِنظير * و هو السيّئ الخُلق * و التعاظُل تلازم الجراد و الكلاب عند السِّفاد * و العِظْلِم الخَطْمي * نظم

هي هُذْي سوى الذوادر فاحفظها لتَقفو آثارَ الحفّاظ

واقض فيما صرفتَ منها كما تقتضيه في اصله كقيظ و قاظوا

فقال له الشيخ احسنتَ لأُنضُوك * و لا تُرَ من يجفُوك * فو الله انك مع الصبا الغَضّ * لاحفَظ من الارض * واجمع من يوم العرض * و لقد اوردتك و رُفقاك زلالي * و ثقّفتكم تثقيف العوالي * و الحقتكم جناح تكرمتي * و سقيتكم سُلافةَ كَرْمَتي * حتى لحقتم بالعِلْية * و تحلّيتم من الادب باحسن الحِلْية * فاذكُروني اذكُركم و اشكروا لي و لا تكفرون * قال الحارث بن همام فعجبت لما أبدى من براعة * معجونة برقاعة * و اظهر من حذاقة * ممزوجة بحماقة * و لم يزل بَصَري يصعَد فيه و يصوب * و يُقرّ عنه و يُنقّب * و هو كمن يَنظُر في ظَلْماء * او يسري في يهماء * فلما استراث تَنبّهي

(¶) الداظ ($) السخب .

و استدان تدلّفي * حملق اليّ و تبسم * و قال لم يبق من يتوسم *
فبُهتُ(†) لفحوى كلامه * و وجدته ابا زيد عند ابتسامه * و اخذت
الوهم على تدبّر بُقعة الدّوكى * و تخيّر حرفة الحمقى * فكأنّ وجهه
أسفٌ رمادا * او اشرب سوادا * الا انه انشد و ما تمادى * نظم
تخيّرت حمض و هذي الصّناعه * لأرزق خطوة اهل الرّقاعه
فما يصطفي الدهر غير الرقيع * و لا يوطن المال الا بقاعه
و لا اخى الثّاب من دهره * سوى ما لعبر ربيط بقاعه
ثم قال اما ان التعاليم اشرف صناعة * و اربح بضاعة * و انجح
شفاعة * و افضل براعة * و زُبه ذو امرة مطاعة * و هيبة مشاعة *
و رعيّة مطواعة * يتسيطر تسيطر امير * و يرتّب ترتيب وزير *
و يتحكّم تحكّم قدير * و يتشبّه بذي مُلك كبير * اولا انه يخرف
في آمد يسير * و يتسم بحمق شهير * يتقلّب بعقل صغير *
و لا يُنبئك مثل خبير * فقامت له قائله انك ابن الايام * و علم
الاعلام * و الساحر اللاعب بالأفهام * المذلّل له سُبُل الكلام * ثم
لم ازل معتكفا بناديه * مغترفا من سيل واديه * الى ان غابت
الايام الغُرّ * و نابت الاحداث الغُبر * ففارقته و لعيني الغُبر *

المقامة السابعة و الاربعون الحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجمت الى الحجامة و انا بحجر
اليمامة * فأرشدت الى شيخ يُحجم بلطافة * و يسفر عن نظافة *

(†) فبُهتُ .

فبعثت غلامي لاحضاره * و ارصدت نفسي لانتظاره * فابطأ بعد ما انطلق * حتى خلته قد ابق * او ركب طبقا من طبق * ثم عاد عود المخفق مسعاه * الكل على مولاه * فقلت له ويلك ابطأ فند * و صلود زند * فزعم ان الشيخ اشغل من ذات النحيين * و في حرب كحرب حنين * فعفف المشي الى حجام * و حرت بين اقدام واحجام * ثم رأيت الا تعنيف * على من ياتي الكنيف * فلما شهدت موسمه * و شاهدت ميسمه * رأيت شيخا هيئته نظيفة * و حركته خفيفة * و عليه من النظارة اطواق * و من الزحام طباق * وبين يديه فتى كالصمصامة * مستهدف للحجامة * والشيخ يقول له اراك قد ابرزت راسك * قبل ان تبرز قرطاسك * و ليتني قذالك * و لم تقل لي ذالك * و لست ممن يبيع نقدا بدين * و لا من يطلب اثرا بعد عين * فان انت رضخت بالعين * حجمت في الاخدعين * و ان كنت ترى الشح اولى * و خزن الفلس في النفس احلى * فاقرأ عبس و تولى * و اغرب عني و الا * فقال الفتى و الذي حرم موغ العين * كما حرم صيد الحرمين * اني لافلس من ابن يومين * فثق بسيل تلعتي * و انظرني الى سعتي * فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود * كغرس العود * هو بين ان يدركه العطب * او يدرك منه الرطب * فما يدريني ان يحصل من عودك جنى * ام احصل منه على ضنى * ثم ما الثقة بانك حين تبتعد * ستفي بما تعد * و قد صار الغدر كالتحجيل * في حلية هذا الجيل * فارحني بالله من التعذيب * و ارحل الى حيث يعوي الذئب * فاستوى الغلام اليه * و قد استولى الخجل عليه * و قال و الله ما يخيس بالعهد * غير الخسيس الوغد * و لا يرد

غدير الغدر * إلا الوضيع القدر * و لو عرفت من انا * لما اسمعتني الخنا * لكنّك جهلت فقلت * و حيث وجب ان تسجد بلت *

و ما اقبح الغربة و الاقلال * و احسن قول من قال * نظم

إن الغريب الطويل الذيل ممتهنٌ * فكيف حال غريب ما له قوتُ
لكنه ما تشين الحرّ موجعةٌ * فالمسك يسحق والكافور مفتوتُ
و طالما أصلي الياقوت جمر غضًا * ثم انطفى الجمر و الياقوت ياقوتُ

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك * و عولة اهليك * أ أنت في موقف فخر يظهر * و حسب يشهر * ام موقف جلد يكشط * و فقا يشرط * و هب أنّك البيت * كما ادّعيت * أ تحصّل بذلك * حجم قذالك * لا و الله و لو ان اباك آناف * على عبد مناف * او لخالك دان * عبد المدان * فلا تضرب في حديد بارد * و لا تطلب ما لست له بواجد * و باه اذا باهيت بموجود * لا بجدودك * و بمحصولك * لا باصولك * و بصفاتك * لا برفاتك * و باعلاقك * لا باعراقك * و لا تطع الطمع فيذلّك * و لا تتبع الهوى فيضلّك *

و لله القائل لابنه * نظم

بُنَيَّ استقم فالعود تذمي عروقه (‡) * قويما و يغشاه اذا ما التوى التوى (†)
و لا تطع الحرص المذلّ و كن فتًى * اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
و عاص الهوى المردي فكم من معانق * الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
و اسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى * على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
و حافظ على من لا يخون اذا نبا * زمان و من يرعى اذا ما النوى نوى
و ان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ * اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
و اياك و الشكوى فلم ترذا نهيً * شكى بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

(‡) فروعه (†) القوى نوي *

فقال الغلام للنظّارة يا للعجيبة * و الطُّرفة الغريبة * انف فى السماء * و است فى الماء * و لفظ كالصهباء * و فعل كالحصباء * ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط * و غيظ مستشيط * و قال أنّ لك من صَوّاغ باللسان * روّاغ عن الاحسان * تأمر بالبِرّ * و تَعُقّ عقوقَ الهِرّ * فان يكن سبب تعنّتك * نَفاق صنعتك * فرَماها الله بالكساد * و افساد الحُسّاد * حتى تُرى افرغ من حجّام ساباطَ * و اضيق رزقا من سمّ الخياط * فقال له الشيخ بل سأّط الله عليك بَتْر الفم * و تبيُّغ الدم * حتى تُلجأ الى حجام عظيم الاشتاط * ثقيل الاشتراط * كليل المِشراط * كثير المُخاط و القُراط * قال فلما تبين الفتى أنه يشكو إلى غير مُصمِت * و يُوارِد استفتاحَ بابٍ مُصمَت * اضرب عن رَجْع الكلام * و اختفز للقيام * و عَلِم الشيخ انه قد الام * بما اسمع الغلام * فجنَح الى سلْمه * و بذل ان يُذعن لحكمه * و لا ينبغي اجرا على حجمه * و ابى الغلام الا المشي بدآئه * و الهَرَب من لقائه * و ما زالا في حِجاج و سباب * و لِزاز و جِذاب * الى ان ضَجّ الفتى من الشِّقاق * و تلا رُدُنُه سُورة الانشقاق * فاعول حينئذ لوفارة خُسْره * و انعطاط عِرضه و طُمْره * و أخذ الشيخ يعتذر من فَرطاته * يُغَيِّض من عَبراته * و هو لا يُصغي الى اعتذاره * و لا يُقصر عن استعباره * الى ان قال له فَداك عَمّك * و عَداك ما يُغُمّك * اما تَسأم الاعوال * اما تَعرف الاحتمال * الم تسمع بمن اقال * و اخذ بقول من قال *

نظم

إحمد بحلمك ما يُذكيه ذو سَفَهٍ
من نار غيظك واصفح ان جنا جَاني

فالحلم افضل ما اردان اللبيب به
و الأخذ بالعفو حلى ماجنى جانى

فقال له الغلام * اما انك لو ظَهرت على عيشى المنكدر * لَعذرت في دمعى المنهمر * و لكن هان على الاملس ما لاقى الدَّبِر * ثم كأنه نزع الى الاستحياء * فاقلع عن البكاء * و فاء الى الارعواء * و قال للشيخ قد صرتُ الى ما اشتهيتَ * فارقع ما أوهيتَ * فقال هيهات شغلتْ شعابي جَدوليَ * فشم بارقَ سوايَ * ثم انه نهض يستقري الصُّفوف * و يستجدى الوقوف * و ينشد في ضمن ما يطوف * نظم

أقسمُ بالبيت الحرام الذي * تهوي اليه الزُّمَرُ المُحرِمه
لو أنَّ عندي قُوتَ يوم لما * مسَّت يدي المشراط والمحجمه
و لا ارتضت نفسى التي لم تزل * تسمو الى المجد بهذى السِّمه
و لا اشتكى هذا الفتى غلظةً * مني و لا شاكته مني حُمَه
لكن صروف الدهر غادرتني(†) * كخابط فى الليلة المظلمه
و اضطرني الفقر الى موقف * من دونه خَوض اللَّظى المُضرَمه
فهل فتىً تُدركه رِقَّة * طىٌّ او تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبلواه * و رَقَّ لشكواه * فنفحتُه بدرهمين * و قلتُ لا كانا و لو كان ذا مين * فابتهج بباكورة جَناه * و تفاءل بهما لغناه * و لم تزل الدراهمُ تنهالُ عليه * و تنثال لديه * حتى آل ذاعيشة خضراء * حقيبة بَجْراء * فازدهاه الفرح عند ذلك * و هنأ نفسه هنالك * و قال للغلام هذا ربع انت بذره * و حلب لك شطره * فهلُمَّ لنقتسم * و لا نحتشم * فتقاسماه بينهما شقَّ الأبلمه * و نهضا متفقى الكلمه * و لما انتظم

(†) غادرتني *

عقد الاصطلاح * و همّ الشيخ بالرواح * قلت له قد تبوّغ دمي *
و نقلت اليك قدمي * فهل لك في ان تحجّمني * و تُكفكف
ما دمعني * فصوّب طرفه ي و صعّد * ثم اردلف الّي و انشد * نظم
كيف رايت خُدعتي وخَتلي * و ماجرى بيني و بين سَخْلي
حتى انثنيتُ فائزا بالخَصْل * أرعى رياض الخصب بعد المَحْل
بالله يا مهجةَ قلبي قل لي * هل ابصرَتْ عيناك قطّ مثلي
يفتحُ بالرُّقيةِ كل قفل * و يستبي بالسحر كل عَقْل
و يعجنُ الجِدَّ بماء الهزل * إن يكُن الاسكندريّ قَبْلي
فالطَّلُّ قد يبدُو امام الوَبْل * و الفضل للوابل لا للطَّلّ
قال فنبّهتني ارجوزته عليه * و ارتني انّه شيخُنا المشار اليه *
فقزّعتُه على الابتذال * و الالتحاق بالارذال * فاعرضَ عما سمع *
و لم يُبَلْ بما قُرِّع * و قال كُلّ الحِذاء يحتذي الحافي الوقع * ثم
قاصاني مقاصاة المُهان * و انطلق هو و ابنُه كفرسي رِهان *

قال ابو محمد القاسمُ بن عليّ رضي الله عنه * قد اردعت هذه
المقامة بضعةَ عشَرَ مثلا من امثال العرب * و ها انا أفسّرُ منها
ما خلته (†) يلتبس على من يقتبس * اما قوله بُطء فذٍّ - فهو
مولى عايشةَ بنت سعد بن ابي وقّاص و كانت بعثته بالمدينة
ليقتبسَ لها نارا فقصد مصر واقام بها سَنَة ثم جاءها بعد السنة
يشتدُّ و معه جمرٌ فتبدّد منه فقال نعَست العَجَلةُ * و اما
ذاتُ النحيين - فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرَتْ سُوقَ
عُكاظَ و معها نحيا سَمْنٍ فاستخلى بها خَوّاتُ بن جُبَير الانصاري
ليبتاعهما منها ففتح احدهما و ذاقَه و دفعه اليها فاخذَتْه

(†) اخاله *

باحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه و دفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى ثم غشيها و هي لا تقتدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم التحيين و شحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضرب المثل فيمن شغل و هي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت و اكثر الامثال التي على افعل ياتي من فعل الفاعل * و اما قوله انف في السماء و استٌ في الماء - فيضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا و يصغر فعالا * و اما قوله افرغ من حجام ساباط - فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجندي بدانق نسيئة و ربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد فكان يبرز امة عند تمادي عطلته فيحجمها نكيلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها و ماتت * و اما قوله يشكو الى غير مصمت - فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه و لا يبالي باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصمت و امسك عن الكلام و منه قول الراجز يخاطب جملا له *

نظم

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل او مت

و نحو هذا المثل هان على الافلس ما لاقى الدبر * و اما قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب النواحي و احدها شعب * و قوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع - معناه ان المجهود يقنع بما يجد و الوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها * فاما البعير الموقع - فهو الذي يكثر آثار الدبر بظهره *

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية

روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي * قال ما زالت مُذ رحلت عنسي * وارتحلت عن عِرْسي وغِرْسي * احنّ الى عيان البَصْرة حنين المظلوم الى النُّصرة * لما اجمع عليه ارباب الدّراية * واصحاب الرّواية * من خصائص معالمها وعُلمائها * ومآثر مُشاهدها وشُهدائها واسأل الله تعالى ان يُوطّئني ثراها * لافوز بمرآها * وان يُمطيَني قِراها * لافتري قِراها * فلما احلّتني الحظّ * وسرح لي فيها اللحظ * نظم

رأيت بها ما يملا العين قُـرّة * ويُسلي عن الاوطان كلّ غريب
فنلتُ في بعض الايام * حين نصل خضابُ الظّلام * وهتف ابو المُنذر بالذُّوّام * لاخطُو في خطّها * وافضي الوطَر من توسّطها * فادّاني الاختراق في مسالكها * والاتصالات في سكّتها * الى محجّة موسومة بالاحترام * منسوبة الى بني حَرام * ذات مساجد مشهودة * وحياضٍ مَوردة * ومبانٍ وثيقة * ومَغانٍ انيقة * وخصائص اثيرة * ومزايا كثيرة * نظم

بها ما شئتَ من دين ودنيا * وجيـرانٍ تنافَوا في المعاني
فمشعوفٌ بآيات المثـاني * ومفتـونٌ بـرنّات المثاني
ومضطلـعٌ بتلخيص المعاني * ومُطّلـعٌ الى تخليص عاني
وكـم من قارئٍ فيـها وقارٍ * اضـرّا بالجُفـون وبالجفـان
وكـم من مُعلـم للعلم فيها * وذادٍ للنّـدى حُفَر المجاني

و مَغنىً ما تزال تُغنّ فيـــه * اغاريـــدُ الغـــواني و الاغاني
فَصِلْ ان شئتَ فيها من يُصلّي * و إمّا شئتَ فادنُ من الدّنان
و دونكَ مُحبـــةَ الاكياس فيها * ارِ الـــكاسات مُنطلـــقَ العِنان
قال فبينما انا انفُض طُرقَها * و استشفُّ رونقَها * اذ لمحتُ عند
دُلوك براح * و اظلال الرَّواح * مسجِدا مشتهرا بطرائفه * مُزدهرا
بطوائفه * و قد اجرى اهله ذكر حروف البدل * و جَرَوا في
حَلبة الجَدَل * فعجتُ نحوَهم * لاستطرَ نوءهم * لا لافتبس
نحوَهم * فلم يكُ الا كقبسة العَجلان * حتى ارتفعت الاصواتُ
بالاذان * ثم ردف الاذانين بروزُ الامام * فاغمدت ظُبَي الكلام *
و حُلّت الحُبى للقيام * شُغلنا بالقنوت * عن استمداد القوت *
و بالسجود * عن استنزال الجود * و لما قُضيَ الفرض * و كاد
الجمع ينفضُّ * انبرى من الجماعة * كهَلٌ حُلو البراعة *
له مع السَّمت الحَسَن * ذلاقة اللَّسن * و فصاحة الحَسَن * و
قال يا جيرتي * الذين اصطفيتُهم على اغصان شَجَرتي * و جعلتُ
خطّتَهم دار هجرتي * و اتخذتهم كَرشي و عيبتي * و اعددتهم
لمحضري و غيبتي * اما تعلمون انّ لبوس الصدق ابهى الملابس
الفاخرة * و ان فُضوح الدنيا اهوَن من فُضوح الاخرة * و ان الدين
إمحاضُ النصيحة * و الارشادُ عنوان العقيدة الصحيحة * و ان
المُستشارَ مؤتمَنٌ * و المسترشدَ بالنصح قَمِنٌ * و ان اخاك
هو الذي عذَلك * لا الذي عذَرك * و صديقك من صدَّقك *
لا من صدقك * فقال له الحاضرون ايها الخِلُّ الودود * و الخِدْن
المودود * ما سرُّ كلامك الملغز * و ما شرح خطابك الموجز *
و ما الذي تبغيه منا لينجز * و لو اعجز * فوالذي حبانا

بصحبتك * و جعلنا من صفوة احبتك * ما نالوك نصحا * و لا ندخر عنك نصحا * فقال لهم جُزيتم خيرا * و وقيتم ضيرا * فانكم ممن لا يشقى بهم جليس * و لا يصدر عنهم تلبيس * و لا يخيب فيهم مظنون * و لا يُطوي دونهم مكنون * سأُبثكم ما حكَّ في صدري * و استفتيكم فيما عيل له صبري * اعلموا اني كنت عند صُلود الزَّند * و صدود الجَد * اخلصت مع الله نية العقد * و اعطيته صفقة العهد * على ان لا اصبا مُدامة * و لا اعاقر نَدامى * و لا احتَسي قهوة * و لا اكتسي نشوة * فسوَّلت لي النفسُ المضلة * و الشهوة المزلّة * ان نادمتُ الابطال * و عاطيت الارطال * و اضعت الوَقار * و ارتضعت العقار * و امتطيت مطا الكميت * و تناسيتُ التوبة كالمَيْت * ثم لم اقنع بهاتيكُم المَرَّة * في طاعة ابي مُرَّة * حتى عكفتُ على الخَنْدَريس * في يوم الخميس * و بتُّ صريع الصهباء * في الليلة الغراء * و ها انا بادي الكآبة * لرفض الاذابة * نامي الندامة * لوصل المداعة * شديد الاشفاق * من نقض الميثاق * معترفٌ بالاسراف * في عَبِّ السُّلاف * فيا قوم هل كفّارة تعرفونها تُباعدُ من ذنبي * و تُدني الى ربي * قال ابو زيد فلما حلَّ أُنشوطةُ نَفْثه * و قضي الوطَرَ من اشتكاء بَثّه * ناجتني نفسي يا ابا زيد * هذه نُهزةُ صيد * فشمِّرْ عن يدٍ و أيد * فانتهضت من مَجثمي انتهاض الشهم * و انخرطت من الصف انخراط السهم * و قلت *

نظم

ايهـــا الاروع الـــذي * فاق مجـــدا و سوددا
و الذي يبتغـــى الرشا * د لينجـــو به غـــدا

ان عذلي علاج ما * بتّ منه مُسهّدا
فاستمعها عجيبة * غادرتني مُلَدَّدا
انا من سائني سَرِ * جَ ذوى الدين و الهدا
كنتُ ذا ثروة بها * و مطاعًا مُسوَّدا
مَربعي مألفُ الضُيو * فِ و مالي لهم سُدا
اشتري الحمدَ باللّهى * واقى العِرضَ بالجَدا
لا أُبالي بمُنفِسٍ * طاح في البَذْل و النَّدا
أُوقد النارَ باليفا * عِ اذا الكِسرُ اخمدا
و يَراني المُؤمّلو * نَ مَلاذا و مَقصدا
لم يشم بارقي عِد * فانثنى يشتكي الصَّدا
لا و لا رام قابسٌ * قدحَ زَندي فاصلَدا
طالَما ساعدَ الزما * نُ فاصبحتُ مُسعدا
فقضى الله ان يغـ * ـيّرَ ما كان عَوَّدا
يَوَّأ الروم ارضنا * بعد ضِغنٍ تولّدا
فاستباحوا حريمَ مَن * صادفوه مُوحِّدا
و حَوَوْا كلَّ ما استسـ * ـرَبها لي و ما بَدا
فتطَوَّحْتُ في البلا * د طريدا مُشَرَّدا
اجتدى الناسَ بعد ما * كنت من قبلُ مجتدا
و ترى به خصاصة * اتمنى لها الردا
و البلاءُ الذي به * شملُ أُنسي تبدّدا
إستباءُ ابنتي التي * اسرُوها لتُفتدا
فاستبِنْ محنتي و مُـ * ـدَّ الى نصرتي يدا
و اجرني من الزما * نِ فقد جار و اعتدا

و اعتـــي على فـــكا * ك ابنتي من يد العدا
فبـــذا تنمحـــى المآ * ثم عـــمـــن تمـــردا
و به تُقبَـــلُ الانا * بَةُ ممـــن تزهّدا
و هو كفّـــارةٌ لمـــن * زاغ من بعد ما اهتدا
و لئن قمتُ منشدا * فلقـد فُهْتُ مرشدا
فاقبل النُّصحَ و الهـــدا * يَةَ و اشكُـــرْ لمن هدا
و اســـمح الآنَ بالذي * يتـــسنّـــى لتحمـــدا

قال ابو زيد فلما اتممتُ هذه رمتي * و اُوهِمَ المسئولُ صدقَ كلمتي * اغراهُ القرمُ الى الكرم بمُواساتي * و رغّبهُ الكلفُ بحمْل الكُلَف في مُقاساتي * فرضَخَ لي على الحافرة * و نضَحَ لي بالعدة الوافرة * فانقلبتُ الى وكْري * فرحًا بُنجْح مكري * و قد حصّلتُ من صَوْغ المكيدة * على سوغ الذّريدة * و وصلتُ من حُوك القصيدة * الى لَوْك العَصيدة * فقال الحارث بن همام فقلت له سبحان من ابدَعك * فما اعظمَ خُدَعك * فاستغربَ في الضحك * ثم انشد غير مُرتبك * نظم

عِشْ بالخداع فانتَ في * دهرٍ بنُـــوه كأسُد بيشَـــهْ
و اَدِرْ قناةَ المـــكر حتّـــى تســـتديرَ رحا المعيشَهْ
و صـــد النُّســـورَ فان تعـــذّر صيدُها فاقنَعْ بريشَـــهْ
و اجْنِ الثّمارَ فان تفُتْكَ فرُضْ نفسَـــكَ بالحَشيشَـــهْ
و ارحْ فـــوادك ان نبـــا * دهر من الفكر المُطيشَـــهْ
فتغـــايُرُ الاحـــداث يو*نُ باستحالة كل عيشَـــهْ

المقامة التاسعة والاربعون الساسانية

حكى الحارث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضه * وابتزّ قيدُ الهَرَم النهضه * احضَرَ ابنه * بعد ما استجاش ذهنَه * وقال له يا بُنَيَّ انه قد دنا ارتحالي من الفناء * واكتحالي بمرود الفناء * وانت بحمد الله ولي عهدي * وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي * ومثلك لا تُقرع له العصا * ولا يُنبَّه بطَرْق الحصا * ولكن قد نَدَبَ الى الاذكار * وجُعل صيقلا للافكار * واني اوصيك بما لم يوصِ به شيثُ الأَبْباط * ولا يعقوبُ الاسباط * فاحفظ وصيتي * وجانب معصيتي * وَاخْذُ مثالي * وافقهْ امثالي (†) * فانك ان استنصحتَ نُصحي(‡) * واستصبحت بصبحي * امرع خانك (§) * وارتفع دخانك * وان تناسيت سُورتي * ونبذت مَشُورتي * قلّ رَمادُ آنافيك * وزهدَ اهلُك ورهطُك فيك * يا بُنَيَّ اني جرَّبتُ حقائق الامور * وبلوت تصاريف الدهور * فرايت المرء بنشبه لا بنشبه * والفحص عن مكسبه * لا عن حسبه * وكنت سمعت ان المعايش إمارة وتجارة * وزراعة وصناعة * فمارستُ هذه الاربع * لانظُرَ ايُّها اوفق وانفع * فما احمدت منها معيشه * ولا استرغدتْ فيها عيشة * اما فُرَصُ الولايات * وخُلَسُ الامارات * فكأضغاث الاحلام * والفيء المنتسخ بالظلام($) * وناهيك

(†) وتذكر امثالي (‡) استنصحت بنصحي - وفي نسخة - استرشدت بنصحي (§) ان استصبحت بصبحي واستنصحت نصحي طاب معاشك وطال انتعاشك وامرع الخ * ($) في الظلام *

غُصّة بمرارة الغطام * و اما بضائع التجارات * فعرضة المخاطرات * و طعمة للغارات * و ما اشبهها بالطيور الطيّارات * و اما اتخاذ الضياع * و التصدي للازدراع * فمنهكة للاعراض * و قيودٌ عائقة عن الارتكاض * فلما خلا ربّها من اذلال * او رُزق رَوح بال * و اما حِرَفُ اولى الصّناعات * فغير فاضلةٍ عن الاقوات * و لا نافقة في جميع الاوقات * و معظمها معصوب بشبيبة الحيوة * و لم ارَ ما هو بارد المغنم * لذيذ المطعم * وافي المكسب * صافي المشرب * الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها * ونوّع اجناسها * و اضرم في الخافقين نارها * و ارضع لبني غبراء مَنارها * فشهدت وقائعها معلماً * و اخترت سيماها لي ميسما * اذ كانت المتجر الذي لا يبور * و المَنهَل الذي لا يغور * و المصباح الذي يعشو اليه الجُمهور * و يستصبح به العُمي و العُور * و كان اهلها اعزّ قبيل * و اسعد جيل * لا يَرهقهم مَسٌّ حيف * و لا يُقلقهم سَلّ سيف * و لا يخشون حُمَة لاسع * و لا يدينون لدانٍ و لا شاسع * و لا يرهبون مَن بَرق و رَعد * و لا يحفلون بمن قام و قعد * انديتهم مُنزّهة * و قلوبهم مرفّهة * و طعمهم معجّلة * و اوقاتهم غُرٌّ محجّلة * اينما سقطوا لقطوا * و حيثما انخرطوا خرطوا * لا يتخذون اوطانا * و لا يتّقون سلطانا * و لا يمتازون عما يغدو خماصا * و يروح بطانا * فقال له ابنه يا ابت لقد صدقت * فيما نطقت * و لكنك رتقتَ و ما فتقتَ * فبيّن لي كيف اقتطف * و من اين تُوكل الكتف * فقال يا بُنيّ ان الارتكاض بابها * و النشاط جلبابها * و الفطنة مصباحها * و القحة سلاحها * فكُنْ اجول من قُطرُب * و اسرى من جُندَب * و انشط من ظبي مُقمِر * و اسلط من ذئب متنمّر * و اقدح

زند جدّك * بجدّك * واقرع باب رميك * بسعيك * وجُبْ كل فجّ * وخُضْ كل لجّ * وانتجع كل روض * والقِ دلوك الى كل حوض * ولا تسأم الطلب * ولا تملّ الدأب * فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان مَن طلب * جلَب * ومَن جال * نال * واياك والكسَل فانه عنوان النُّحوس * ولبوس ذوي البؤس * ومفتاح المَتْرَبة * ولقاح المَتْعَبه * وشيمة العَجزة الجهَلة * وشنشنة الوكَلة النُّكاة * وما اشتار العسل * مَن اختار الكسَل * ولا ملأ الراحة * من استوطا الراحة * وعليك بالاقدام * ولو على الضرغام * فان جُرأة الجنان * تُنطق اللسان * وتُطلق العنان * وبها تُدرَك الحُظوة * وتُمالَك الثَّروة * كما ان الخَور صِنو الكسل * وسبب الفشَل * ومبطأة للعمل * ومَخيبة للامَل * ولهذا قيل في المثَل * مَن جسَر * ايسَر * ومَن هاب * خاب * ثم ابرُزْ يا بُنَيّ في بُكور ابى زاجر * وجرأة ابي الحارث * وخَزامة ابي قُرّة * وختْل ابي جَعدة * وحرص ابي عُقبة * ونشاط ابى وثّاب * ومكر ابى الحُصين * وصبر ابي ايوب * وتلطُّف ابي غَزوان * وتأوّن ابي براقش * واخلُب بصَوغ اللسان * واخدع بسحر البيان * وارتَد السُّوق قبل الجلب * وامتر الضرع قبل الحلب * وسائل الركبان قبل المنتجع * ودَثّث لجنبك قبل المضطجع * واشحَذ بصيرتَك للعيافه * وانعم نظرك فى القيافه * فان من صدق توسُّمه * طال تبسُّمه * ومن اخطأت فراستُه * ابطأت فريستُه * ولكن يا بنيّ خفيف الكَلّ * قليل الدلّ * راغبا عن العَلّ * قانعا من الوَبْل بالطَّل * وعظّمْ وقع الحقير * واشكر على النَّقير * ولا تقنَط عند الرد * ولا تستبعد رشح الصلد * ولا تيأَس من رَوْح الله انه

لا ييأسُ من رَوح الله الا القومُ الكافرون * و اذا خُيِّرتَ بين دُرَّة منقودة * و درة مرعودة * فمِلْ الى النقد * و فضِّل اليومَ على الغد * فان للتأخير آفات * و للعزائم بدرات * و للعدات مُعقبات * و بينها و بين العجز عَقَبات * و عليك بصبر اولى العزم * و رفق ذوي الحزم * و جانب خُرْقَ المُشَطّ * و تخلّقْ بالخلق السبْط * و قيِّد الدرهم بالربط * و شُبّ البذل بالضبط * و لا تجعل يدك مغلولة الى عُنقك و لا تبسطها كلّ البسط * و متى نبا بك بلد * او نابك فيه كمد * فبُتّ منه املك * و اسرح عنه جملك * فخيرُ البلاد ما حملك * و لا تستثقلنّ الرحلة * و لا تكرهنّ المُقلة * فان اعلام شريعتنا * و اشياخ عشيرتنا * اجمعوا على ان الحركة بركة * و الطرادة سُفتجة * و زروا على من زعم ان الغربة كربة * و النُقلة مُمثلة * و قالوا هي تَعلّةٌ من اقتنع بالرذيله * و رضي بالحَشف و سوء كيله * و اذا ازمعتَ الاغتراب * و اعددت له العصا و الجراب * تَخير الرفيقَ المُسعدَ * من قبل ان تُصعد * فان الجار * قبل الدار * و الرفيق * قبل الطريق * نظم

خذها اليك وصية * لم يوصها قبلي احد
غرّاء حاويةٌ خلا * صات المعاني و الرُّبد
نَقّحتُها تنقيح مَن * مَحَض النصيحةَ و اجتهد
فاعمَلْ بما مَثّلتُه * عمل اللبيب اخي الرَّشَد
حتى يقول الناسُ هـ * ـذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بنيّ قد اوصيتُ * و استقصيت * فان اقتديتَ * فوالهًا لك * و ان اعتديتَ فآهًا منك * و اللهُ خليفتي عليك * و ارجو ان لا تُخلفَ ظني فيك * فقال له ابنه يا ابت لا رُفِعَ

عرشك * و لا رفع نعشك * فلقد قلت سددا * و علمت رشدا *
و بينت لي سودا * و نحلت ما لم ينحل والد ولدا * و لئن
أمهلت بعدك * و لاذقت فقدك * فلا تأدبن بآدابك الصالحه *
و لاقتدين بآثارك الواضحه * حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحه *
و الغادية بالرائحه * فاهتز ابوزيد لجوابه و ابتسم * و قال من اشبه
اباه فما ظلم * قال الحارث بن همام فاخبرت ان بني ساسان *
حين سمعوا هذه الوصايا الحسان * فضلوها على وصايا لقمان *
و حفظوها كما تحفظ أم القرآن * حتى انهم ليرونها الى الان *
اولى ما تقلده العجيان * و انفع لهم من نحلة العقيان *

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال أشعرت في بعض الايام همما برح بي
استعاره * و لاح على شعاره * و كنت سمعت ان غشيان مجالس
الذكر * يسرو غواشي الفكر * فلم ار لاطفاء ما بي من الجمره *
الا قصد الجامع بالبصره * و كان اذ ذاك مأهول المسانيد * مشفوه
الموارد * يجتنى من رياضه ازاهير الكلام * و يسمع في أرجائه
صرير الاقلام * فانطلقت اليه غيرون * و لا لاوعلى شان * فلما و طئت
حصاه * و استشرفت اقصاه * ترا أى لي ذو اطمار بالية * فوق
صخرة عالية * و قد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم *
و لا يتادى وليدهم * فابتدرت قصده * و توردت ورده *
و رجوت ان اجد شفائي عنده * و لم ازل انتقل في المراكز *
و اغضي للاكز و الواكز * الى ان جلست تجاهه * و بحيث
امنت اشتباهه * فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه * و لا لبس

يُخفيه * فتسوّى بمرآه همّى * وارفضّت كتيبة غمّي * وحين رآني * وبصُر بمكاني * قال يا اهل البصرة رعاكم الله و وقاكم * وقوّى تُقاكم * فما اضوع ريّاكم * وافضل مزاياكم * بلدكم اوفى البلاد طُهرة * وازكاها فطْرة * وافسحها رُقعة * وامرعها نُجعة (†) * و اقومها قبلة * واوسعها دجلة * واكثرها نهرا ونَخْلة * و احسنها تفصيلا وجملة * دعايز البلد الحرام * وقُبالة الباب والمقام * واحد جناحَي الدنيا * والمصر الموسّس على التقوى * لم يتدنّس بيبوت النيران * ولا طيف فيه بالاوثان * ولا سُجِدَ على اديمه لغير الرحمٰن * ذو المشاهد المشهوده * والمساجد المقصوده * والمعالم المشهوره * والمقابر المزوره * والانار المحموده * والخطط المحدوده * به تلتقى الفُلك والركاب * والحيتان والغِباب * والحادي والملّاح * والقانص والفلّاح * والناشب والرامح * والسارح والسابح (‡) * وله آية المد الفائض * والجزر الغائض * واما انتم فمن لا تختلف في خصائصهم اثنان * ولا يُنكرها ذو شَنْآن * دهماؤكم اطوعُ رعية لسلطان * واشكرهم لاحسان * وزاهدكم اورع الخليقة * واحسنهم طريقة على الحقيقة * وعالمكم علّامة كل زمان * والحجة في كل آوان * ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه * والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه * وما من فخر الا ولكم فيه اليدُ الطُولى * والقدح المعلّى * وانتم احق به واولى * ثم انكم اكثر اهل مصرٍ مؤذنين * واحسنهم في النسك قوانين * وبكم اقتدي في التعريف * وعُرف التسحير في الشهر الشريف * ولكم اذا قرّت المضاجع * وهَجَع الهاجع * تذكار يُوقظ النائم * ويُونس القائم * وما ابتسم ثَغرُ فجر * ولا بزغ نورُه

(†) بقعة . (‡) والسابح .

في برد و لا حرّ * إلاّ ولتأذينكم بالاسحار * دَوِيّ كدويّ الريح في البحار * وبهذا عنكم صدع النقل * و اخبر النبي عليه السلام من قبل * وبيّن ان دويكم بالاسحار * كدوي النحل في القفار * فشرفًا لكم ببشارة المصطفى * و واهًا لمصركم و ان كان قد عفا * و لم يبقَ منه الاّ شفا * ثم انه خزن لسانه * و خطم بيانه * حتى حُدِجَ بالابصار * و قُرِف بالاقصار * فتنفّس تنفّس من قيد لقود * او ضبئت به براثن اسد * ثم قال اما انتم يا اهل البصرة فما منكم الا العالم المعروف * و من له المعرفة و المعروف * و اما انا فمن عرفني فانا ذاك * و شرّ المعارف من آذاك * ومن لم يُثبت عرفتي * فساصدقه صفتي * انا الذي انجد و اتهم * و ايمن و اشأم * و اصحر و انجر * و ادلج و اسحر * نشات بسروج * و رُبيّت على السُّروج * ثم وَلجت المضائق * و فتحت المغالق * و شهدت المعارك * و الذتُ العرائك * و اقتدتُ الشوامس * و ارغمت المعاطس * و اذبت الجوامد * و امعت الجلامد * سلوا عني المشارق و المغارب * و المناسم و الغوارب * و المحافل و الجحافل * و القبائل و القنابل * و استوضحوني من نقلة الاخبار * و رُواة الاسمار * و حُداة الركبان * و حُذّاق الكُهّان * لتعلموكم فجّ سلكتُ * و حجاب هتكتُ * و مهلكة اقتحمت * و ملحة الحمت * و كم الباب خدعت * و بدع ابتدعت * و فُرص اختلست * و اُسْد افترست * و كم مُحلّق غادرته لقيً * و كامنٍ استخرجته بالرّقى * و حجر سحرته حتى انصدع * و استنبطت زُلاله بالخُدَع * و لكن فرط ما فرط و الغُصْن رطيب * و العُود غريب * و بُرد الشباب قشيب * فاما الان و قد استنّ الاديم * و تاوّد القويم * و استذار الليل البهيم * فليس الا

الندم إن نفع * و ترقيع الخرق الذي قد اتّسع * و كنت رويت في الاثار المسنده * و الاخبار المعتمدة * ان لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة * و ان سلاح الناس كلهم الحديد و سلاحكم الادعية(†) * فقصدتكم أنضى الرواحل * و اطوى المراحل * حتى قمت هذا المقام فيكم * ولا مَنَّ لي عليكم * ان ما سعيت الا في حاجتي * و لا تعبت الا لراحتي * و لست ابغي اعطيتكم * بل استدعي اعطيتكم * و لا اسألكم اموالكم * بل استنزل سؤالكم * فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب * و الاعداد للمآب * فانه رفيع الدرجات * و مُجيب الدعوات * و هو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيآت * ثم انشد * نظم

أستغفر الله من ذنوب * أفرطتُ فيهن و اعتديت
كم خُضتُ بحر الضلال جهلا * و رُحت في الغيّ و اغتديت
و كم اطعت الهوى اغترارا * و احتلت و اغتلت و افتريت
و كم خلعت العذار رَكضا * الى المعاصي و ما ونيت
و كم تناهَيْتُ في التخطي * الى الخطايا و ما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا * نسيا و لم أجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير * من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فانت اهل * للعفو عني و ان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء * و هو يُقلّب وجهه في السماء * الى ان دمعت اجفانه * و بدا رجفانه * فصاح الله اكبر باذت آمارة الاستجابة * و انجابت غشاوة الاستتابة * فجُزيتم يا اهل البصرة * جزاء من هدى من الحيرة * فلم يبق في القوم

(†) الحديد * و سلاحكم الادعية والتوحيد *

الا من سرّ السرور * و رضخ له بميسوره * فقبل عفوّ برّهم * و اقبل يعرف في شكرهم * ثم انحدر من الصخرة * يؤم شاطيء البصرة * و اعتقبته الى حيث تخالينا * و امنّا التجسس و التحسس علينا * فقلت له لقد اغربت في هذه النوبة * فما رأيك في الثوبة * فقال اقسم بعلّام الخفيّات * و غفّار الخطيّات * ان شاني لعُجاب * و ان دعاء قومك لمُجاب * فقلت زدني افصاحا * زادك الله صلاحا * فقال و ابيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع * ثم انقلبت بقلب المُنيب الخاشع * فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه * و ويلٌ لمن باتوا يدعون عليه * ثم ودّعني و انطلق * و اودعني القلق * فلم ازل اعاني لاجمه الفكر * و اتشوّف الى خبرة ما ذكر * و كلما استنشيت خبره من الركبان * و جوّابة البُلدان * كنت كمن حاور عجماء * او نادى صخرة صمّاء * الى ان لقيت بعد تراخي الامد * و تراقي الكمد * ركبا قافلين من سفر * فقلت هل من مغربة خبر * فقالوا ان عندنا لخبرا اغرب من العنقاء * و اعجب من نظر الزرقاء * فسألتهم ايضاح ما قالوا * و ان يكيلو لي مما اكتالوا * فحكوا انهم اَمّوا بسروج * بعد ما فارقها العُلوج * فراوا بها ابا زيدها المعروف * قد لبس الصوف * و اَمّ الصفوف * و صار بها الزاهد الموصوف * فقلت انعتوه ذا المقامات * فقالوا انه الان ذو الكرامات * فحفزني اليه النزاع (†) * و رايتها فرصة لا تُضاع * فارتحلت رحلة المعد * و سرت نحوه سيرَ المُجد * حتى حللت بمسجده * و قرارة متعبّده * فاذا به قد نَبذ صحبة اصحابه * و انتصب في محرابه * و هو ذو عباءة مخلولة *

(†) فهيجوا نزعي اليه فحفزني الشوق للوفادة عليه فحفزني *

و شملة موصولة * فهبته مهابة من ولج على الاسود * و الفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود * و لما فرغ من سبحته * حياني بمسبحته * من غير ان نغم بحديث * و لا استخبرني عن قديم و لا حديث * ثم اقبل على اوراده * و تركني اعجب من اجتهاده * و اغبط من يهدي الله من عباده * و لم يزل في قنوت و خشوع * و سجود و ركوع * و اخبات و خضوع * الى ان اكمل اقامة الخمس * و صار اليوم امس * فحينئذ انكفأ بي الى بيته * و اسهمني من قرصه و زيته * ثم نهض الى مصلاه * و تخلى بمناجاة مولاه * حتى اذا لمع الفجر * و حق للمتهجد الاجر * عقب تهجده بالتسبيح * ثم اضطجع ضجعة المستريح * و جعل يرجع بصوت فصيح * نظم

خلّ ادكار الربـــع * و المعهـــد المرتبع * و الظاعن المـــودّع
و عدّ عنـــه ودع
و اندب زمانا سلفا * سرّدتَ فيه الصحفا * و لم تزل معتكفـــا
على القبيح الشنع
كم ليلة ارديتهـــا * مآثمـــا ابدعتهـــا * لشهـــوة اطعتهـــا
في مرقد و مضجع
و كم خطى حثثتها * في خزية احدثتها * و توبة نكثتهـــا
للعب و مرتع
و كم تجرأت على * رب السموات العلى * و لم تراقبـــه و لا
صدقت فيما تدّعي
و كم غمطت برّه * و كم امنت مكـــره * و كم نبذت امره
نبذ الحـــذا المرقّع

وكم ركضت في اللعب * وفُهت عمداً بالكذب * و لم تُراع ما يجب
من عهده المتَّبع

فَالْبَسْ شعار الندَم * واسكب شآبيبَ الدم * قبل زوال القدم
و قبل سوء المَصْرع

واخضع خُضوع المعترف * و لُذ ملاذ المقترف * واعصِ هواك وانحرف
عنه انحراف المُقلع

اَلام تسهو و تنى * و مُعظم العمر فنى * فيما يضُرّ المقتنى
و لستَ بالمرتدع

اما ترى الشيب وخط * وخطَّ في الراس خُطط * ومن يامُ وخط الشمَط
بفقده فقد نُعي

ويحك يا نفس احرصي * على ارتياد المخلص * و طاوعي و اخلصي
واستمعي النصح وعي

و اعتبري بسن مضى * من القرون و انقضى * واخشَيْ مفاجاة القضا
وحاذري ان تخدعي

و انتهجي سُبُل الهُدى * واذكري رشْكَ الردى * فان مثواكِ غدا
في قعر لحد بَلقع

آهًا له بيت البلا * و المنزل القَفْر الخلا * و مورد السفر الاولى
و اللاحق المتبع

بيتٌ يرى من اُردعه * قد ضمَّه و استودعه * بعد الفضاء و السعه
قيدُ ثلاث اذرع

لا فرق ان يحُلّه * داهيةٌ او ابله * او مُعسر او من له
مُلك كملك تُبَّع

و بعده العرض الذي * يعروي الحيّي والبذي * والمبتدي والمحتذي
ومن رعى ومن رعي

فيا مفازَ المتقـــي * و ربحَ عبدٍ قد وُقي * سوءَ الحساب المُوبِق
و هول يوم الفزعِ

و يا خسارَ من بغى * و من تعدى و طغى * وشبَّ نيران الوغى
لمطعم او مطمـــع

يا من عليه المُعَوَّل * قد زاد مابي من وجل * لما اجترحت من زلل
في عمري المضيَّع

فاغفر لعبد مُجترم * و ارحم بُكاء المنسجم * فانت اولى مَن رحم
و خيرِ مدعوٍّ دُعي

قال فلم يزل يُرددها بصوت رقيق * و يصلها بزفير و شهيق * حتى بكيت لبكاء عينيه * كما كنت من قبلُ ابكي عليه * ثم برز الى مسجده * بوضوء تجدده * فانطلقت ردنه * وصليت مع من صلى خلفه * و لما انفضَّ من حضَر * و تفرقوا شغَر بغَر * اخذ يُهيْنِم بدرسه * و يُسبك يومه في قالب امسه * و في ضمن ذلك يُرِنُّ ارنان الرَّقوب * و يبكي و لا بكاء يعقوبَ * حتى استبنت انه قد لحق بالأفراد * و اشرب قلبه هوى الانفراد * فاخطرت بقلبي عزمة الارتحال * و تخليته و التخلي بتلك الحال * فكانه تفرَّس مانويت * او كُوشف بما اخفيت * فزفَر زفرة الاواه * ثم قرا فاذا عزمت فتوكل على الله * فاسجلت عند ذلك بصدق المحدَّثين * و ايقنت ان في الأمَّة محدَّثين * ثم دنوت اليه كما يدنوا الصافح * و قلت اوصني ايها العبد الصالح * فقال اجعل الموت نصب عينك * و هذا فراق بيني و بينك * فودَّعته و عبراتي تتحدَّرْن

من المآقي * و زفراتي يتصعّدن من التراقي * و كانت هذه خاتمة التلاقي *

قال القاسم بن علي * هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغتراب * و املیتها بلسان الاضطراب * و قد ألجئت الى ان ارصدتها للاستعراض * و ناديت عليها في سوق الاعتراض * هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع * و مما يستوجب ان يُباع ولا يبتاع * و لو غشيني نور التوفيق * و نظرت لنفسي نظر الشفيق * لسترت عواري الذي لم يزل مستورا * و لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا * و انا استغفر الله تعالى مما اردعتها من اباطيل اللغو * و اضاليل اللهو * و أسترشده الى ما يعصم من السهو * و يحظى (†) بالعفو * انه هو اهل التقوى و اهل المغفرة * و ولي الخيرات في الدنيا و الاخرة *

قد تمت مقامات الحريري * بعون الله الغني *

(†) و يحظي بالعفو *

L Arab
K 19m

Kasim ibn 'Ali, called al-Hariri

THE

MAQÁMÁT OF HARIRÍ.

FOR THE

DEGREE OF HONOR EXAMINATION.

IN

ARABIC,

FOR

OFFICERS IN THE MILITARY AND CIVIL SERVICES,

UNDER THE SUPERINTENDENCE

OF

MAJOR H. S. JARRETT.

Secy., Board of Examiners.

32,392
21.11.35

Published by Authority.

PRINTED BY MAWLVI KABIR-UDDIN AHMAD, AT THE URDOO GUIDE PRESS.

CALCUTTA,

1882.